قصَّة وأبْيَات

كتاب يحتوي على مجموعة من
القصص الشعبية مع شواهدها
من الأبيات

جمع وتأليف
ابراهيم بن عبدالله اليوسف

الجزء الثاني

الطبعة الأولى لعام ١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ إبراهيم بن عبدالله اليوسف ، ١٤١٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اليوسف ، إبراهيم بن عبدالله

قصة وأبيات – الرياض .

٣٤٣ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٦-٣١٦-٣١-٩٩٦٠

١- السعودية – القصص الشعبية أ – العنوان

ديوي ٠٩ ، ٨١٣ ١٦ / ٣٣٣٩

رقم الإيداع : ٣٣٣٩ / ١٦

ردمك : ٦-٣١٦-٣١-٩٩٦٠

مقدمة

بقلم: معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر

هـذا هـو الجـزء الثـاني مـن كتـاب "قصـة وأبيـات" لـلأخ الأستاذ ابراهيـم بـن عبـدالله اليوسـف، كـان قـد وعـد بإخراجـه بعـد الجـزء الأول، الـذي لاقـى اسـتقبالاً جيـداً، وهـا هـو الآن يفـي بوعـده، ويسـتمر في سـرد القصـص الممتعـة والأبيـات المعـبرة.

وهـو بهـذا يحـافظ علـى تـراث، إن لم يحـافظ عليـه، انقـرض مثلمـا انقـرض غـيره مـن جواهـر الـتراث، ولآلىء الأقـوال، والأفعـال، ممـا يصـور حيـاة آبائنـا في الباديـة، ويسـجل مـا كـانوا يتصفـون بـه مـن صفـات جميلـة في خلقهـم، وحسـن تصرفهـم، وهـي قصـص تؤكـد تمسـكهم بعـاداتهم الحسـنة، عـادات العربـي الأصيـل، الـذي يغلـي الكـرم، والنخـوة، والشـجاعة، والغـيرة، ويمـوت في سـبيل ذلـك، هربـاً مـن لطخـة عـار تسـمه، أو دنـس عيـبٍ يعلـق بردتـه.

وقـد تمتـع بسـماع هـذه القصـص والأبيـات مسـتمعوا الإذاعـة، وتجـاوبوا مـع ملقيهـا، وهـذا التجـاوب، والإقبـال الـذي واكـب ذلـك، هـو الـذي شـجع المؤلـف علـى تحمـل العـبء في الجمـع، والتقديـم، ثـم النشـر، والجهـد الـذي بذلـه، ولا يـزال يبذلـه، واضـح فيمـا قدمـه مـن قبـل، وفي هـذا الـذي يقدمـه الآن للقـارىء.

وهـذا الجـزء عندمـا يبـدأ محـب الـتراث قراءتـه لا يتركـه مـن يـده حتى يكملــه، لمـا فيـه مـن جاذبيـة، ولمـا ينقـل القـارىء فيـه مـن روض إلى روض؛ ولا يفتـأ القـارىء يلحـظ التماسـك بـين القصـة ومـا جـاء فيهـا مـن شـعر، قـوي في معنـاه، معـبر في مبنـاه، خاصـة وأنـه شِـعر غير متكلـف، يـأتي سـليقة، وينطـق بـه قائلـه عفـواً، هـو شـعور يتدفـق علـى لسـانه، يدفعـه إليـه إحسـاس داخلـي عميـق، لا يسـتطيع مقاومتـه، أثـاره إحسـاس باعـتراف بمعـروف، أو تقديـر لدفـع أذى أو ضيـم، والحيـاة مـلآى بمـا ينغـص علـى الإنسـان عيشـه بطريـق أو آخـر؛ ولكنـه بتوفيـق الله يجـد مـن يسـاعده علـى التغلـب علـى الصعـاب، وإيجـاد الـدواء للـداء، وإزالـة الكـرب بفـرج يسـهل الله طريقـه، ويهـيء أسـبابه.

ومـن مـيزات هـذه المجموعـة، مثـل سـابقتها، تنوعهـا، ممـا يبعـد الملـل والرتابـة، فـأنت تـرى في كـل قصـة أو أبياتهـا صـورة جديـدة، ترسـم جانبـاً غـير مـا رسمتـه قصـة أخـرى وأبيـات ثانيـة؛ حتـى لـو تمـاثلت جوانـب في الحادثـة، فـإن جوانـب أخـرى منهـا تختلـف، لإن القـائل لم يقلـد أحـداً، وإنْ تمـاثل أمـران، فـلأنّ قَـدَمَ الفكـر وطئـت علـى جـادة فكـر آخـر، دون أن تـدري أن هنـاك قَدَمـاً سـارت في الطريـق نفسـه، ورسمـت طبعـة مماثلـة.

ومثـل هـذا العمـل يمتـاز بـأن بـني علـى خطـة مدروسـة، فيهـا منهـج يسـمح لمؤلفهـا أن يسـتمر يخـرج مـن الأجـزاء مـا شـاء مـا دام يسـتطيع أن يجـد المـادة؛ فطبيعـة هـذا النـوع الاسـتمرار، وليـس مـن

طبيعته الانقطاع. هذا نرجو لمؤلفه الصحة والعافية والتوفيق ليتمكن بذلك كله، مع عون الله. من متابعة الأجزاء، ليكون هناك سجل وافٍ لحياة فريق من الناس لهم الحق في ألا يضيع ما تركوا من أثر فيه إضاءة، وفيه إشعاع.

وقد أطلت بعض الشيء في تقديمي للجزء الأول وفيما قلت هناك ما يكفي عن بعض الملامح التي رأيت حينئذ أهمية ذكرها، لأنها تعالج هذه السلسلة لأول مرة، فكان من اللازم تبيان بعض الملامح التي تُري بعض ما لمسته فيها، إجتهاداً مني؛ أما هذا الجزء فهو تابع، وما كلمتي هذه إلا تعبير عن سعادتي بأن المؤلف وفق لأن يتابع عمله.

وفقه الله وأخذ بيده إلى السداد والرشاد.

عبدالعزيز الخويطر

١٤١٦/٨/٢٢هـ

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ أما بعد:

عزيزي القارىء أضع بين يديك الجزء الثاني من كتاب (قصة وأبيات) الذي هو العنوان الإذاعي الذي طال ما استمر بثه من اذاعة الرياض لأكثر من عشر سنوات، وبطلب من الأخوة المستمعين الاعزاء جمعت حشداً من القصص التي أذيعت وجعلتها بين دفتي كتاب حمل نفس اسم البرنامج الاذاعي المشار إليه.

وقد صدر منه الجزء الأول وحظي بدراسة وافية سطرها معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر حيث كانت الاضاءة الوافية التي أبانت عن أهداف الكتاب وأهميته في خدمة الأدب الشعبي.

واليوم يتكرر الطلب إليّ من الأخوة القراء لإخراج الجزء الثاني من الكتاب، ولقد راعيت في جمعه واخراجه الآتي:ـ

١ـ عدم تغيير اسم الكتاب، حيث أنه هو الاسم الذي حمل اسم البرنامج الاذاعي (قصة وأبيات)، كما أنه امتداد ومتابعة للقصص التي مرت في الجزء الأول.

٢ـ قمت بمحاولة كتابة القصص باللغة الفصحى ألا ما دعت إليه ضرورة السياق لمعرفتي أن ذلك أدعى لبقاء القصة للأجيال القادمة وليتمكن الناس في كل بلد وقطر من الاطلاع عليها.

٣ــ اتبعت نفس الأسلوب في الجزء الأو فيمــا يتعلــق بتصنيــف الفهــارس لتشــمل: فهــارس الــرواة وفهــارس الأشــخاص وفهــارس الأســـر والقبــائل وفهـرس المواضـع وفهـرس القصـص والأبيـات. ذلـك أن تلـــك الفهــارس سـوف تجعـل الوصـول إلى المعلومـة المطلوبـة أكـثر سـهولة.

٤ــ قمت بكتابـة أبيـات الشـعر بطريقـة تسـهل قـراءة المفـردات الشـعبية كمـا يوردها الشــاعر، عـن طريـق تشـكيل معظـم المفـردات.

٥ــ أن قصـص هـذا الجـزء هـي نفـس القصـص الـتي تمـت اذاعتهـا مـع بعـض التحسـين في الصياغـة والاخـــراج.

وبعــد، فقــد كــان لزامــاً علــيّ ألا أخــرج الجــزء الثــاني إلا بعـــد أن أعرضـه علـى معـالي الدكتـور عبدالعزيـز بـن عبـدا لله الخويطـر، ولقـد شــرّف معاليـه الكتـاب بمقدمـة هـي امتـــداد لتقديمــه للجــزء الأول فجــزاه ا لله خــير الجـزاء.

كمـا أنـني وأنـا أقـدم الجــزء الثــاني أكــرر شــكري وتقديــري للأخــوة القــراء الذيــن وصلتــني رســائلهم وطلبــاتهم للجــزء الثــاني. كمــا أكـــــرر شـكري للأخـــوة الذيــن شــاركوا في بعــث القصـــص إليَّ، وكذلــك الأخــوة الأعـزاء الذيـن شـاركوا وسـاعدوا في اخـراج هـذا الكتـاب، وأدعـوا اخوانـــي القراء إلى عـدم البخـل علـيّ بـأي نقـد أو ارشـاد يـؤدي إلى مزيـد مـن التطويـر لخدمة تراثنـا العريـق، وفقنـا ا لله جميعـاً إلى كـل خـير.

المؤلف

ابراهيم عبدا لله اليوسف

١٤١٧/١/١٧هـ

١٧٥- الأولاد زينة الحياة

الأبناء هم فلذات الأكباد، ومما لا ريب فيه أن الأولاد هم زينة الحياة، وبهجتها وزهرتها، وبوجودهم تأنس النفوس، وترتاح القلوب وتكبر الأماني؛ وبفقدهم تتحول الحياة إلى مدى من الأسى والدموع، والليالي المعتمة، التي تخلو من أنيس يُجَلِّي ظلماتها، فأكثر ما يفجع القلب هو فقد الولد، لأنه في نظر والديه أعز وأغلى وأحب ما في حياتهما، لأن تلك هي فطرة الله، هذا بالنسبة للأب العادي في أحاسيسه، فما بالك بالأب الذي يحمل قلب شاعر مرهف الأحاسيس، فالمؤكد أن مثل هذا الخطب سيروعه، ويجعله يعبر تعبيراً مؤثراً عن ما في نفسه من الأحاسيس والمشاعر المفجوعة التي تصور لوعة الحزن. ولا يخلو أدبنا الشعبي من مثل هذه القصص.

ومن ذلك ما روى لي فهد بن فردوس العجمي، وما سمعت من مانع بن ذنبوح العجمي، أن مفرح ابن مسهية لا يختلف على طيبه وحسن خلقه أثنان، اضافة إلى ما ينسب إليه من كرم ومروءة. فقد رزقه الله بولد سمّاه محمد، ترعرع ونشأ في كنف والديه، وكان ولده الوحيد، شاباً في ريعان الشباب ونظرته، تبدو على وجهه سمات الذكاء، وله ملحة وطرفه، يهوى القنص والصيد، وكانت أمه تكن له في مكنون صدرها حباً شديداً، لِبرِّه بها، واغداقه عليها مما يحصل عليه من رزق، ومحمد مميز بين أصحابه بحضور خاص، واحترام يفرضه على من حوله، ومن مأثور العرب أن الشاب إذا مات في عز شبابه، وكان شاباً نجيباً سرعان ما يرددون مآثره، وينعتون عليه وصف أنه ابن موت، ومحمد عرف عنه أنه حريص على توطيد أواصر المحبة بينه وبين أقاربه.

وحدث أن خرج محمد مع والده مفرح لزيارة أخواله بجهة (الرَّيْن) في ديار قحطان، وعندما لحق بديار اخواله فضل أن يخرج للصيد في البر، فوضع على راحلته الماء والزاد وذهب يلتمس الصيد، وفي الطريق سطا عليه قوم غرباء، وأخذوا راحلته وما عليها من ماء وطعام وتركوه، وعندما حل المساء ولم يعدْ محمد أحس أبوه وأخواله بالقلق، فخرجوا للبحث عنه، وبعد وقت طويل من البحث في الشعاب شاهد أبوه شخصاً يشبه النائم، فأخذ يقلبه فوجده ابنه محمد ميتاً من الظمأ، فانكب عليه مذعوراً وهو يبكي، وسمعه من معه ففزعوا إليه مذعورين، فرأوا محمداً وأباه فهالهم بشاعة المنظر، فغسلوه ودفنوه، وعادوا بوالده الذي صار محطماً من هول الفجيعة، وصمم ألا يبيت الليلة إلا في دياره، فركب راحلته كاتماً أمره خائفاً من أن يطير الخبر إلى زوجته لعلمه بأثر هذا الخبر المؤلم على قلبها، وأخذ يدير في رأسه كل الأفكار، واستدعى في ذهنه كل الردود التي يمكن أن يرد بها على زوجته إذا سألته عن ابنها حتى أعياه التفكير وصورة زوجته ماثلة أمام عينه وهو ينتحل كل الصفات التي سيقابلها بها، أيكون وجهه محزوناً أم بشوشاً؟ وغير ذلك من كل القناعات التي يمكن أن يقنع بها زوجته، وبعد عناء وجهد جهيد خطرت بذهنه فكرة ألهمه إياها منزل الصبر والسكينة في القلوب، فعاد إلى زوجته مصطنعاً التماسك ومتقنعاً بقناع الصبر والرضا، وقلبه يذوب بين ضلوعه أسى وحسرة على فقد ابنه الوحيد، فقال لها بعد أن طرق الباب إن معي ضيوف ونريد أن نكرمهم، ولكنهم لا يأكلون إلاّ زاد أناس لم تصبهم مصيبة، ولم وتفجعهم الدنيا بموت عزيز عليهم، فصدقت زوجته وانطلت عليها الحيلة، وخرجت تبحث عن أناس ينطبق عليهم الوصف، فلما يئست من وجودهم، عادت إليه قائلة: ما وجدت أناساً إلا وفجعتهم الدنيا، فسألها مستغرباً ونحن ألم تكربنا الدنيا، فقالت بل نحن بخير والحمد لله،

فانبأها بأنهم قد لحقهم نصيبهم من الفجيعة بموت ابنهم محمد، ونصحها بالصبر والاحتساب كما يصبر كل الناس، فتلقت النبأ بقلب صابر، وقالت الحمد لله مقدر الأقدار. وكان مفرح ممن يقولون الشعر، فقال الأبيات التالية يسأل فيها الجبال والاطلال عن ابنه محمد:

ألا يا جبال الرَّيْن ما شفتي محمد … عليك مِنّه يا الجبال مَلاَم

يبكيه عود ثالثة رِجْله العصا … يكوده عقب القعَاد مقام

وتبكيه عذراً فاتها غي الصبا … كما فات العصَيْر لَقّاف نَعَام

ومن قبلك الهلالات يالعين فاصبري … بيوتهم عقب العمَار هَدَّام

ومن قبلك آل حُمَيْد يالعين فاصبري … الزاد فقه والبيوت اخيام

ومن قبلك آل حُبَيْش يالعين فاصبري … جُرَيْس وزَبْن الجاذيات خزَام

ومن قبلك آل مْعِيض يالعين فاصبري … أهَل ابيوت عندها جَهَام

وكل القبايل قد عشت بنزولهم … وجموعهم عقب الصفاف اللام

يا الله يالمطلوب تجبر مصيبتي … يا جابر المكسور يا عَلاَّم

انا وغيري كل ابونا بقدرتك … يا خالق الانوار والاظلام

تلطف بعودٍ يوم اخذت جنينه … سهير عين ما يذوق منام

عودٍ غريب الدار عن جماعته … اليوم عنده كنه مْيَةْ عَام

وتجبر عزا من عافت النوم عينها … والكبد صامت ما تبي طعام

دنيا دهتنا وفجَعَتْنا بْغِرَّةٍ … عود غريب وحاير الاقدام

دنيا فجعتنا ياكفى الله شرها … والزرع لا بدّه من الصَّرَام

بقعا خذت من الاولين وعادها … وفي خشمها للمقبلين اعرام

وابذكر الله عدة احروف قلتها … وصلوا على المختار يا الاسلام

****

١٧٦ـ عاطفة الأمومة

عاطفة الأمومة عاطفة تزخر بالعطاء الذي لا حدود له، وهي جداول من الحب والحنان الذي لا ينفد. أودعها الله قلب كل أم، وهذه القصة التي أعرض لها واضحة المعنى، وإن كان الراوي قد تطرق في روايته إلى أمر الدنيا فذكرها مستشهداً ببعض الأبيات من الشعراء فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع هذه القصة. فيروي لنا خفَيْج بن عبدا لله بن رمَال الشمري أن ذِكْر القحازية من قبيلة شمر كان لها ابن اسمه دهش أصابه مرض خطير، وهو مرض السل من الامراض الصدرية، مما أدى إلى نقله إلى مستشفى السداد بالطائف. وحين سافر انقطعت أخباره عن والدته، فتعلق قلبها به، وكثر تفكيرها فيه وصارت تتحسس أخباره، وتسند عليه أبياتاً شعرية، تطلب منه أن يرسل لها رسالة يوضح فيها أخباره، وهكذا حنين الوالد إلى ولده، فتقول:

يا راكبٍ حمرا تقل سَلْوَعة ذيب	بِنْت الذلول اللي جذَبْها اضرابه
حمرا تسُوج افخوذها بالمحاقيب	عين العديم اللي سمع له ضبابه
ركّابها قرمٍ ينط المراقيب	ما فوقها الاّ قِرْبته مَعْ زهابه
تاصَل دَهَش بنت الجمل شامخ النيب	وتعُود قبل الشمس تاصَل غيابه
ارجي لوليدي كل خيرٍ مع الطّيب	ويرسل لنا خطٍ جديدٍ اكتابه
ما وَنّسَنْ هَرْج العرب والتعاجيب	أمّك تْرَاع النجم حتى غيابه

****

١٧٧ـ نومان الحسيني وابن عريعر

الفروسية هي احدى صفات العرب الهامة. والفارس الحقيقي هو الذي يملك صفات الشجاعة والاقدام والقوة والمروءة، ويبتعد عن الغرور، ولا يحب أن يتفاخر بأفعاله، ويمدح نفسه في المجالس.

ومن الفرسان الذين تنطبق عليهم هذه الصفات نومان الحسيني من قبيلة الظفير، ومن فرسان وقته، ونومان كان ملازماً للشيخ ابن عريعر شيخ بني خالد، إلا أن ابن عريعر عاتبه في احدى المرّات عتاباً اعتبره نومان لا مبرّر له، فترك ذلك العتاب في نفسه أثراً دفع به إلى العزلة، والتنحي عن فرسان ابن عريعر، حتى أغار في يوم على ديارهم قوم معادون لهم، فهبوا للدفاع عن ديارهم. وعندما علم بذلك نومان خرج من عزلته، وامتطى صهوة جواده مع كوكبة من فرسان قومه قاصداً ديار المغيرين، فصال معهم وجال حاصداً بسيفه من ظفر به من فرسان أعدائه، حتى تحقق له النصر على أعداء ابن عريعر، واستطاع أن يسترد منهم بعضاً مما سلبوا من دواب، وعاد وفرسانه سالمين إلى ديارهم، وعندما ذاع النبأ تنازع فرسان قومه وتجادلوا حيث يدعي كل واحد منهم أنه هو الذي هزم الأعداء، ونومان صامت لمبلغ حزنه، وما يطوي في جوانحه من عتاب، ومر على هذا فترة غير طويلة، حتى بدأت الأجواء تصفو للتصالح، وعندما التقى ابن عريعر بشيوخ من أعدائه ذكروا له الحادثة مشيدين ببطولة فارس لديه، وهم يودون اقامة السباق لمعرفته. ولما أقيم السباق لم يروا من بين الفرسان ذلك الفارس الذي أبهرتهم شجاعته، فبدأ ابن عريعر يتفرّس وجوه الموجودين حتى يعرف أيهم الغائب، واستدرك على الفور أنه نومان الحسيني، فأتى به وأقيم السباق مرة أخرى، فهتف الاعداء بأن هذا الصنديد هو

الذي أنزل بهم الهزيمة، فاستبشر ابن عريعر، وطلب منه أن يتمنى بأمنية وهو محقق لها بعون الله، فما كان من نومان إلا أن طلب ما يؤكد بطولته، ولم يطلب سوى الخيل التي سلبها ليؤكد بطولته بوثيقة موقعة من قومه وأعدائه، وكان له ما أراد.

فقال نومان:

يـا شـيخ أنـا عنـدي بيـوتٍ علـى الهـا

افطـــن لهـــا حيثـــك للامثـــال حَـــلاّل

عيـــني ســـهيرة نومهـــا مـــا دَخَلْـــها

وقلـــبي علـــى جمـــر الغضـــا لـــه تملمـــال

بعض العرب يا شيخ مَزّيَـن خْيَلْهـا

اصحـا ورد الـراس في بعـض الاحـوال

بعـض العـرب للنايبـة مـا حَمَلْهـا

ولا كـــلَ رجّـــال يعوُضِـــك بْـرَجّـــال

ثـلاث شـايـاتٍ علـى غـير اهلهـا

الجـوخ والدسمـال والثـالث الشـال

واللي الى جا الخيـل عنكـم عَدَلْهـا

هـذا مـن المصفـوط مـاهو علـى البـال

نفسي زعـول وخـايفٍ من زَعَلْهـا

تهـوم هومـاتٍ عريضـات وِطْـوَال

نفس الفتى لا بـدّهـا مـن جَهَلْهـا

واخـاف ترمـي بـي علـى بعـض الاحـوال

لا اشـتدت الشـدة تناسـا زمَلْهـــا
نـبـيعهـــا بـيـــع الـجـلاليـــب دلاّل
لاجـاك خطـوا سـاعة مـا بـدَلْهـــا
كــم فـارس نرميـه منهـــا علـــى الجـــال
يـوم الـردي لاشـاف خـوفِ شقَلْهـــا
راحـت اتـقمُـــز بـــه علـى روس الاقـــذال

****

١٧٨ـ وحَيْشَة تشجّع على الدفاع عن قومها

الفروسية ليست حكراً على الرجال دون النساء، وتاريخنا حافل ببطلات من النساء في صدر الاسلام، وقد رَوَت لنا كتب السيرة عن الكثيرات منهن وهن يحملن السلاح لرفع راية التوحيد، كما أن بعضهن قد حباهن الله ملكة الشعر علاوة على ما فيهن من شجاعة، ولعل أشهرهن المرأة المسلمة الجليلة المجاهدة الشاعرة الخنساء رحمها الله. وفي العهد القريب عُرِفَتْ الشاعرة وُحَيْشَة المشلحية كنموذج فريد في الشجاعة، والغيرة على الحمى، والتحفيز على الذود عنه، وشحذ العزيمة في همم الرجال، كما روى لي كل من الصديقين دبَيْس بن مهلهل الشمري ومنديل الفهيد، حيث ذكرا أن نسبها ينتهي إلى الدغيرات من قبيلة شمر، وكان أهلها كغيرهم من البوادي، لهم مراعي، ولهذه المراعي حدود لا يتعدونها، ولا يسمحون لأحد بالرعي فيها إلاّ بسابق إذن منهم حسب عاداتهم وأعرافهم التي تعارفوا عليها ذلك الوقت.

وحدث في يوم أن امحلت الديار، وأجدبت المراعي، فارتحل الكثير من رجالهم بحثاً عن المرعى لدوابهم مخلفين النساء بالديار في موقع يقال له (سقف) في ضواحي (حائل)، وكان زعيم قومها ذلك الوقت فايز بن هذيل. ومضى القوم في نزوحهم حتى وجدوا أرضاً، بها عشب كثير، ومياه غزيرة، من أراضي (العراق)، يطلق عليها (نقرة أيوب)، فطاب لهم بها العيش، فمكثوا بها، وحينئذ أغار على ديارهم ومراعيهم السابقة، قوم آخرون، استحلوا لأنفسهم الديار والمراعي، وكانت وحيشة بين النساء، فلم ترض بسلب ديارهم، فأخذت تحرّض أهلها على الاستبسال في رد العدوان. وأرسلت برسالة إلى شيخهم آنذاك فايز بن هذيل ضمنتها أبياتاً شعرية تستنفره هو ومن معه من الرجال، وتحثهم على

العودة إلى ديارهم وقالت:

تقول وحيشة يا ملا ليه ما اشيب
غرس الجدود اللي غدا وقت الافلاح
يا غيبة ابن هذيل يا غيبة الذيب
شفنا النكارا والنكد عقب ما راح
رَوَّح على حمرا تجيبه تحاضيب
تجدع ايدينه بالخلا تقل زنّاح
حمرا هميم من خيار المناجيب
اكواعها عن لمسة الزور طفّاح
حمرا إلى نيشت بروس العراقيب
اسبق من الشيهان لا شاف ملواح
ركّابها من عزوتي من هل الطيب
ضد الحريب ان صاح بالنزل صيّاح
اربع ليال صدق ماهن تكاذيب
تلفي على ابن هذيل كسّاب الامداح
يبكيك (سقفٍ) يا ذعار الاجانيب
يَضْوِي عليه من الشعب كلّ مصلاح
جانا ضَعَنْهم مع دَبَشْهم جناديب
صار الخطر منهم علينا بالارواح
عجّل علينا يا حصان الاطاليب
ياللي بمركاضك على الخيل مسراح

ولما وصلت الرسالة والأبيات وقرأها الشيخ فايز تذكّر قومه ومرابعه، وزاد حزنه حزناً على ديارهم، ومراتع إبلهم، وقبل أن يستجمع شتات رجاله، ويعود بهم، كان الحزن قد جاوز المدى الذي يتحمله قلب الشيخ فايز فأخذ يتمتم بأبيات من الشعر، حتى سقط على الأرض ميتاً قبل أن يتمها منها قوله:

تِخْرون ما مدّاد من (نقرة أيوب)

والقابلة يمسِي حَوَال (الغَزَالة)

من فوق مَبْرِي الذراعين مَنْتُوب

أسبق من الشيهان مِغْلِف غَيَاله

وهي أطول من ذلك.

****

١٧٩ـ ناصر عبدالله الكثيري يصف حال البحر

البحر عالم مثير غـامض، مغلـف بالأسـرار والحكايـات الأسـطورية، يتنـاقل الأجداد عنه كثيراً من القصص السارة أحياناً، والمحزنة أحياناً أخرى، والبحر مـن أعظم آيات ا لله الكونية، حيث جعل ا لله في أعماقه مالا يحصـى مـن المخلوقـات والثروات، بينما يحمل على ظهره الفلك لتجري بأمر ا لله بما ينفـع النـاس، كمـا أن فيـه المـوت أحيانـاً لبـني البشـر بـأمر ا لله أيضـاً عندمـا يزمجـر وتثـور أمواجـه وعواصفه، ويلتطم جانبه.

ومن حكايات البحر في أدبنا الشعبي ما روى لي الأخ راشد بن كليب، عن الشاعر ناصر بن عبدا لله بن كليب الكثيري، وكان ممن يعملون بـالبحر، وكـان قلبه قلب بَـحَّـار شجاع، ممن يستحبون ركـوب المخـاطر، وفي يـوم كـان يعمـل بالبحر، لاستخراج الصيد، فإذا بالبحر يغـيِّـر من هدوئه، ويتحول إلى حالـة مـن الغضب والهيجان، وكان البحارة قد نزلوا البحـر للصيـد، وتعمَّـقوا فيـه، وهـو هادىء الأمواج، وحدث أن انقلبت القوارب، فهبط إلى القاع مـن هبـط، ونجـا بارادة ا لله من علم بأسرار البحر، واستطاع أن يروِّض أمواجه، ويجعلهـا سلسـة القياد، وكان من بين الذين تمرَّسوا على أساليب ترويض البحر ناصر الكثـيري، فاستطاع بقدرة ا لله أن ينجو بعد عناء ومشقة، فأرسل إلى أخيه عبدالرحمن أبياتـاً من الشعر، يصف فيها حال البحر، وصلابة الرجال الذين يعملون فيه، وقدرتهم على مواجهة الصعاب، أما الأبيات فهي:

يـا راكـبٍ مـن فـوق بِـنْـت العمَـاني

مامونـــة تقْـطَـــع افجـــوج الاخبَّـــة

ما ساقها العَمَّال بين السوَاني
ولا صَدَّرَت بالغرب ماها تصبّه
الصبح تَسْرَح من ديار ابن ثاني
وفي يوم ثالث صلب جدّي تنبّه[1]
تنصا عضيدي واخبره وَيْش جاني
غطّا عليّ الموج في وسط غِبَّة
الطبعة الخطرة خطرها غَطَاني
موج البحر في غبته مطلحبَّه
عمري غدا مير ا لله اللي وقاني
كله سؤال اللي ضناها تحبُّه
لوا عشيري بي يصيبه اجناني
لا قيل ناصر عاصف الموج ذَبُّه
طَلْب المعيشة مثل غيري حَدَاني
افدا بعمري غَيْص في كل غِبَّه

****

(١) صلب جدي: المقصود أخي.

١٨٠ـ معَشّي الشجر

كنت في الجزء الأول صحبتكم مع معشّي الذئب، وهأنذا أصحبكم مع معشّي الشجر، وهذا اللقب يطلق على محمد بن حسين الشريف، من أهالي بلد (النفيجر)، في ضواحي (الحريق)، كما روى لي راشد بن كليب، حيث هبّت ريح هوجاء عاتية، وتَلَبَّد الجو بالغيوم والأتربة، وأصبحت الرؤية مستحيلة من كثرة الغبار، وعبثت الرياح بالأشجار، وحركت جذوعها، وكان الرائي لا يرى أمامه معالم واضحة للأشياء، بل يرى مجرد أشباح تتحرك من بعيد، وفي هذه الليلة رأى محمد أمامه أجساماً تتحرك، وهي أشجار فحسبها ضيوفاً له، فأخذته نخوة الكرم، فقام وذبح خروفين وطلب من زوجته اعداد العشاء للضيوف المقبلين، وقام بجلب البرسيم، ليطعم به ابلهم ودوابهم، وبعد أن فرغ من اعداد مأدبتهم، انقشعت هذه الغيمات، وهدأ صوت الريح، فجمع جيرانه، وأطعمهم العشاء الذي أعده للضيوف، فأظهروا استغرابهم، وسألوه عن سبب هذه المأدبة، فقص عليهم القصة، فصدّقوه لما عرفوا عنه من كرم الضيافة، ولقبوه بمعشّي الشجر. وكان من بينهم الشاعر محمد بن حوشان فقال هذه الأبيات.

ألا يا محمد بن حسين عشّيت الشجر والجار

تحسب ان الشجر ضيفان ياللي تكرم العاني

يا حيثك دايماً منصا وهذي عادة الاخيار

ذبحت من الغنم ثنتين جل اكفول وِسْماني

وامرت اللي حصد شربين قت[1] يارفيع الكار

تبيها للرُكَاب اللي لفت برجال ضيفاني

الي جا الضيف لابن حسين يلقي مكرم الخطّار

اقول اللي سمعت وشفت مالي مقصد ثأني

على الزبرة[2] يشرّف كل يوم يحتري زوّار

ولو ان السنين اشداد قصده فعل الاحساني

كما ان الضيف ضيف الله وله عند العرب مقدار

كريم النفس للضيفان والعاني وجيراني

****

(١) قت: القت هو البرسيم.

(٢) الزبرة: المرتفع، ويقصد هنا أنه يطلع على الأماكن المرتفعة يترقب الضيوف.

١٨١- الطيور على أشكالها تقع

هذه قصة رواها لي حمد بن شبيب السبيعي وهي من قصص هذال ابو وقيّان أمير الحمر من الشكرة من قبيلة الدواسر وهو من المعروفين بالكرم والسخاء والفضل والشجاعة وايثار الغير على الذات، وبلغ من صيته في كرمه انه اطلق عليه الرجل الذي لا تطفأ له نار، كناية عن الكرم العظيم، وكان لهذا الرجل صديق يدعى عبدا لله بن بلال من قبيلة قحطان، ينزل عليه ضيفاً في بعض أوقات الصيف، فيكرمه، ويجود عليه مما تثمره نخلاته من تمر. وكان ابن بلال يحاول أن يجازيه عن كرمه، فيأتي معه عند زيارته بالسمن والذبائح ليساعده على اقراء الضيوف، وا لله سبحانه كان يمن على هذال بسعة من العيش، وموفور من الرزق، بحيث لا يضيق بيته أو تعجز يده عما يبتغيه من حاجات تلزم ما يستدعيه واجب الكرم، مثل ما قال الشاعر بداح العنقري من قصيدته المشهورة:

الطيـــب مـــاهو بـــس للضاعنينـــا

قسْـم علـى كـل الوجيـــه المفـــاليح

البـدو واللي بـالقــرى ساكنيـنــا

كـل عَـطَــاه ا لله مــن هَبَّــة الريــح

وبهذه المناسبة قال عبدا لله بن بلال القحطاني الأبيات التالية عندما شاهد البرق يسأل ا لله ان يجعله على دار صديقه هذال ابو وقيان :

كريـم يـا بـرقٍ حَـدَر يـمَّـــة الشـــرق

أخيّلـــه لـــــين أول الصبـــح بـــانّي

يا دار هـذالِ لهـا لايـح البـرق
ماهـوب مـن يرتـد فيهـا مشـاني
شيخٍ وَلَـدْ شيخٍ ومَـجْنَـاه مـن عِرْق
مـاهو مـن اللـي مـاكـره مشـبهاني
يا بـاني بيتـه على مَـجْمَـع الطـرق
ويامـا خـلِـدِ ضيـف الحمـر بالضمَـاني

****

١٨٢ـ شاعر يكره البخل

غانم بن دخيل الغانم من أهالي (الزلفي) لـه بـاع طويـل في الشعر والأدب، وكان من الذين يقولون الشعر بلغته الفصحى واللهجة العامة، توفي رحمـه الله في عام ١٣٩٥هـ. وكان يتحلّى بالعديد من المزايا الطيبة ومعاني المروءة. وقد تـرك بعض الأشعار والقصائد التي خطها يراعه وبعضاً من القصص التي تروي سيرته الذاتية كعَلَم من أعلام الشعر، الذين شـهد لهـم بقـوة السبك، وحسن البيـان، والبراعة في التصوير. وحدث أنه بعد أن فرغ من أداء الصلاة بالمسجد في أحـد المرّات التقى بأحد معارفه، ودعاه للقهوة، ولكن الرجل أخلف ميعاده، فظـن أن الذي دفعه لذلك هو عادة البخل المتأصلـة فيـه، فآلمه ذلـك لأن الكرمـاء دومـاً يمقتون البخل، ويكرهون البخلاء، ويزدرونهم.

وبهذه المناسبة قال الشاعر غانم بن دخيل الأبيات التالية:

بـالك تعَـزْم اللـي الى قلـت حِيَّـاك
يْشَمُّـن انـه عقـب هـذا يقهويـك

لا قلت حَيِّـك قـال انـا خـايفٍ ذاك
تجـي بـه اقـدار الدهـر في منـاهيك

رْبَـا[١] عجـوز مـا تَعَـوَّد للافكـاك
مـاقد جَرَى لـه فـك بعـض الشـرابيك

والرجـل إلى سـافر وشـفته ولاقـاك
حَـقٍّ عليـك تقـلّطـه في معـانيك

---

(١) أي: تربية.

تـرى الامــارة مــا تهيَّــا بالامســاك

إلاّ لِقَــرْمٍ يُــودِع الكيــــس بيلينــك

مثل علي[1] ان كان عسـرن الاشـراك

ولا حــل موجبهــا ولــــو بــــه تهــاليك

اَمْـضَـا مــن الصمصـام في كـف فتـاك

واقـرب مــن اللــي في عــلاوي مخــابيك

****

(١) علي: صديق للشاعر.

١٨٣- الصديق عند الضيق

الدَّين هم بالليل، ومذلة بالنهار، ولكن الهم يهون أثره إذا كان هناك من يفرِّج الكرب، ويسعى في حاجة أخيه، وعمل المعروف، وتكاتف أفراد المجتمع وحرص كل منهم على مصلحة الآخر من المثل التي لا يخلو مجتمعنا منها و لله الحمد.

وقد روى لي الأخ ابراهيم بن ناصر الفايز أنه كان متجاوراً هو و رجاء بن مسعود بن هدلان من قبيلة عنزة، وفراج بن سعد بن فراج من سبيع، وامتدت بهما الجيرة الطيبة حتى سادت المودة والمساعدة بينهم، كلاهما يضمر الاحترام للآخر، ويساعد الآخر، ولا يبخل عليه بشيء، حتى نزح فراج من الديار التي يسكنانها، وبقي رجاء بها في دار استأجرها من أحد أصحاب العقار، وفي سنة من سنوات العسر عجز عن تسديد الإيجار، وطرق كل السبل التي يأمل أن يجد لديها العون، وصاحب الدار مصر على دفعه الإيجار وإلا فإن عليه الخروج منها هو وأهله، وحل الموعد ولم يتسن لرجاء تدبير المبلغ المطلوب، وهَمَّ صاحب البيت أن يطرده إلا أنه ألَحَّ عليه أن يمهله عسى أن يبدّل الله عسره فرجاً، فكان له ما طلب وأمهله الرجل يومين بعد أن أخذ عليه كفيلاً بذلك، وبينما رجاء يقلب أخماساً في أسداس خطر له صديقه فراج السبيعي فأرسل إليه بالأبيات التالية ذكر فيها ما آل إليه حاله، وعن المأزق الذي وقع فيه عسى أن يجد منه العون في مثل هذه الظروف، أما الأبيات التي قالها الشاعر رجاء بن مسعود في صديقه فراج فهي:

يَـمّك تَوجّـه خطّنا يا فتى الجـود

تـذكَرْ بفعل الخير أوّل وُتَالي

مخصوص يَمُّك يا السنافي وماكود

لفراج بن فراج وافي الخصالي

أنت الذي تتعب على الطيب بك زود

تقضي اللوازم لا اقصدوك الرجالي .

ومن يزرع المعروف يربح بلا حدود

رِبْحِ عظيم ولا لربحه مثالي

ولاني على هالمدح مرغم ومحدود

فيما سمعت أقول ماني امبالي

الطيب مثل العد للناس مارود

والرُّس يشح ولا يسقّي الحلالي

هذا جوابي جاك بغاية ومقصود

وَسِّع علينا ايام ما هن اطوالي

وترى الامل بعد الولي فيك معقود

انظر لردك يا عزيز القبالي

ان كان قصدي في حواليك ماجود

لازم يجينا اشمام في ما طَرَى لي

ارسل به اللي بالذكر صار محمود

اللي يمينه ما تطيع الشمالي

حَدَّتني الحاجة ولا عندي نقود

وذكرت فراج السعد عند بالي

وعندما وصلت الأبيات إلى فراج قام بالواجب وأرسل مبلغ عشرة آلاف

ريال، وذلك الوقت العشرة تعادل مائة ألف اليوم، وكتب معها: أنها لك مساعدة وأرفق مع المبلغ الأبيات التالية:

حييت عشرين الف مع عشر مع زود
اعداد ما يمطر ثقيل الخيالي
ترى العسر ما فيه عيب ومنقود
العسر ما يَذْرِب شريف الرجالي
جاك الطلب من فضل اباجود ماجود
عطيّةٍ ما ابي لها راس مالي
طلبك جاكم يالشجاع ابن مسعود
ارسلت به يَمّك صغير العيالي
الضيق له وقت قصيرٍ ومحدود
وثُمّ يفَرّجْها عزيز الجلالي
والرزق مضمونٍ وللعبد مرصود
من واحدٍ يسمع دبيب النمالي
ولا تشتمت بالحظ وتقول مقرود
الله وعد للصابرين النوالي

****

١٨٤ـ ومن قصص الوفاء أيضا

بمناسبة القصة السابقة فقد روى لي الأخ فايز بن موسى الحربي القصة التالية، وهي من قصص الوفاء والمعروف بين الأصدقاء. يقول الأخ فايز: في احدى السنوات كان الشاعر سعود الهامل القحطاني، وهو رجل مشهور ومعروف بكل ذكر طيِّب، بينه وبين الشاعر مرزوق بن مبشر المزيني الحربي صداقة تقوم على الوفاء والمروءة والمحبة الصادقة، كان سعود الهامل يبني له بيتاً في مدينة (الخرج) واتفق مع أحد المقاولين على بناء البيت. وبدأ المقاول في عمله، وأحضر معداته وصار يعمل حسب الاتفاق، ويستلم مستحقاته على دفعات حسب العقد.

لكن سعود تعرض لبعض الظروف المالية الصعبة في آخر المشروع، وحصل بينه وبين المقاول خلاف أدى إلى أن المقاول توقف عن العمل في الموقع قبل أن ينتهي البيت، بسبب عدم استطاعة سعود تسليم الدفعات الأخيرة. وفي تلك الأثناء مَرَّ مرزوق على البيت بالصدفة فوجد أن العمل متوقف، والمقاول قد سحب معداته، فذهب إلى صديقه سعود وسأله عن سبب التوقف، فأخبره بالقصة. وبدون أن يطلب سعود أي مساعدة ذهب مرزوق إلى بيته وأحضر المبلغ المستحق للمقاول بكامله، وطلب منه أن يعيد المعدات إلى الموقع، وأن لا يصبح نهار اليوم التالي إلاّ والعمل قائم كما كان. وفعلاً عاد المقاول للعمل صباح اليوم التالي، و لم يستغرب سعود منه ذلك لأن الاثنين قد تعوَّدَا من بعضهما تبادل الأفعال الجميلة. وبهذه المناسبة قال الشاعر سعود الهامل:

مرزوق وِش قومه علينا يعِيْلي
مِتْعَرّضٍ ما له مع السوق ما سُوق

يا اهـل الـمَعَرفـة والوفـا والدليـلـي
يـا لـيـت كـلِ عَيلِتِهِ مثـل مــرزوق
الـلي يبــادر بالعطــا والجميلـــي
لـو مالنـا عنـده مشاريـــه وِخفــوق
دروب المـراجل خَطّها لـه عميلـي
متسيطرٍ حَوّل على الطّيب من فوق
لعــل يفــداه الــرّدي والبخيلـــي
واللي عـلى الرَّبْـع الـمواليـن خـازوق
أبـو مبشّـر شـوق ضـاف الجديلـــي
راع اشقرٍ عن باهـي الوجـه مفهـوق
اختارتـه بيـــن الجماعــة حليلـــي
حب الوفا ما هوب حبٍ على البَـوْق
دمّـه خفيـــف ورَوْز عقلـــه ثقيلـــي
والى هَرَج ما هوب فالهـرج مطفـوق
تِبْنَـى لـه البَيْـضا بـراس الطويلـي
واعلامهـا تـرْكَـز عـلـى كـل شاهـوق
مـن لابـةٍ بالهَـــوْش تِبْــرَ الغليلـــي
يـا مـا رَعَـن اذوادهــم كــل زملـــوق
وان جات سَوْقات الدهـر والهزيلـي
عاداتهــم ذبــح الخرافيــن والنـــوق
والى ظهر جيـلٍ نشـا عقـب جيلـي
طِيْبـه معه ما هــي وصايـا بصنــدوق

يشـير الشـاعر في قولـه: (اللـي يـادر بالعطـا والجميلـي) إلى أن مـرزوق بـادر بحـل مشـكلة صديقـه، والوقـوف معـه في تلـك الظـروف، قبـل أن يطلـب منـه صديقـه ذلـك، بـل إنـه لم يخـبره بمشـكلته، وهـذا مـا يميز قصـة مـرزوق عـن غيرهـا، ويـبرز وفـاءه، وسمو أخلاقـه، وحبـه لبـذل المعـروف.

****

١٨٥ـ من قصص الشيخ محمد بن هادي

الشيخ محمد بن هادي بن قرملة شيخ قحطان في عصره، كان واحداً من الرجال الذين أنجبتهم صحراء هذه البلاد، الذين عاشوا عيشة العرب الخلصاء بما عرف عنهم من الذكاء الفطري، والشجاعة الفائقة، اضافةً إلى ما جُبِلُوا عليه من المروءة ومكارم الأخلاق.

وقد عاش الشيخ محمد بن هادي في عهد الامام فيصل بن تركي، الذي يعتبر المؤسسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية بعد والده تركي، والذي عرف كواحد من أبطال التاريخ، بما اشتهر عنه من قوة العزيمة، والشجاعة وحسن السيرة في رعيته.

وقد تعرض ابن هادي للوشاية به عند الامام فيصل من قبل بعض المنافسين له، فغضب عليه الامام، وفرض عليه غرامة كبيرة يقال إنها ستين فرساً ومئة ناقة، مقابل اعتدائه على بعض القبائل الموالية للامام.

وعندما بلغ الخبر ابن هادي كان لزاماً عليه أن يوضح الأمر للامام، وأن يطلب عفوه، فعزم على زيارة الامام، واصطحب معه شيئاً من الهدايا وكان من ضمنها فرس مشهورة تسمَّى الحرقاء، وحصان أصيل يسمَّى نايف. ولما وصل ابن هادي ومن معه، طلبوا مقابلة الامام والعفو منه، لكن الامام رفض ذلك، وصمَّم على معاقبة ابن هادي، ثم سمح لهم بدخول مجلسه للسلام فقط دون أن يعفو عنهم. وعندما وصلوا إلى مجلس الامام، ولاحظ ابن هادي غضبه الشديد، انتظر حتى هدأ الامام، وطلب منه أن لا يقرر شيئاً إلاّ بعد أن يسمعه بعض الأبيات، فأذن له الامام في ذلك، فقال القصيدة التالية يوضح الأمر، ويشير إلى مواقف قبيلته الصادقة مع آل سعود في حرب أعدائهم، ومنها:

يـا الله يـا مِنْـشني مـزونِ طهـايف
افـرج لـمن هــو مـا يجـي دَرْب منقـود
أدنيت انـا الحرقـا وقلّطْـت نـايف
وُرَدَّوا عَـلَـيْ الـهَـذو مـا أبغي لـه رْدُود
نايف علـى اسمـه جـا عديـم الوصـايف
مْنَفَّلـه ربِّـي علـى الخيـل بـه زود
أبـوه سَـبَّاق لخيـل الطوايـف
وأمّـه ثمنهـا تسـعة آلاف منقـود
يـا شيخ لا تَسْـمَع هـروج الحفـايف
خـذ جـابتي يـا منقـع الطيـب والجـود
لـو كنـت عـودٍ لي افعـول عنـايف
وُرَبْعِي اتطاوعني على الـهُوْن والكـود
حِنّـا علـى ضِـدِّك جبـالٍ نوايـف
وُحِنّا لك اطوع من عنَيْبر ومسعود
لي لابـةٍ تِـرْوِي حـدود الرهـايف
لاجـا نهـارٍ فيـه حـاوي ومـردود
ما نشـتحن مـن حـرب كـل الطوايـف
والـى بـدا لازمـك حِنّـا لـك جْنُـود
شـد العتيـبي مـن وَرَى كِشْـب خـايف
ولا يـحَـذُر كـود يَبْـرَى لـه القَـوْد
وشـد المطـيريْ مـن خشـوم الردايـف
وان سَنّـدُوا وَرْدوا حنَيْظِل وأبا الدود

لي لابــةٍ مــا جِـمَّعَــوا بــالعلايف

من نسل قحطانٍ وُيُغـزا علـى هُـود

ثم عقب هذه الأبيات بأبيات أخرى يعد فيها محاسنه وشجاعته ومحاربة من وَشَوا به عنده .. قال:

الحـِفْ يبغضــني علـى لَــطْم خـَدِّه

ولـو نـي عليـه هـوَيْــن صـرت غـالي

عنـدك يصـرُّف بـي مـن الحكـي قَـدِّه

وافعولنـــا فيهـــم اجـــدادٍ اسمـــالي

صـــلاّل دَوِّر لـــه وَرَى المســـتجدّة

والشــيخ الآخــر في مَــرَب التــوَالي

وهذا ابن عمِّـه كـد كَـلَ الرمـل خـدِّه

خَلّــوه ربعــه في مــداس العِيَــالي

لي لابـــةٍ لا قلـــت للخيـــل رَدَّه

ترايعــوا للهَــوْش مثــل الجِمَـــالي

افعـولـنــا بالـضـــد كـــل يعــدّه

يعـــدّه الأول لَنَسْـــــل التـــوالي

ربعـي لي اطـوع مـن محـــبٍ لِـودِّه

وانـا بـه أرْوَف مـن مُرَبّـي العِيَـــالي

اتبـــع مصـــالحهم بلـــين وشـــدّة

وأكسـر بهـم عظـم الحريـب المـوالي

وان جَـتْ مـن العـاقل عرفنـا مَـرَدّة

ولا نـلتفـت لهـروج بعـض الرجـالي

****

١٨٦ـ فجيعة والد

هذه القصة رواها لي مثقال بن محسن من الخرصة من شمر، فقال:

عيادة بن منيس من الخرصه من شمر، كان له ولد نجيب يعمل بالأجز، وما يحصل عليه يعطيه والده الذي كان في ضيق من العيش، وقلة ذات اليد، فكان الأب دائماً يرى هذا الولد في عينيه ابناً صالحاً، وكان يعقد عليه آمالاً كبيرة بعد ا لله سبحانه وتعالى، وفي دورات الحياة بحثاً عن الرزق نزل عيادة جاراً عند مسعد المرمش من المرامشة في موقق بضواحي (حائل)، فكان الولد يسوق السواني في بلدة (قفار) مقابل أجر زهيد. وفي أحد الأيام اختلت احدى محال القليب، فصعد يصلحها، وأراد ا لله أن يسقط الولد بالبئر، ولم يستطع الخروج، واطلق صرخات الاستغاثه، ففزع الناس إليه، وحين وصلوه وجدوه غريقاً، فأخرجوه ولم يشأ أحد من الموجودين أن يفزع قلب أبيه، فهموا بغسله ودفنه ولم يجدوا طريقة يخبرون عيادة بها، فأشار أحدهم أن يرسل إليه بطفل ينقل إليه الخبر، فأحضروا الطفل، وأوصوه بما يعمل، وعند وصول النبأ إلى عيادة خرج مشدوه البال بما حدث، والأبيات التالية قالها عيادة عند سماعه للنبأ المفزع بوفاة ابنه من الطفل، قال:

أمشي وعَلّمْني صغير وانا اقيف	وقفت تقل موَسَّر لي بقدّة
ياتقل ضربة زانةٍ بالسراجيف	الزانة اللي ماله اذنٍ تردّه
واكبدي اللي تقل يقصم به الشيف	أو تقل موس بالضماير يقدّه
أو تقل فوقه حاميات المراضيف	أو تقل فوقه غده فوق غده
حَنّيْت حنّة مخلجات الهراجيف	الفاطر اللي عن ولدها مصده
عوبا تعط الصوت مع له قراقيف	وخيال في لوعات الايام ضده

شيبا ومن قلبه تقل يمعط الليف على ولدها خَيَّب الله سدَّه
لوا حبيبي قصَّبته الصواديف صواديف بقعا ليت ربي يلِدَّه
غرقانها ما ينخطف بالمخاطيف وبَلاوْيَه كِثْر الشَّعَر من يعدَّه
ثرى بقعا له رجاجيل وتخيف والغَبْن بيته والغرابيل بده
وعمَّه واخوها لازم يذبح الكيف ويا ما خذت من راكبين الاشده
ويا ما خذت من خيِّرٍ يكْرِمَ الضيف ومن خَفْرةٍ مثل القراطيس خده
تمسي وتصبح مثل شعف العواصيف ناسٍ تصلفقها وناسٍ تصده
وا لله فلا صَيْدِي معادية بالسيف مير ابي فراشه والغطا والمخده؟
ا لله يولف لي من الصبر توليف كبر الشموس النايف المزمغده؟

****

١٨٧ـ كـرم وثـنـاء

القبيلة بالزمان السابق كانت مأوى الانسان ومملكته التي يلجأ إليها ويعتز بها وبأمجادها، فكان الفرد يدافع عن قبيلته ويحرص على سمعتها وشرفها.

وقبيلة السهول شأنها شأن غيرها من القبائل العربية التي قطنت أرض الجزيرة، ولها من المكارم ما يعتد به ويستحق التنويه عنه، والتغني به، والأبيات التي بين أيدينا قالها الشاعر عبدا لله بن منير القحطاني عندما حَلَّ في سنة من السنين على القبابنة من أهل (الغيل) من قبيلة السهول، فرأى مبلغ كرمهم، وحفاوتهم به، وشجاعتهم الفريدة، وأسعده تفاني الجميع في خدمة بعضهم بعضاً، وتوضح ذلك هذه الصورة المثالية للقبيلة العربية في شيمها وطباعها، والأبيات قالها بعد أن نزح عنهم واشتاق إليهم وذكر بالأبيات أن الضيف لو يقيم عندهم ثمانين يوماً فكأنها يوم واحد، فقال:

قعدت أنا والطير فوق العدامة
يَقْطَعْك يا طيرٍ لعيني غرابيل
ياللي تدوِّر للعشا والكرامة
حَوِّل على ام طلَيْح في وادي الغِيْل
تِبْشِر ابْبَرٍ والمفطَّح ايدامه
وْبِنٍ يبَهَّر للمناعير بالهيل
وا لله لو تاخذ ثمانين قامه
ماكِنّك الاّ ماخذٍ عندهم لَيْل
أهل قصورٍ للنشاما علامة
واللي يبيهم دربهم يمَّة سهيل

١٨٨ـ صداقة وتضحية

القصة التالية رواها لي الأخ منديل الفهيد عن رجلين من مطير، وهي ترفع من قيمة الصداقة، وعلو شأنها، حيث كان رابط الصداقة أقوى من عاطفة التنافس بين رجلين على الظفر بالزواج من امرأة مهما كان جمالها، وكان الرجلان من قوم الشيخ الفغم من شيوخ الصهبة من مطير، أحدهما يدعى سليمان الحساوي، والثاني لم أتأكد من اسمه تماماً لاختلاف اسمه في الكثير من الروايات، وكان سليمان قد طلب فتاة ذات حسن زائد، وكل ما عرفته من أوصافها أنها كانت من أجمل نساء قومها في عصرها، وذهب أهله لخطبتها، فأعطوهم الموافقة من حيث المبدأ، وارتحل سليمان للعمل، وغاب عن الديار لفترة قد تصل إلى عدة شهور لم يراسل فيها أهل خطيبته، فظن أهلها أنه لن يعود، وكان صديقه الثاني لم يعلم بخبر خطبة سليمان لهذه الفتاة، فتقدم لخطبتها وحظي هو الثاني بالموافقة على خطبتها، وتعلق قلبه بها حتى أنه لم يتورّع في التضحية بما سواها ارضاءً لخاطرها، وكانت هي من الذكاء حتى فطنت لمكانتها وحظوتها في قلبه، فأخذت تتدلل عليه، وتثقله بالمطالب، وهو يأتي بها وقلبه مسرور أيما سرور بهذا التعب البهيج، وبدأ يحسب الأيام، ويستعجل دورتها حتى يظفر بالسعادة معها، ويتم له المراد من الاقتران بهذه الفتاة الجميلة.

وفي يوم عاد سليمان من سفره إلى الديار، وهو مشوق لرؤيتها، ولكنه وجدها تعرض عنه غير آبهة به، ومضت في طريقها مهرولة إلى دارها فتابعها بعينه مشدوهاً حتى غابت عن ناظره، فاعتراه شيء من الظن أن يكون قد أساء إليها، وأتى بفعل قد أغضبها، وحار فكره حتى لم يجد به تعليلاً مقنعاً لهذا الصد المفاجيء، وكان متصوراً أنها ستلقاه بالترحيب، فأخذ يتلمس الأسباب حتى

عرف من الناس سر هذه الجفوة، وأدرك أن سبب صدودها هو خطبتها لصديقه الثاني، فتأسف على ما حدث، واضمر في نفسه لوعة وحسرة على ما بدر منها وأهلها وصديقه، وترك ذلك في نفسه جرحاً لا يندمل، فأخفى عن صديقه ما ينتابه من لواعج الحب، وحرمان الهجر، ولكن الحب كما يقولون تفضحه عيون المحبين، ولم يستطع أن يخفي ما يدور بقلبه عن صديقه، حتى لا يخجل منه، وصديقه لم يكن يعرف أن الفتاة كانت قد سبق خطبتها إلى سليمان، وعندما علم أن صديقه سليمان سبق له خطبتها طَلَّقَها، تقديراً لصديقه، ومحافظة على الصداقة، لكن سليمان لما علم أنه طلقها من شانه لم يرغب الزواج منها، فتَعَطَّل زواجها وكل منهما يريد تركها لصديقه، مُضَحّين بكل ما يجدونه من رغبة وعشق في سبيل الصداقة، وبقيت هي محتارة ومتعجبة من قوة أواصر الصداقة والتضحية بينهما. واشتهرت قصتهما، وفي ذلك يقول سليمان:

يامل عينٍ كن في حَجْرها شَبْ	والجفن كنّه يرتكز فيه عودي
على عشيرٍ كل ماجيت رَحَّبْ	واليوم عني يدْرِقْ بالعمودي
غدا به اللي كل ما درهمن طَبْ	لا صار حس المِلْح مثل الرعودي
ماهو ولد خِمْعٍ على الكُور ينشَبْ	لا اشتدت القالة رِدِي الزنودي

****

١٨٩ـ الوشاة وتفريق الأصدقاء

هذه القصة رواها لي شخص لا يرغب في ذكر اسمه ... يقول إنه في الزمن السابق تجاور بالمنزل رجلان، أحدهما من قبيلة الدواسر، والآخر لم يعرف اسمه إلا انه من منطقة الجنوب، واشتركا في زراعة أرض، وتشاطرا العمل كل واحد يقوم بنصيبه على خير وجه بنفس راضية متفانية، فهذا يسوق السَّوَاني، وذاك يحرث الأرض، واستمرًا على ذلك وبارك الله عملهما، نتيجةً لإخلاصهما، وكلاهما يحمل للآخر وداً ومحبة، ولم يأت أحدهما بما يفسد هذه المودة، وزرعهما ينمو بسرعة كأنهما يسقيانه بالود والصفاء، وأيضاً تصافت زوجتا الرجلين، وكانت كلتاهما تساعد الأخرى في عمل المنزل، وتنهض بعمل الثانية إذا أَلَمَّ بها مرض أو سقم، وأخذت الجهود تتضافر لزراعة هذه الأرض، وفي موسم الحصاد يحصدان ما رزقهما الله في صمت، ولا يوجد ما يثير الضغينة، أو يعكِّر الصفو.

ومضت الحياة على هذا، وكل يوم يتأكد ما بينهما من مودةً ومحبة أكثر فأكثر، حتى إن بعضاً من الناس الحاسدين غاظهم أن يروا مثل هذه الجيرة الطيبة، والرفقة المخلصة، فعملوا على دس الفتن بين الرجلين فوشوا بوشايات كاذبة لكل منهما، وبدأت الشكوك تجد سبيلها إلى نفسي الصديقَيْن الطَّيِّبَيْن، حتى حدثت جفوة، ثم شقاق، وكل منهما صار يكره الآخر، ولكن الزوجتين حزنتا لبشاعة ما يحدث، وكلتاهما تحاول أن تثني زوجها عما بات يطويه من شر للآخر، فانتهى الأمر بالرجلين إلى الشكوى التي أدت إلى تدخل المسئولين، والفصل بينهما، وصار كل منهما ينفر من الآخر، فعرض الرجل الدوسري على زوجته أن يرحلا، ولكنها حاولت أن تكرر ما سبق لها من محاولة الاصلاح،

وتلح عليه في أن يعود للعهد السابق، ولكنه كان قد أزمع على الرحيل، ولسان حاله يقول كما قال الشاعر سليمان بن شريم من قصيدة طويلة له حول هذا الموضوع:

إلى شِفْت جَفْوًا من رفيقي لَقيتني
صبورٍ على فرقاه في كل الاحوالي
ما ابَيِّن أسراره وعاره يعورني
اَخَلّيه في فاله وانا ارُوح في فالي

ومنها:

أصافح إلى شفت الجفا من رفاقتي
وادوِّر بَدَلْهُم لي رفاقه ومنزالي
الابعاد عن دار المذلّة مَعَزّة
ولو من وَرَى تونس مقامي هو اشوالي

ومنها:

أراغم على لاماه وارفا لزلّته
ولا اطيع به واشي ولا قَوْل عَذّالي
ولانيب ادوِّر عثرته عقب عِشْرته
ارى حقه الوافي بعقلي ومكيالي

وقال الدوسري أيضاً أبياتاً منها:

إلى جفاك الوطن لا تَرْدِم الساسي
خل الوطن للربوع اللي يرُودُونه

دارٍ بـــدارٍ وتهمـــاج مـــع الناسِـــي

أخَيــْر مـن مقعدٍ لـــك كـثرة اشــطونه

امـا تـرُوح الـدّلي بـالجـم غطّاســي

والاّ تـجيـك الـدلي بـالجـم مـشحونـه

عـقــب صـبــي دلــوه دايــم نـاســي

لاعِـدُّوا النـــاس لا هـــم مـــا يعدُّونـــه

يعيش من هو على درب الشرف قاسي

مـا يسـمع القــول لا قـاموا يـعـذلونـــه

****

١٩٠- تعب ومداعبة

الغالب من الشعراء يعاني الفاقة والعوز، وكثيراً منهم يتعرضون لظروف الحياة الصعبة، ويكابدون آلامها ومتاعبها، برغم ما يحملون في أجسادهم من أرواح مرهفة الحس، نازعة إلى الجمال، وحب معاني المروءة والرجولة. وأحياناً يكون الشعر متنفساً لالآمهم، ومعبراً عن أمانيهم. والشعر الصادق هو الذي يكون عن تجربة واقعية، ويعبّر عما في روح الشاعر من الأحاسيس والمشاعر، في كلمات عذبة تجعلنا نعيش مع الشاعر، ونتأثر بآلامه ومعاناته.

والشاعر سعد بن عبدا لله بن تويَنم، وصديقه الشاعر عبدا لله بن مقبل الملقب بالشويعير من أهالي (الحريق)، كما روى لي الأخ راشد بن كليب، عاشا في الزمن السابق حيث كانت الحياة صعبة، فظلاً مثل غيرهما يكابدان قساوة المعيشة، وأمضيا حياتهما يكدحان تحت وطأة الشمس والجوع والظمأ، وكانا صابرين محتملين، يبحثان في مناكب الأرض، فكانا يصعدان الجبال، ويهبطان السفوح، بحثاً عن الحطب، وبيعه بما يسد حاجتهم. وهما معاً يعملان سوية، ويتقاسمان تعب المهنة ويشتركان فيما يرزقهما ا لله به من مال على قِلّته. وحدث أن ذهبا ذات يوم كالعادة ليحتطبا من شعاب الحريق، وبعد أن أكملا عملهما ذلك اليوم وضعا ما جمعا على ظهر الإبل، ورجعا من ذات الطريق الوعر، وقد بلغ بهما التعب والجوع والعطش مبلغاً عظيماً حتى كادا أن يسقطا على الأرض من شدة الاعياء، وكلاهما يكبح جماح نفسه حتى لا يظهر ارهاقه للآخر، قاطعين تلك المسافة الطويلة تحت حرارة الشمس، فلما بلغ بسعد الارهاق المدى الذي لا يستطيع أن يتجاوزه أظهر لصديقه حاجته للراحة، فعرض على الشويعير أن يأخذا قسطاً من الراحة، يواصلان بعده المسير، فأذعن عبدا لله لرغبة سعد،

واستأنفا المسير بعد الراحة، وفكر سعد في حيلـة تعينهمـا على الطريـق الطويـل الممتد وذلك بقول الشعر، فرددا الأبيات التالية: حيث قال سعد بن تويم:

النـــوم جـــاني وتكفـــى يالشـــويعير
صـار يتـخـيَّـل ويـذبـي في العظـامـــي
نَـوْب اشـــتغل بـــالبلد وامــرار أســير
وُمَرْ اكلْـمْـك مـا تعــرف كـلامـــي
ليلـين بآيـامهن يـــا أخـــي مســـاهير
واللـي سهـر طـول ليـلـه مـا يـلامـــي

وقال صديقه الشويعير اسمع ردهـا:

وا لله ما ألـومـك على طـول المشاويـر
وانـا معـك مـا تـهـنيـــت الـمـنـامـــي
كـثـر الـتـعـب والسهـر فخر المناعيـر
طلـــب المعيشــه مـفـاخيـــر الكرامـــي
اصبر عسى العاقبة لاهل الصبـر خيــر
هــذي حيـــاة القـــرادة والـسـلامــــي

****

١٩١- الشاعر ابن عجيّان والثناء على أهل الكرم

هذه قصة من قصص قبيلة الدواسر، وقبيلة الدواسر لها من الشيم ما يؤهلها للارتقاء بها كغيرها من القبائل العربية التي تحتل الصدارة في الكرم، ومن المواقف التي تعمق لدينا يقين العرفان بكرمهم، ما روى لي حمد بن شبيب، أن هذه القصة جرت على محمد بن علي بن عجَيّان السبيعي من الأعزّة، وكان المذكور قد نزل جاراً على آل خضران من المصارير من الدواسر، ورأى منهم ما سر قلبه من حفاظ على حقوق الجيرة والمبالغة في اظهار الكرم، وتبديد الوحشة، وتوفير الراحة، وضمان الأمان للجار والضيف، ورغم أنه لم يجالسهم سِوَى موسم واحد بالمرعى، ولكن هذه الفترة الوجيزة كان لها أبلغ الأثر في نفسه، فقال هذه الأبيات بعد رحيله عنهم، وقد ضمنها بعض أسمائهم، كفراج ومتعب وأبو حمد وهم من الدواسر، كرموز لبعض أبناء القبيلة التي يعجز عن ذكرهم، قال محمد بن عجيان السبيعي:

يا راكب حر ليال المخاضير   عامين ما يتبع فريق الشواوي
مرباعه الصمّان ومقياضة النّير   يبني سنام بالفقار امتساوي
يا راكبينه نَحُّرُوه المصارير   سَلّم على فراج لاجيت ضاوي
وابو حمد عيد الركاب المقاصير   هيف القحوم مُرَبَّحَة كل شاوي
وُسَلّم على متعب عشير المناعير   سَعْد الرفيق اللي من الحيل ثاوي
لاد الحبيبي يحتمون المعاشير   لاجا نهار فيه كثر العزاوي
أنا احمد الله ما على النفس تقصير   إلاّ مشاهد محرقين القهاوي

****

١٩٢ـ شاعرة تمدح ذيب بن شالح

من القصص التي تروى عن قبيلة قحطان ما روى لي الأخ الفديع بن سلطان بن هدلان، وكما سبق أن أوردنا عن المكانة التي يحتلها الفارس ذيب بن شالح بن هدلان في قلوب أهله وذويه، لسيرته الطيبة وشجاعته النادرة وتضحيته. وكان ذيب قد توفي، وطوى الزمان صفحة حياته، ولكنه ظل حياً، بما خلف من حب في قلوب من عرفوه، وبعد مرور أعوام على وفاته كان عندهم جيران من الخنافر يطلق عليهم آل ذيبة، وكان معهم راعٍ للغنم يُدْعَى ذيب، وفي يوم من الأيام تغيَّب ذيب عن موعده، ففزع أهله للبحث عنه، فحملوا المشاعل في ظلمة الليل منادين باسمه، وأصواتهم يتردد صداها مع هدأة الليل، حتى خف الاسم إلى سمع هيّا بنت الفديع بن هدلان، فجدد هذا الاسم الجراح القديمة، وشَبَّت نيران الذكرى التي لم تخمد جذوتها في قلبها، فأخذت تردد الأبيات التالية التي تتحسر فيها على ابن عمها الفارس ذيب، قالت أبياتاً من الشعر منها:

ليت آل ذيبة ما دَعَوا عندنا ذيب
يوم ان قلبي سج مِنّه بْيَنْسَاه
فِنْ ذيبهم ذيب الغنم والمشاريب
وفن ذيبنا ذيب على الخيل ينضاه
ذيب شفا الادنا وجوع الاَجَانيب
على النقا، والسرق ما هوب يَذْناه
لا واقْمِحِي يا فارك العِرْف بالطيب
اِتْجر ثوب القز والقرن تشعاه.

لا وِاقْـمـحـيّ يـا مْـنَـاتـلات الـمـصـاليـب

والـهـجـن عـقـبـه نَـيْـهـا زاد مـبـنـاه

الـجـد ابـن مـزحـم تـرالـة هـل الـطـيـب

في قـولـهـم والاّ بـعـد مـا لـحـقـنـاه

وابـوه شـالـح شـوق بـيـض الـرعـابـيـب

قـلايـعـه خـمـس وثـمـانـيـن مـسـمـاه

يـا كـم عـزّل جـل ذود حـنـازيـب

و كـم ذود مـصـلاح تـخـرج خـلايـاه

ذيـب الـنـضـا ذيـب الرمك منـقـع الـطـيـب

ومـن مـات يـالـدحـام عـقـبـه نـسـيـنـاه

****

١٩٣- مرارة العيش

قبل هذا العصر السعودي الزاهر كانت الحياة قاسية، والمعيشة صعبة، ويندر أن يجد الانسان عملاً يسد به الرمق، ويستر به الحال. ولذلك فقد كانت الحاجة تضطر الانسان إلى ركوب المخاطر، وقبول أصعب الأعمال، حتى يحصل على كفاف العيش، وكان الشخص يكابد المشقة، ويعاني ذل الحاجة، وهو مع ذلك مؤمن بقدر الله، ومجتهد في طلب المعيشة، وقانع بما آتاه الله.

وقد روى لي الأخ راشد بن كليب عن واحد من الذين وهبهم الله موهبة الشعر ونور الإيمان، وهو علي بن حسن المخيليل من أهالي (الحريق) وكان يعمل أجيراً عند الناس، وقد عرف عنه الاخلاص، والمهارة في عمله، وأدائه على خير وجه، بحرص وأمانة، فتارة يَسُوق السواني تحت هيب الحر، وأخرى يحرث الأرض تحت برودة الشتاء، وبرغم ذلك كان لا يساوم على عَرَقه، ويقبل ما يُعْطَى له، لا تساوره الأحقاد والضغائن، أو بغض مستأجريه، بل كان يدعو الله أن يبارك لهم في أثمارهم.

وحدث أن رأى علي بن المخيليل سحابة في السماء، فدعا الله أن تهطل الأمطار لتسقي الزروع، وتملأ الضروع، وتكتسي الأرض بالخضرة، والخير العميم، وبفضل مُسَيِّر المخلوقات هطلت الأمطار، حتى امتلأت الآبار، وروى الناس والزروع والدواب، وبقي هو بلا عمل يقوم به، ولا يجد ما يسد حاجته وأولاده، فأخذ يبحث عن عمل، ولكن الأبواب أغلقت دونه، والذي يطلبه يعطيه أقل الأجور، حتى أحس بمرارة في نفسه، وجاشت مشاعره بأحاسيس مفعمة بالحزن، فقال الأبيات التالية:

الله لا يسقي ظماكم معازيب   صبيّكم لاجا المطر تطردونه

يوم المطر سَيَّل جميع المشاريب   صبيكم عقب المطر ما تبونه
يوم التعب دايم رجوله مصاليب   وانتم على شان الصدر تكرمونه
واليوم صارت فيه كل العذاريب   واللي مضى ما كِنّكم تعرفونه
بالليل يسهر بين حمر العراقيب   تصَدَّعَتْ رِجْلَيْه ما ترحمونه
يجر صوته مثل ما يقنب الذيب   مع السواني ساهرات اعيونه
والصبح بالمسحاة يضرب مشاعيب   اللي بها كل الشجر تغرسونه

****

١٩٤ـ من قصص الشيخ جهز بن شرار المطيري

هذه القصة من قصص الشيخ والشاعر جهز بن شرار أحد شيوخ قبيلة ميمون من مطير، وقد سبق أن أوردها منديل الفهيد[1]، وقد رواها لي الأخ فايز الحربي بمزيد من التفاصيل، وهي أنه في أحد المرات عندما كان فازع بن شرار والد جهز يستعد لغزو قبيلة حرب، فأراد جهز أن يرافق الغزو، لكن والده منعه لصغر سنه، وأعطى فرسه لفارس من قومه يدعى كديميس. وقد تأثر جهز لهذا التصرف من والده، فقال القصيدة التالية، يصور حاله عندما غادر الفرسان، وتركوه مع النساء والأطفال، لكنه ضمَّنها تَمَنِّيه بأن يقع كديميس في أيدي فرسان حرب، وسَمَّى بعض الفرسان المشهورين منهم، وحثهم على قتله، وأثنى على بعض الفرسان، وأبدى اعجابه بشجاعتهم رغم أنهم من أعدائه، وهذا من صفات الصدق التي اشتهر بها عرب الجزيرة، ومنهم الشيخ جهز بن شرار، حيث يقول منها:

يوم اسْهَجَنّي نابيات النسانيس
الموت عندي والحياة امتساوي
وَاطَـيْ قلبي طي بيض القراطيس
واونتي ما هي بَوَنَّة هَوَاوي
الله على اللي مثل خطو القرانيس
يجي بها قَوَّاد حَبْل الرجاوي

---

(١) أورد هذه القصيدة الشيخ منديل الفهيد (من آدابنا الشعبية ١/٠٢١) والأستاذ عبدالله بن ردادس (شعراء من البادية ١/٠٩).

عسى فقيدة قوم فازع كديميس

يُضرَب برمحٍ بين الاضلاع هاوي

تكفون يا البِيضان والا الدّهَاليس

حيث انكم قدّامهم بالحَرَاوي

اما انت يا مَشّال والا انت يا نعَيس

الله يحطّه بَينكم بالمَحَاوي

حيث انكم فرّيس واعيال فرّيس

اهل امهار الخيل ما انتم شوَاوي

يشير في البيت الثالث إلى البيضان البطن المعروف من بني عمرو من قبيلة حرب، والدهاليس من الفردة من مسروح من حرب أيضا. ويقصد الفارس مثال بن عبيد بن غِمَيض من مشاهير البيضان، ومن أشهر الفرسان في زمانه، عاصر الأمير محمد بن رشيد، وتوفي في حدود سنة ١٣٣٠هـ، أما نعيس فهو الفارس المشهور نعيس بن راشد بن دهيليس من الفردة، وهو الذي يقول فيه الشاعر من قصيدة طويلة:

إلى عَمْسَت الاشوار عليك بنعيس   امْوَرّد الهيّاب حوض المنايا

ويقول الرواة إن فرسان حرب لم يخيّبوا ظن جهز بن شرار، وذلك أنهم هزموا الفارس كديميس وأخذوا جواده، ولما وصلهم خبر القصيدة أرسلوا الجواد هدية إلى جهز مكافأة له على مدحه لهم.

****

١٩٥- بـر الـوالـديـن

هذه القصة وصلتني من شخص لا يحب ذكر اسمه، وهـي جـرت على شـاب كريم بار بوالديه، من أهل (الدوادمي) أو (الشعراء)، كان أبوه كبير السن كفيـف البصر، ولم تكن أمه أحسن حالاً من أبيه، أوقف الولد حياته لعونهمـا، والـبر بهمـا فكان لأبيه بمثابة العصا التي يتوكأ عليها، والعين التي يرى بها، وهو المعـين والخادم لأمه، يعمل طـول النهـار، ومـع الغـروب يـأتي بالطعـام ليطعمهمـا، ويصنـع لأبيـه القهوة.

ولكنه وجد أن عمله لا يكفي لتوفير متطلبـات حيـاتهم. مما جعلـه يفكـر في عمل آخر بالاضافة إلى عمله. ووفقـه ا لله إلى عمـل أفضـل، لكنـه شـاق ومتعـب، ويتطلب منه السفر إلى (الرياض) بحثاً عن عمل يسد حاجته وحاجة والديه، فسـافر وغاب مدة طويلة. وبعد أن أمضى شـهراً في العمـل، وتيسـر لـه القليـل مـن المـال اشترى لوالديه طعاماً وكساءاً وقهوة وأرسلها إليهما، ومعها خطاب صاغـه شـعراً، يطلب من والده الصفح، ويسأله السماح، ويطلب منهمـا الدعـاء، وأن يعينـه ا لله على قضاء حوائجهم، وأن يسـانده علـى الصمـود أمـام صـروف الدهـر ونوائبـه، فبكى أبوه وحزن على فراق ابنه، وأرسل إليه أبياتاً معبِّرة منها: قال والده:

حــــر غَـذَيْـتــــــه في ليــــال المعاســـــير
والـيــــوم مــــا أدري ويـــن دارِ عطاهـــا

مــا أدري مــع اللـــي يركبـــون الســـيايير
مــع طيغـــم مــــا ينعــرف وش لغاهـــا

البيـــت عقبـــه مـــا يجـــي لـــه مســـايير
ولا شـــب لي ضـــو طويـــل سناهـــــا

****

١٩٦ـ مواصفات الرجل عند المرأة العربية

وضحاء بنت عبدا لله من النتيفات من قبيلة الدواسر، ذات خلق وجمال، ولها باع طويل في قول الشعر، وهي من النساء المشهورات في البادية، لكنها لم توفق مع زوجها، لا لعيب بها، وإنما لعدم توافق طباع زوجها معها، فطلقها، وحين خرجت إلى بيت أهلها، وانقضت عدتها، توافد على بيت أهلها أشخاص كثيرون، يرغبون الزواج منها، وكان منهم الشاب الوسيم، والرجل الذي في منتصف العمر، ومنهم كبير السن، الذي قد شابت عوارضه، واشتعل رأسه بالشيب. فاحتارت أيهم تختار، واستشارت النسوة فأشرن عليها الاقتران بمن هو في مقتبل العمر، وتنطق ملامحه بالوسامة والحسن، ولكنها كان يخالجها احساس بأن الزواج من رجل كريم الخلق، وحسن السيرة هو أنجح، وأحسن من الزواج بشاب وسيم قد لا يملك معاني الرجولة، كما خافت أن يتكرر ما حدث من زوجها السابق. وعَبَّرت عن رغبتها في البيتين التاليين، اللذين تشير فيهما إلى سمات من تريده شريكاً لها قالت:

يا من يعاونِّي على حب راع الطيب

أحب الشلي لو كان وا لله ما يغين

أحب الشلي لو كان نصف العوارض شَيْب

ولا أريد وِلْد اللاّش حَتّيْش لو به زَيْن

****

١٩٧- جوزاء وأختها سمراء

جوزاء، وأختها سمراء، من بني عبدا لله من العضيلات من قبيلة مطير، وكنّ كأمثالهن من نساء البادية يتنقلن مع أهلهن في ربوع الصحراء، حسب ما يطيب لإبلهم وأغنامهم من المراعي ما بين الجبال والأودية والأراضي الخضراء المزهرة في ضواحي (المهد)، تقدم بطلب الزواج منهن رجلان يسكنان (جدة)، وتزوجن وانتقلن مع أزواجهن إلى حياة المدن. لكن جوزاء ما رغبت الحضارة والمدن، وتفضل البداوة والبر ورؤية الأعشاب، وحَنَّت إلى حياة البادية وصفائها، وتَمنَّت الخروج من المدينة بأسرع وقت، وقالت:

يا بُوي يا وَجْدِي مَعَ الصبح مِطْلاع
وَجْد الظمايا اللي على الما خيَامي
داجن وراجن ثم راحن مع القاع
ما قِدْمِهِن غير الدَّرَك والمظامي

وعندما سمعتها أختها سمراء قالت أبياتاً ترد عليها، وتذكر لها أن البداوة راحت، وأن ما فيها إلاّ الشقاء والتعب، وتطلب منها أن تستمتع بالراحة بعد أن تخلصت من حياة البادية، وما فيها من الكد والتعب للمرأة البدوية حيث تتطلب حياة البدوية أن تقوم بجمع الحطب وارضاع البَهَم وهو صغار الغنم، ومتابعة الأغنام بحلبها ورعيها، إضافة إلى الطبخ وشؤون البيت، فقالت:

يا بِنْت حِطّي فوق شاهيك نعناع
وُخَلّي البداوة والبَلَشْ والجَهَامي

تـرى البـداوة مـا تجي لـك بالاسـناع

عَـسْـرَة ولا تَـبْـنِـي لاَهَـلْـهـا سَـنَـامي

رحتي تجيبين الحطب والبَـهَـم ضـاع

وِالى الغَـنَـم إِمْـلاوذة بـالـظَـلامي

إلى رجعـتـي لـلـعـرب عِقْب مـفـزاع

إلى ضيوفـك مشـتـهـيـن الـطـعـامي

****

١٩٨ـ قصة حول الزراعة

الزراعة في العهد القديم لم تكن كما هي اليوم، حيث يعتمد الإنسان على الأجهزة الحديثة في استخراج الماء والحرث والحصاد وغير ذلك، بل كان المزارع يقوم بكل شيء بنفسه، ويبذل فيها من الجهد ما يساوي أضعاف ما يبذل فيها الآن، وفي نهاية العام تأتي بمحصول محدود جداً لا يكاد يساوي ما انفق عليها من جهد ومال. أما اليوم فهي تمتد في مساحات شاسعة، وتستخدم الأساليب الحديثة والمضخات والآلات الحديثة في زراعتها، وينتقى لها أجود أنواع البذور، وتؤتي ثمارها بكميات وافرة، في عهد الخير والنماء في ظل حكومتنا الرشيدة.

والقصة التي رواها لي راشد بن كليب تبَيِّن في جلاء حال اثنين عملا بالزراعة، وهما زيد بن عبدا لله بن هزاع، ومحمد بن موسى الشريمي، وهما من أهالي (الحريق)، وحدث أن زرع الاثنان أرضاً مناصفة بينهما، وبعد عناء شديد، وانفاق أموال مقترضة، أراد ا لله أن تكون تلك السنة مَحْلاً، فغار الماء في الآبار، وتعرضت الزروع للعطش الشديد وأوشك زرعهما أن يموت من العطش، وهو الذي عقدا عليه آمالاً عريضة لتسديد ديونهما، واعاشة أسرتيهما، ولم يكن أمامهما أبوابٌ تطرق إلا باب مصرِّف الرياح، ومنزل الغيث سبحانه، فتضرع الرجلان إلى ا لله بصالح أعمالهما عسى أن يفرج ا لله عنهما الكرب، ويرسل المطر ليترعرع زرعهما الذي به يقضيان الدَّين، ويفرج عنهما عثرات الحياة. والأبيات التالية تصور ما آل إليه حال زيد بن هزاع، والتي يلقي فيها برجائه على ا لله عسى أن يفرج عنه:

عسى ا لله يجيب السَّيل يلحق على الزرَّاع

مادام السَّوَاني طيبات بها شَلّة

ويا عزتي لك يالشريمي وابن هَزّاع

إلى مات بعض الزرع والسيل ما عَلّه

ويا حَيْسفًا يا بلدنا كان حَبّه ضاع

وجانا العميل اللي يبي مطلبه كله

عطانا ذيَانَة[1] كل خمسين بمية صاع

عسى الله يعين انقابله لا وصل حله

والى جا المزكّي يخرص الزرع ما يرتاع

يشوف اللقيمي سنبله ساجعٍ ظِلّه

مع الحب والصما ندوسه بوسط القاع

وندراه لا هب الهوى عيشنا هَلّه

****

(١) اذيَانة: أي مُدَاينة والمقصود به القرض التجاري.

١٩٩ـ الوفاء للأصدقاء

عبد المحسن بن راشد العوهلي، من أهالي (روضة سدير)، وهو من الشعراء المجيذين للشعر العامي والفصيح، المطلع بأمور الدين الحاضين على فعل المعروف، وهو خطيب، ويحظى بشهرة وصيت طيِّب في الكرم وحسن الخلق، وكان قد أكّد لي ما رواه عدد من أهالي (الروضة)، وهو حدثني أنه خرج بصحبة صديقيه مساعد بن جارا الله الغزي، وعبدالعزيز الحمد البادي صبيحة يوم ١٤٠٢/٣/١٩هـ في رحلة من (الرياض) إلى (الزلفي)، وبينما هم بالطريق اصطدمت سيارتهم بسيارة كبيرة، وأسفر هذا الحادث المروِّع عن فقد رفيقيه لحياتهما، ونقل عبدالمحسن في غيبوبة إلى المستشفى بين الموت والحياة، ومكث أكثر من شهر، وهو فاقد للوعي ما بين يأس الأهل والأطباء ورجائهم با لله في حياته، وعندما استفاق من غيبوبته تساءل مشدوهاً عن سبب وجوده، فأخبر بما حدث، ووفاة صديقيه، فاستحوذ عليه الحزن، وطلب ورقة يكتب وصيته بعد ما رأى تداعيه واعتلاله، ولكنه لم يَنْسَ بهذه الملمة أمر صديقيه، فضمنهم وصيته التي أوصى فيها وليّه بقضاء ثلاث حجج احداهن له، والباقيات لصديقيه، وأرفق طي هذه الوصية هذه الأبيات الخمسة، وبمرور الأيام تماثل للشفاء شيئاً فشيئاً حتى مَنَّ ا لله عليه بالشفاء ونفذ ما أوصى به هو بنفسه ... أما الأبيات فهي:

هالعام أبا أحج لمساعد
والعام الآخر لابن بادي
كاني بدنياي متساعد
ذي نيَّتي وا لله الهادي

اللـــي توفـــوا وانـــا قـاعـــد

فـي حـــادث صـــار لا عـــادي

اوصيـــت في برّهـــم واعـــد

والبـــر عـــادات الاجـــوادي

وان مـت مـا اوفيـت هـالـمـاعـد

يوفيـــه عنـــي حـــدا اولادي

****

٢٠٠- احترام حقوق الجيرة

من القصص التي يتناقلها الرواة ويؤكدون حدوثها هذه القصة التي حدثت لليل المتلقم من وجوه العجمان وشعرائها، والقصة سمعتها من حمد بن شبيب ونقلها لي أيضاً خالد العجمي في رسالة، كذلك سمعتها من منديل الفهيد، وفهد بن فردوس العجمي، ويدور موضوعها حول حلول ليل المتلقم ونفر من القبائل في احدى السنوات على وَبْدان أبو النين من سبيع، الذي كانت دياره مربعة وعشبها كثير. وكما جَرَت العادة عند العرب حول احترام الجار، وحماية القصير، وتقديره، وتقديم الرعاية له، ومشاركته في المجالس، والتندر معه بالفكاهات والأحاديث والأشعار، واجتناب ما يعكر صفو الجيرة، أو يزعج الجار، أو يكدّر خاطره، وخاصة عندما يكون الجار من خارج القبيلة.

وكانت الجيرة قد استمرت لثمان سنوات لم تجد الضغينة مكاناً لها، لكن دوام الحال من المحال، فقد حدث ما يعكّر تلك العلاقة حيث تناهى إلى سمع ليل المتلقم أن هناك من يريد أن يطيح بهذه المواثيق، ويضرب بها عرض الحائط في سبيل مصلحته، وأن يقوم بالتجاوز عن أداب الرعي المتعارف عليها، فيقوم بالرعي في أرض وبدان دون إذن من وبدان، فما كان من ليل المتلقم إلا أن قام إلى الرجل، وأنكر عليه سوء نواياه، وعنفه على هذا الخطأ الجسيم، وتجاوزه الأصول المرعية إلى هذا الفعل المشين، الذي لا يتواءم مع خصال الرجال الطيبة، وذَكّره بما كان بينهم من أيام عاشوها على الود والوفاء، حتى عاد الرجل إلى صوابه. وحينئذ قال ليل المتلقم هذه الأبيات من الشعر يعبّر فيها عن كرهه للاجحاف، وينبذ الغدر، ويشيد فيها بحسن الجيرة:

يا مَهْبلك ياللي تبي دار وَبْدَان

ذي ديرةٍ من جا يبيها لَطَمْنَباه

من حَد واد (رماح) لا جَو (ساقان)

دارٍ لسرفات المعاشير مشهاه

دارٍ لعز الجار ذربين الايمان

بني عَمْر لمدَوّر الشر يلقاه

يا زينهم كان اقبلوا لك بصفطان

والجار يرتع عندهم ما أحدٍ جاه

من (التريبي) للبرايك و(ساقان)

يا زين ذاك الخد لا زان مرعاه

ما قِلْت انا زورٍ ولا قلت بهتان

وعَيْبٍ على اللي قال قولٍ ولا احصاه

****

٢٠١ـ شاعر يرثي شالح بن هدلان

كل شيء يفنى ومصيره إلى زوال، وهذه سُنّة الباريء في خلقه، ولا يبقى إلا العمل الصالح والآثار الحميدة، وكل حي مهما بلغ من القوة والشهرة والمجد فمصيره إلى الفناء إن طال به العمر أو قصر.

لقد توفي الشيخ شالح بن هدلان وقبل وفاته كان قد شمل بعطفه وكرمه الشاعر فالح بن ابراهيم السبيعي عندما كان جاراً له، ولم يكن فالح يعرف بنبأ وفاته، فركب ذلوله، كما روى لي الفديع بن سلطان بن هدلان، بعد أن طال بينهما البعاد، يدفعه الشوق لزيارة الشيخ شالح والسلام عليه، وحين وصل الديار وجد الرجل قد وافاه الأجل، فحزن لذلك وجادت قريحته بهذه الأبيات التي يرثي فيها الشيخ، ويتحسر على فراقه، ويواسي فيها أهله والديار والاشجار، وكل من أظلهم الرجل برعايته ... قال الشاعر فالح بن ابراهيم السبيعي:

يا دار شاكيني وانا مثل اشاكيك	والاّ اصبري قبلك شيوخ القبايل
عيَّنْتي الهدلان ا لله يبريك	اللي لهم قب السبايا رحايل
كم مرة يا دار قد رَبَّعَوا فيك	والنْهُم على ذولا وذولا نفايل
يا دار اخو جوزاء عسى الوَبْل يسقيك	عسى تعلّك مرزمات المخايل
من عاد يا جرد السبايا بيرعيك	لازاف عشب الصيف وسط المسايل
يا دار شالح كل ما حل طاريك	وسط الحشا يا دار مثل الملايل

وهي أطول من ذلك.

****

٢٠٢- فــروســيــة

قبل أن ينعم هذا البلد بالأمن والأمان كان العهد الماضي تتناحر فيه القبائل فيما بينها، كل منها تحاول أن تتحين الفرص السانحة للانقضاض على غيرها وسلب ما تملكه من حلال ومتاع، ومع هذا لم تخل القبائل من قيم الشهامة والنبالة والشجاعة والخصال الحميدة، وأي بارقة لصفة حميدة سرعان ما يشيد بها الجميع، وينتشر خبرها بين القبائل، ويظل الفعل الحميد من المفاخر التي يتوارثها الأبناء عن أجدادهم، ويتناقلها الناس، ويشدو بها الشعراء.

ومن قصص الماضي روى لي حمد بن شبيب السبيعي عن قوم من الأعزّة من قبيلة سبيع، حدث أنهم أغاروا على قوم بينهم وبينهم عداوة، وسلبوا من حلالهم ما سلبوا، وألحقوا بهم هزيمة، وأخذوا بعض ما سلبوا مولين الأدبار، ولكن فرسان المسلوبين لحقوا بهم وحصل بينهم مناوشات وكان من بينهم الفارس سيف بن ذرفان الذي ضرب له فرساً وأعاقها عن جريها، وبينما هو في حفاوة النصر أنشد الأبيات الآتية معبراً فيها عن بهجته، ومفتخراً ببطولته، وبطولة جماعته: قال سيف:

لحقوا هل الخيل مرخين الاعنّه	يبغون فك العشاير بالمحاضير
السابق اللي لراعيها مضنه	خذا عوضها حذاها والمسامير
ساعة رمقت العلم ايجر ونّه	اخطا ظهرها وصابته المقادير
لعيون من نهدها بالوصف كنه	فنجال صين يعَدّى للمسايير
اركابنا كم حفيف قد خذنه	يشكنّ ضرب الحفا عقب المعايير

****

٢٠٣ـ ونعم الجيران

فهيد بن عويويد المجماج من أهالي (الأثلة) بضواحي (السر)، في سنة من السنوات نزل بقريتهم الشيخ الفارس مناحي الهيضل من شيوخ الدعاجين من عتيبة، في موسم من مواسم الصيف، وتجاوروا بالمنزل على مورد (الاثلة)، والشيخ من المعروف عنه الكرم، وطيب الخلق، ولين الجانب، حتى أن من يعرفه لا يستطيع التخلي عنه، وعن مجلسه، والتحدث معه بسهولة.

ومع مرور الأيام صار فهيد والشيخ مناحي صديقين حميمين متلازمين، يتنادمون بالأشعار والأحاديث، وتطول مسامرهم حتى الهزيع الأخير من الليل، ويفترق الأثنان وكلاهما يطوي وداً للآخر، حتى صارت صداقتهما مضرباً للامثال، ولكن مع حلول الشتاء، وانتهاء فصل الصيف، عزم الشيخ مناحي على الرحيل مبتغياً المراعي التي تطيب لدوابه، فودعه فهيد وهو آسف على حال الدنيا التي تجمع وتفرّق بعد الاجتماع.

وبعد أن طال البعاد ما بين الصديقين هز الحنين قلب فهيد لرؤية الشيخ مناحي وعشيرته وتذكر جيرتهم الطيبة وما كانوا عليه من التزام بالاعراف والمواثيق المتعاهد عليها، فقال الأبيات التالية التي يسندها على واحد من عشيرته يدعى عميرين، قال الشاعر فهيد المجماج:

لا وا لله الا صَمَّلوا يا عمَيْرين   وشالوا على بِيْض الغوارب زهابه

إلى قوله:

يتلون أبو خالد زبون المتلّين   لا جا لهن عند اللحيق المحطابة
آوي جيران على الكبد حلوين   مثل الحليب اللي لذيذٍ شرابه
لا وا لله الا جو وراحوا على زين   ما عذبوا جيرانهم بالطلابة

****

٢٠٤ـ حنيف بن سعيدان يمدح الشيخ الفرم

اشتهر الشيخ محسن بن صنيتان الفرم شيخ بني علي من قبيلة حرب بالكرم الزائد، والعطاء السخي، بالاضافة إلى شهرته بالشجاعة والفروسية حتى طار صيته ليس بين افراد قبيلته فحسب بل عند أبناء القبائل الأخرى في الجزيرة العربية، فصار مقصدا للعطاء والنوال.

والقصة التالية أوردها الشيخ منديل الفهيد[1]، وهي أن الشاعر حنيف بن سعيدان من مشاهير مطير وهو من ذوي سعدون جماعة ابن بصيِّص شيخ بريَه، ماتت ذلوله في احدى السنوات، وكانت ذلولا أصيلة، فاحتار لا يدري إلى أي أمراء القبائل يذهب، ليعوضه عنها، لكنه أخيرا قرر أن يتجه للشيخ الفرم، وفي ذلك يقول:

عَدَّيْت بالمرقاب من ضِيق جَوْلي
وهَيَّضْت بالمرقاب مما جَرَى لي
في مرقبٍ ما فيه زَوْلٍ يزولي
ما حوله الاّ نايفات الجبَالي
حَوَّلْت ما ادري وين تَنْصَى ذلولي
قمت اتذكّر وَيْن تِغْزَى الرجالي
يا اهل الركايب رَيِّضوا واقهروا الي
يا هَيْه يا هَل سايجات الحبَالي

(١) أورد هذه القصيدة الشيخ منديل الفهيد في كتابه (من آدابنا الشعبية ١/١٣٢)

خوذوا جوابي وافهموا كل قولي

خوذوا جوابي من ضمير زلالي

ان كان ابو جَلاّل ما هو بحَوْلي

من دونه الجازي تربّي الغزالي

أبا استعينه يوم ماتت ذلولي

حمرا تورّد يوم طال المحالي

إلى جن مع دَوّ سَرَابه يهولي

مثل النعام إلى حدّاه الجفالي

نِغْمِ بقول الناس ما هو بقولي

تمدح جنوب ويمدحونك شمالي

لك منزل ما يختفي بالفعولي

يعدّه الاول لِعَقْبَ التوالي

وان جا نهار الضيق لك به فعولي

لا جن مثل مخزمات الجمالي

تضرب بحد السيف ضرب يهولي

ولك عزوة ترهب خلاف التوالي

يقصد في البيت الأخير عزوة الشيخ عبدالمحسن الفرم المشهورة وهي: شريدة الفرسان أخو حسناء.

****

٢٠٥ـ شكوى الوحدة والغربة

القصة التالية جرت على حمد بن سعد بن سعمان من قحطان من جماعة الشيخ ابن لبده، وحمد من الذين يجيدون قول الشعر، وكان قد نزل به مرض بعيونه، وخشي أن يفقده بصره وروع لذلك أيما ترويع، وترك ذلك في نفسه أثراً بالغاً مما حدا به إلى مشورة الأطباء الذين أشاروا عليه باجراء عملية جراحية بعينيه مكث بعدها بضعة أيام ملازماً للفراش، وحمد الله على مالحق به من مرض وشفاء، غير أنه قد آلمته الوحدة وعدم مراسلة أهله له لأنه دائماً يخاطبهم ولا يردون عليه، واستهجن هذا الموقف الغريب منهم حيث لم يكلفوا أنفسهم بالرد على الرسائل التي يرسلها إليهم. وذات يوم تذكرهم وتذكر جماعته الذين يتزاورون هم وحمد كلما سنحت الفرصة، فقال الأبيات التالية على طريقة الصخري. أملاها علي عند زيارته لمدينة (الرياض) عام ١٤٠٤هـ. قال حمد:

يقول اللي تهيَّض في جوابه ... يغنِّي في طويلات الرجومي
يجيب من المثايل ما طَرَى له ... جداد من عجيبات الرسومي
من الضيقات كاثرةٍ اهمومه ... ويرقب من يعجِّل بالقدومي
بدا لي لازمٍ في كل طَيِّب ... وانا في مَسْدِحي تِقْل مْحَمُومي
رجيت من القرايب كل داني ... وكثَّرت الرسايل والعلومي
مكاتيبي قروها ثم رَدُّوا ... مَرَد اَهْل المقابر لهضومي
يناديهم بصوته ثم ينخا ... ولا منهم حَدٍ صَوْبه يقومي
لو أن سَيْفٍ حيٍ ما نساني ... ولا طاوع رديِّين العزومي
بوقت الضيق ما خلا عضيده ... ثنا له لين صابته السهومي

عسى قبرٍ سكن به رَوْض جَنّه ورروحه ما تجي حر السمومي
ولولا الدحملي ما استَتَر حالي ولا طابت من الخاطر احثومي
فزع لي جِعْل ربي ما يهينه وقال استر مكرَّم ومحشومي
جلس عندي ثمان ايام ساهر يحاضيني وعينه ما تنومي
خدمني مثل خدمة ذيب شالح مع الارزاق واكبار الشحومي
فقوموا ياهل البيضا وغنوا بروس القور عالية الخشومي
وقولوا يا حمد يابو محمد لك البيضا على الدنيا اعمومي
من عَمَان الى بيبان مكة ومن عَمَّان إلى وادي رعومي[1]

****

(١) والقصيدة طويلة تتكون من ٣٢ بيتاً. نعتذر عن بقيتها.

٢٠٦ـ حول الشيب والمشيب

قال تعالى: ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، والشمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ صدق الله العظيم.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

ومن يغتر بالدنيا فإني   لبست بها فأبليت الشيابا
جَنَيْت بروضها وَرْداً وشوكا   وذقت بكأسها شَهْداً وصابا
فلم أرَ غير حُكْم الله حُكْماً   ولم أرَ دون باب الله بابا

الإنسان مهما طال به الأمد لا بد له من المشيب، ولا بد لأيام الشباب وحلاوتها من الزوال، وعن الشيب وما يلحقه بالإنسان، ما وصلني من راشد بن كليب وما حدث له مع أمير هجرة (جو) عبدالرحمن بن كريسيع من قحطان الذي كان يمشي بالشارع والتقى بصديقه الشاعر راشد بن كليب ودار بينهما حديث حول الشيب وانطفاء جذوة الشباب، وحلول الوهن الذي يسري بالعظام والشعر الأبيض الذي يكلل الرأس والعوارض، ولكن الشيب يحمل معان ذات قيمة كالوقار والحكمة والسكينة، وما إلى ذلك مما هو جليل مثل قول الشاعر سويلم السهَلِي من قصيدة طويلة:

اعوم بها الليالي مثل غيري   مثل غيري ومثل اللي شكا لي
ولكن ما دريت الى ان راسي   مثل لون الثغام بعرض جالي
وفِتِرَ الحَيْل وصار الجسم منّي   ضعيف وناحلٍ مثل الخلالي
ومع الثنتين شال الكف ثالث   اشيله في يميني عن شمالي
وطاحن الضروس مع الثنايا   وشمسي غَرَّبَت واقفا ظلالي

أما عبدالرحمن بن كريسيع فقال أبياتاً يسند على صديقه راشد بن كليب وحين سمعه راشد رد عليه بأبيات مماثلة. يقول عبدالرحمن:

يا رَبْعنا شَيّب ابن كْلَيْب — والشيب بانت مقاديمه
الشيب يا ناس مابه عيب — ترفع وقاره هل الشيمة
راشد مقر الكَرَم والطّيْب — والضيف يفرح بتكريمه
شاعر وفي منهجه ترغيب — فوايده في مناظيمه
برهان قولي بلا تكذيب — طول النفس في ملاحيمه

فعندما سمعه راشد بن كليب أجابه في الحال بقوله:

يا معارض الشاعر ابن كليب — ماهوب مقصدك تحطيمه
مدحتني يا نزيه الجَيْب — والشيب معلوم له قيمة
يا كاسب الطيب بالترتيب — كرامه الضيف تحشيمه
يا ابن كريسيع عِلْم الغَيْب — في دِبْرَة الله وتصميمه
شيبٍ على الطيب ما به رَيْب — لاحل غَطّا مجاهيمه
شيبٍ طبيعي ماهو تركيب — ياكبر حقه وتعظيمه
والشيب مافاد به تخضيب — بِيْضٍ وسُودٍ براعيمه
شابوا ولا خِلّيَوا تجنيب — واهل الكرم هم شغاميمه
ابن كريسيع بالترحيب — قدام ظيفة ملازيمه
والذبح ماهو عليه صَعِيب — جل الغنم منه تقديمه
لاهل الكرم ما يبي تجريب — يبدي حجاجه تباسيمه
كل الجمالات منبع طِيْب — نالوه يوم ان تقسيمه
والجد قحطان نعم الصيب — من هود مَجْنَى ضراغيمه

****

٢٠٧ـ من قصص ابن مغامس صاحب الخطامة

مغامس بن حمد بن مغامس، راع (الخطامة) في منطقة (سدَيْـر)، كان ساكناً (حوطـة سـدير) وشـأنه شـأن أهـل بلـده ومـا هـم عليـه من الكـرم والشـجاعة والتمسك بالأخلاق الطيبة والقيم النبيلة والصمود أمام الشدائد التي تحيـق بهـم ما بين حين وآخر مثل سـنوات القحـط والجـدب وتـأخر المطـر وغـير ذلـك مما يتعرَّض له هو وجماعته في حياتهم. وكان مغامس قد أراد أن ينتقل عن (الحوطـة) ويسكن (الخطامة)، وذلك على عهد الامام تركي بـن عبـدا لله آل سـعود، وقـد دفعه إلى ذلك حنينه إلى ديرته وتمنيه أن يراهـا مزدهـرة بـالخضرة وبهجـة الحيـاة وأن تجد فيها الدواب مراتع خصبة، فعمل على حفر بـئر عـانى فيهـا كثيراً مـن المشقة والعناء وأفنى فيها سنيناً من عمره. فقال الأبيات التالية التي يوصـي فيهـا أخاه بأن الانسان مصيره الموت في نهاية مطافه بالحياة ثم يؤول إلى حفـرة القـبر. وقد ذكر بالأبيات أنه تكلف في حفر البئر حتى غشى الشيب رأسه، لكن تجدهم لا يتخلّون عن مواقفهم الطيبة، ولعل أكبر دليل لذلك قول الكثير مـن الشـعراء منهم على سبيل المثال الشاعر صالح الخفاجي القحطاني الـذي قـال أبياتـاً حملهـا أهل مركوبة إلى أهل (الخطامة) بقوله منها:

ياهل الرّكّاب ان كان معكم دليلة	صوب (الخطامة) ماكر الجود والطيب
تلفـون ديـرة حايشـين الجميلـة	كبّار الصحـون ونـاطحين المواجيـب
قبيلـة يـا حَيَّـها مـن قبيلـة	بهـم الكـرم يـوم السـنين الشـلاهيب
يفداهـم اللـي شـاوروا للحليلـة	كبـار الانفـس نـاقلين المشـاعيب

أما الأبيات التي قالها مغامس بن حمد يسند على أخيه ويوصيه فمنها:

ذي ديرة ياخوي انا جِزْت منها   أشوف ما قلبي هلها بيلاف
انا بعت برد اظلالها مع وَطَنْها   بعته بعشعوش بنيته من الغاف
وحفَرْت بير شيَّب الراس منها   في ربعة ما حولي احد ولا اشاف
وقطعت لها من شرقي الضلع عنها   وجبت الستاد اللي يشورب له الساف
وخسرت فيها ما يساوي ثمنها   في ذمتي لحّقْت دين مع اسلاف
وجاني طليب محنة من محنها   مِتْلَقّفٍ عند الخصومات زهَّاف
كثر الطلايب مهنته ممتهنها   شَلاَّب نَهَّاب على كل ما شاف
مع علهب شيطانها ممتحنها   يبي يوردها من البني ميهاف
قيد لها في طاعة الله وهنها   واحذر هواها لا تورّدْك الاتلاف
ترى عوض مالك لنفس كفنها   يرمونك الورّاث في بعض الاجاف

****

٢٠٨- الأمير عبدالله بن محمد بن سعود وحسن الجوار

عيد بن سعران من قبيلة سبيع ارتحل هو وبعضٌ من عشيرته باحثاً عن المرعى حتى هبطوا في عدامة (دغيم) بنواحي (الدهناء)، وبينما هم يرعون دَوَابَّهم مر عليهم بعض القناصة يريدون الصيد فإذا بهم يضربون الخيْام بجوارهم وظلوا باقين في جوارهم فتره من الزمن لم يروا منهم ما يسيء أو يعكّر صفو الحياة، فذهب إليهم عيد بن سعران ملتمساً التعارف معهم ويبدي لهم رغبته بالعزيمة والتآنس بهم، وكان للمفاجاءة وقعها إذ كانت هذه الخيام للأمير عبدا لله بن محمد بن سعود الكبير رحمه ا لله، فرحب الأمير بعيد وأكرم وفادته وأشركه مسامرهم والحديث معهم، وجاد عليه بالفضل والسخاء حتى صار عيد نديماً لهذه المسامرة، وكان الأمير يذهب إلى عيد ولا يبخل عليه بالزيارة ومشاركته هو وعشيرته مجلسهم وتناول القهوة معهم، حتى أتى اليوم الذي رحل الأمير فيه إلى (الرياض) وترك الحظاير والعنن محلها. وكان لهذه الجيرة أثرها الفريد في نفس عيد حتى أنه تأثر لفراق الأمير ومن معه وظلت المسامرة في مخيلته، ومر عليه رجل يدعى الهيلم أبو ورده من قبيلة العجمان، وكان له سابق معرفة بعيد فسأله عن مقصده فعرف أنه قاصد (الرياض)، وتعجب الهيلم من الحظاير، وسأل عن صاحبها، فأفهمه عيد أنها للأمير عبدا لله بن محمد بن سعود الكبير، وقص عليه ما كان من كرم الأمير ورقي مجلسه وما كان يدور فيه من أشعار وكلمات، وأودعه خطاباً ضمنه الأبيات الشعرية الآتية ليبلغها إلى الأمير، وهو يشيد فيها بالأمير ومجلسه وصفاء الأيام التي عاشها معه، قال عيد:

يا هيلم سَلّم لي على طير حوران

الخد عقبه كن ما فوقه اوناس

يا وا لله اللي جاب شقران شقران

سيفٍ إلى منّه هوى يقطع الراس

حرٍ إلى منّه شَهَر صاد ما كان

ماهو يضايف لابرق الريش دواس

له سفرةٍ يشبع بها كل جيعان

ما حَسَّب الدنيا وللمال حراس

****

٢٠٩ـ أخذها الغراب وطار

شر البلية ما يضحك، والانسان كثيراً ما تخونه الدنيا وتبدل أفراحه إلى أحزان، ويعتبر المثل الشعبي الذي يقول (يا فرحة ما تمت أخذها الغراب وطار) من الأمثلة الحاذقة التي تذكر في مواقف كثيرة، والدنيا دائماً تخون صاحبها. ولعل القصة التي رواها لي راشد بن كليب عن الشاعر مسعود بن توَيْنم من أهالي (الحريق) تؤكد هذا المثل أو المثل يؤكدها، فيروى أن مسعوداً عاش في فترة سابقة لم تكن الحياة فيها رغيدة كما هي الآن بل كان على الانسان أن يكد ويكدح بحثاً عن لقمة العيش التي تسد حاجته هو وأسرته، وكان الشاعر قد أحب ابنة عم له فتاة على قدر من الجمال قد أسرت قلبه وملكت عقله، وعندما تقدم لخطبتها أعطاه عمه الموافقة المشروطة بتدبير المهر وتوفير أسباب الحياة له ولزوجته، فظل يعمل ليلاً ونهاراً يكابد العناء والشقاء حتى يظفر بابنة عمه التي يحبها، ويقترض من أصدقائه على ريال ونصف ريال حتى تمكن من ذلك وتحقق له المراد، وزفت إليه، ولكن سعادته بها لم تستمر طويلاً، فقد أخذها الأجل المحتوم منه بعد خمسة أيام من زواجهما، فحزن مسعود وتأثر تأثراً بالغاً وقال أبياتاً من الشعر يرثي فيها حاله ويتوجع على رحيل زوجته عن الدنيا تاركة إياه وحده للهموم. قال مسعود بن تويم:

لا والله اللي توفّى ناعم العود	ياليت موته خذا غيره وخَلّاه
أبو جديلٍ على الامتان مرجود	خَطْرٍ على الزين ترجح به زواياه
الموت شاله وحظي صار مقرود	ماهوب يرحم ولا ياوي لمن جاه
ياليت مضنون عيني حي ماجود	وأعيش مع جولة الايام واياه

وعند سماع أخيه عبدا لله بن تويم للأبيات أجابه بأبيات مماثلة مع رسالة يعزي فيها أخاه ويذكّره أن الموت حق ولا أحد يقدر يرده وأن هذه سنة ا لله في خلقه. قال عبدا لله بن تويم:

عِزِّى لمن هو حزينٍ مثل مسعود	جيته من الحزن ييّاس شفاياه
يبكي على صاحبه ودموعه اضمود	والدمع جَرَّح خدوده زاد بابكاه
مسعود من حزن غض العود ملهود	والواجب إنه يقول الحمد لله
الموت لاجا ترى ماهوب مردود	والعبد ما دَبَّر المعبود يرضاه

****

٢١٠ـ منّ قصص حسن الجوار أيضاً

ناصر بن عجيان من الأعزة من قبيلة سبيع من الفرسان الذين تعارف الناس على شجاعتهم الفائقة والكرم الفياض حتى ذاع صيته واشتهرت أخباره، وكان ناصر قد حل على رجل من قبيلة العجمان وجاوره بالمنزل فأحسن الجيرة حتى عهد عليه الرجل حسن الخلق والمحافظة على الجيرة والمبادرة بالمساعدة وتوفير الحماية له والتعاون حتى أحب كل واحد منهما الآخر وأسرته وسعدوا بهذه الجيرة وتلك الصداقة، وحدث أن أصيب ناصر بمرض في يده وهو ما يعرف عند العامة بمرض العنكبوت، وقد فسر البعض سبب اصابته أنه داهمه اثر معركة، وفسره الآخرون غير ذلك والصحيح أنه ابتلاء من الله والمؤمن دائماً مبتلى، فأثار ذلك شجون أم الرجل العجمي وتمنت لو أن هذا المرض أصاب أحد الرجال الخاملين كما حزنت على ناصر وأخذت تردد الأبيات الآتية متمنية له الشفاء العاجل من الله حيث تقول والدة العجمي:

تِنْحَن يُمْنَى ناصرٍ من وشلها ... ياليتها يُمَنَى الردي القموحي
يُمْنَى ترحّب بالركايب واهلها ... لا شحوا الرديان ماهو شحوحي
ان هَجّن العيرات ناصر ثقلها ... وانيابهم من غير ضحك اكلوحي

وناصر من الذين شهد لهم بالشهامة، وصفوة الجيرة، حتى وافاه الأجل في معركة من المعارك فرثاه أيضاً جار له يدعى دغيم بن دوخي من شمر عندما مر على قبره فوجد عنده ذئباً يعوي من الجوع حول القبر فقال الأبيات الآتية يوصي فيها الذئب بعدم التعرض لجثمان ناصر السبيعي ويستجديه للحفاظ عليه سارداً على الذئب مآثره وشجاعته وعفاف نفسه.

قال دغيم:

يا ذيـب يـاللي هَيـّض القلـب بعـواه   القـرم مـن ريحـه تجيـك الذعـاير
يـا ذيـب عنـدك نـاصر لا تعشّـاه   خلـك بعيـد عـن عفيـف القصـاير
ياليتنـا يـوم الملاقـا حضرنـاه   يوم الشميدي واشـهب الملـح ثـاير
امّا اعترضنـا دون نـاصر وُجِنْبَنـاه   والاّ غدَيْـنـا في طريقـه خسـاير
ليتـه فـداه اللـي ذلولـه معفّـاه   لاهوب لا غـازي ولاهـوب غـاير

****

٢١١ـ من قصص المروءة عند نساء البادية

القصة التالية جرت في حدود عام ١٣٤٩هـ تقريباً .. على الشاعر سعد بن ابراهيم العريفي من أهالي (مزعل) من ضواحي (القويعية) حسب ما روى لي ابنه ابراهيم بن سعد. يقول كان له مجموعة من الإبل بما يسمى (عدولة) عند البادية، فذهب هو ومجموعة من جماعته لتجميعها من جهة (الدهناء) و(الصمَّان)، وفي أثناء مسيرهم وردوا على مارد ماء لانهم مظمين هم وجيشهم، وكان الماء بعيداً وليس معهم عِدَّة وحِبَال طويلة تجذب الماء، وكان على الماءِ مجموعة كبيرة من الإبل للدوشان شيوخ مطير وعندها ناس مشغولين في سقياها رجال ونساء، وعندما انتهوا من سقيا إبلهم وملأوا ما معهم من القِرَب شاهدت احدى بنات الدوشان الطراقي واقفين عِلى جيشهم، طلبت من جماعتها مساعدتهم وفعلاً أسقوا ركايبهم وملأوا ما معهم من القرب، وقالت: تراكم معزومين عند العرب والحمد لله جيتوا وحنا قريب من الماء لكي نساعدكم. وهذه من التصرفات الحميدة والمروءة والرقة والعطف على مساعدة بعضهم بعض. وبهذه المناسبة قال الشاعر سعد بن ابراهيم العريفي الأبيات التالية:

ليلة الجمعة ركبنا على عوص البكار
في اديار ما نعرف المثايل يمَّها
من خشوم (الحرملية) نبي مارد مطار
مارد سبيع اللفية علينا لمَّها
جيشنا من نسل منسوب منتوب الحرار
طايل الطرقة وطول السفر ما همّها

الحَفَا بيدينها من يمين ومن يسار

وان وطن حزمٍ تحنَّا الحجر من دمّها

جيشنا مظمي وماء العد يحتاج اقتدار

كايدٍ عسر المجاذب بعيدٍ جمها

رد زمله نافل الجيل قد صَدَّر وسار

وقال هات الحوض والراوية له زمها

ارتوينا وارتوى الجيش وأروينا البدار

وقال حييتوا ضيوف لبوها وعمها

ويتعذر دون خله وهو مقلوع دار

واخوته بذالة الجود وأبنا عمها

صاحبي زين التمدري وحلوات العذار

والمروة والمزايا الحميدة كمها

صاحبي له بين ورد الدحل حشمه وكار

يسعد اللي سيد البيض حضه ضمها

تستحق المدح والشكر كله والوقار

حيث خلاقة وصوف الشرف به تمها

عقب فرقا الترف باقصى الضماير دق طار

وكل ما بريت اجروح الضماير شمها

****

٢١٢- لا معطي إلا الله

الكرم من المأثورات العربية التي لا تطلق إلاّ على الكرماء الذين يعطفون على المحتاجين ويقاسمونهم رزقهم، والكريم قد يتعرض للظروف الصعبة، ولكن ا لله سرعان ما يفرج بكرمه عثرات الكرماء، لأن من كان في حاجة أخيه كان ا لله في حاجته. والرجل الكريم لا يضام، فهذه قصة من قصص الكرم جرت على صنهات بن رقيدان الديحاني المطيري كما روى لي ابنه صنيتان بن صنهات الذي يقول: كان من ذوي الكرم وكانت يده تجود بسخاء واريحية، وفي يوم ضاقت به الحال فألمت به ضائقة مالية، فأخذ يسأل جماعته وأقاربه العون على متطلبات الدنيا ولكنهم أعرضوا عنه لظروفهم التي لا يعلمها إلا ا لله، حتى ضاقت به السبل وأغلقت دونه الأبواب، فقطع على نفسه ميثاقاً ألا يطلب شيئاً من أحد وأن يتوجه بالدعاء إلى من لا تغلق أبوابه ولا تنفذ خزائن رزقه. والأبيات التالية تبين ما كان من حاله لأنه من الصعب التخلي عما كان عليه الرجل من كرم، وأخيراً منّ ا لله عليه وتحسنت حالته المادية. وقد قال الأبيات التالية يصوِّر حالته ويبتهل إلى ا لله مبدِّل الشدات باليسر ومفرِّج الهموم والكروب:

أمسيت قلبي داخل فيه سوهاج

سوهاج قوم يخلفون المكاني

لولاي اعذله كان من ماقعه ماج

يفز من بين الضلوع المحاني

وقعدت لين ان أول الصبح ينباج

وقلبي يهوجس يا مطر بالمعاني[1]

---

(١) مطر أخو للشاعر.

اقسّم اظنوني ترى الصبح منهاج
والدرب عاد لطيّب العرف باني
رَبْعٍ جفوني يوم انا جيت محتاج
لا عاد محداري لهم هالزماني
لو جيت أبا منهم محاصيل وافراج
ما حاصلٍ لي كود ما الله عطاني
يا الله يا المطلوب يا راع الافراج
يا مبدّلٍ عقب القسا بالليانى
تفرج لعينٍ فوقها الدمع روّاج
عيّت تكف الدمع مما جفاني

****

٢١٣- تنفيذ وصية الوالد

جُلْهُم بن حمود من قبيلة قحطان ومن سكان (الحريق) صاحب كرم ونخوة شهد له بحسن الطباع وعرف بالوفاء ومساعدة المحتاج، وكان له أب كبير السن، كما روى لي راشد بن كليب، وكان قد ألم به مرض أيقن منه نهاية مطافه بالحياة إذا أراد الله ذلك، فجمع أولاده وأوصاهم بأن يحضروا ثلاث رؤوس من الغنم على سبيل الأضحية بعد وفاته، وأمرهم بأن يحددوا كل شاةٍ على حدة وأن يسمونها بوسم معَيَّن لكي تنحر الشياه بعينها التي اختارها يوم عيد الأضحى، وبعد أن وافته المنية وجاء وقت تنفيذ وَصِيَّته فإذا بهن مواليد فعز عليهم ذبحهن وآثروا أن يتركوهن ويذبحوا بدالهن ثلاثة خرفان أفضل منهن، ولكن الشكوك ساورتهم بأنهم سيبخسون الوصية حقها، وكان الشاعر عبدا لله بن تويم من جيرانهم فعرضوا عليه الأمر عسى أن يجدوا عنده حَلاً يبدّد مخاوفهم ولكنه أشار عليهم بأن يذهبوا إلى أهل العلم والفتوى فهم الأجدر بحل هذه المسألة والتعرض للفتوى فيها، هذا مع العلم أنه مؤمن بأن الله يحاسب على النوايا، فقال الأبيات التالية:

ابنصحك يا جلهم نصيحة بدون اخصام
وانا لك رفيق ولك بقلبي مَحَنِّيَّة
ثلاث الشياه اللي عليها ثلاث أرقام
توالد ثلاث اسنين واماتها حَيَّة
ضحايا وصيّة والدك والسلام اختام
ولا نيب شيخ اعطيك الاحكام شرعية

اَعَلّـمْك يـا جُلْهـم ولا ينـفـع العَـلاَم

ان مـا عَـلّـــم ا لله مــا تســر العـلـومـيــة

منـايحك يـا جلهـم ضحايــاك قبــل العــام

وذي ثالثـة مـــا ذبـــح للميـــت اضحيـــة

ولـو تذبـح اربـع وانشـد مفسـر الاحـــلام

تـوثـــق بـعـلـــم وربـنـــا يعـلـــم النـيـــة

****

٢١٤- من قصص جهز بن شرار أيضا

هذه القصيدة رواها لي الأخ فايز الحربي وقد سبق أن أوردها عبدا لله بن رداس[١]، وهي أن جهز بن شرار من شيوخ ميمون من مطير عندما مر في احد قرى نجد لشراء القهوة، وكانت القهوة من ضروريات البدوي في الزمن السابق كما كانت مظهراً من مظاهر الكرم والرجولة، والمهم أن ابن شرار دخل السوق متأخراً قبيل صلاة الظهر فأغلقت أكثر الدكاكين قبل أن يشتري حاجته من القهوة، فصار يتردد بين البيوت والسوق لعل أحداً يدعوه للقهوة ويرتاح عنده إلى بعد صلاة العصر في وقت لم تكن الفنادق والمطاعم معروفة عند أهل نجد، لكن الأبواب ظَلّت مغلقة فاضطر إلى البقاء في السوق إلى أن فتحت الدكاكين أبوابها ثم أخذ حاجته ولحق بأهله. وقد ذكّره هذا الموقف بحاله عندما يذهب للمدينة المنورة وخاصة حي (العوالي) الشهير في (المدينة المنورة) الذي يسكنه بعض قبائل حرب وهم بنو علي والفردة، حيث اعتادوا على ترك مجالس الرجال مفتوحة للأضياف حتى لا يحتاج الضيف فيها إلى طرق الأبواب، وقال بهذه المناسبة قصيدة طويلة منها:

يا راكب اللي كرّبَت بالحبالي

من ساس جيش هتيم يمهر جمَلْها

ليا شافت السابر من الرجم مالي

كن الخلاصة عينها من زعَلْها

---

(١) شعراء من البادية، ابن رداس ص٧

تسرح من (الحوطة) ملافي الجمالي

ثم عقّبَت (بلعوم) والضلع عنها

دارٍ بها مر الفناجيل غالي

مالي سبوح يوم انا في وطنها

يا ليتني سَيّرت يَم (العَوَالي)

اللي ترحّب بالمسايير اهلها

شرّايةٍ للكيف لو كان غالي

ولا صَكّوا البيبان عن من دَهَلْها

****

٢١٥- المظاهر الخادعة

مظهر الرجل ليس دليلاً على جوهره، ولهذا فالرِّجَال مخابر وليسوا مظاهر، لكن البعض قد يتسرع في الحكم على الطرف الآخر من مظهره ثم يندم حين لا يفيد الندم. والقصة التالية مثال على ذلك، حيث أن احدى الفتيات قد وقعت في مشكلة كبيرة بسبب تسرعها، وذلك أنه جاء رجل لخطبتها وما إن لمحت وسامته ومظهره الذي يوحي بالرجولة حتى وافقت على الزواج منه بل إنها خالفت رأي أهلها الذين عرفوا بخبرتهم أن هذا الرجل قد يخيب آمالهم وآمال زوجته. وهذا يذكرنا بقول الشاعر العربي:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خَلِقٌ وبعض قميصه مرقوع

لكنها أصَرَّت على الزواج منه، وسرعان ما اكتشفت أن أهلها كانوا على حق، وأن الرجل مظهر بلا جوهر وصورة بلا محتوى! وحينها ندمت ندامة كبيرة وحزنت لذلك ولكن بعد فوات الأوان. وأخذ الحلم يتحول إلى كابوس مزعج، فبدأت تتذمر عليه وتهمس لمن حولها حتى وصل الخبر إلى أهلها فلم يحركوا ساكناً وأرسلوا إليها ليعلموها أنها هي التي اختارت وعليها أن تدفع ثمن الاختيار وتجني ما اقترفت يداها، فأخذت تعبّر عن الألم والتحسر في أبيات شعرية هي:

حلفت لا اجزيك يا عيني
لا اجزيك لو النظر غالي
مع السهل ما تقدّيني
لما تشوشعت للجالي

حقـك ومـا جـاك يـا عيـنـي
حقـك ومـا جـاك بالتالـي
تـرى المراجـل مـع الدِّينـي
ما هو تنصب عـلى الخالي
لاشِفْت هرجـه سباحينـي
ويميّـل اللبـس و عقالـي
اطلب عسى الرب يعطيني
ويخلّصَـن منـه بحبالـي

****

٢١٦- أم غلماس

روى لي دبَيْس بن مهلهل العلوي الشمري يرحمه الله أن أم غلماس فتاة اشتهرت بالحسن والجمال وذاع صيتها بين أهل زمانها، حتى صارت حديث المجالس وخاصة مجالس الشعراء، حيث تغنى بجمالها كثير منهم وحولوا جمالها إلى مادة شعرية كل منهم توسم أن يتزوجها ولكنها متأبية لا ترغب إلا أن تعيش في قلوبهم وخيالهم. أمهروها القصائد والأبيات ولكن ماذا تجدي نفائس الكلمات للثناء، نشدتْ المزيد، فتأججت قرائحهم حتى كاد يخبوا ما فيها تحسباً انهم دنوا منها ولكن برجها يعلو ويزداد بريقاً.

قال صليبيخ الفهيدي من حرب أبياتاً عند ما لمحها وهي تغسل رأسها ما درت عنه:

يا وجودي على حب أم غلماس　　　يا وجودي على راع الغلاميس
يوم شفت الحبيِّب ينْشر الراسي　　　كالجنايد على خيل الدهاليس[1]
والثنايا كما النوَّار متواسي　　　قحويانٍ بدرب الوَسْم ما ديسي

وقال الشاعر مسلم بن عمر الشمري يجاوبه ويتمنى كذلك:

يا وجودي على حب أم غلماسي　　　يا وجودي على راع الغلاميس
يوم شفت الحبيِّب وقت الادماسي　　　حيرن صاحبي لوًّا لواليسي
المعاليق يا المجمول يبَّاسي　　　كيف انا اصبر وهن مثل المحاميسي
يا شبيه الغزيِّل ظبي الاطعاسي　　　طَمّها الريح مع صلف النسانيسي

---

(١) الدهاليس: يقصد الدهاليس من الفردة من حرب الذين اشتهروا بالفروسية واقتناء أصائل الخيل.

شبه صفرا زهت في زين الالباسي   تتلي اللي يحوشون النواميسي

فعارضه الحميدي بن علوي الشمري بالأبيات التالية يقول:

أطلب ا لله ملا حب أم غلماسي   هي ويالبيض لو حطن محابيسي
طالبه بنت حر ماها اجناسي   غيرها كل طلباتي حماليسي
ما حَلاً شوحها والدل متواسي   بالنشاما بعيدين المراميسي
والردي لو لبس له ثوب قرطاسي   ما يثيب الردي لبس القراطيسي
اكثر الجوخ لبسه ساير الناسي   ويتشبَّه علىَ لبس السناعيسي

وعندما اطلع على قصايدهم الشاعر مهوِّس الفلاج الشمري رد عليهم ويحذرها من الانخداع بقول الشعراء، ويوصيها في ثقل العقل بقوله لا يستخفونك بمدحهم، يقول:

يا بنت حذرا مصافا عايب الناسي   اللي بركنك يدُورون الملاميسي
لا يطيِّرونك بقولة يا ام غلماسي   يا من قلبك يطبّنه هواجيسي

****

٢١٧- المنع وآثاره

النَمَنْعُ أو الحَجْرُ من العادات التي كانت معروفة في مجتمع البادية قبل عصر الاستقرار والأمن الذي نعيشه في عهدنا السعودي الزاهر الذي قضى على كثير من العادات الاجتماعية السيئة عن طريق نشر الوعي الديني والحضاري في مجتمعنا. والمقصود بالمنع أو الحجر هنا هو منع البنت من الزواج من غير أبناء عمها القريبين، وإذا رفضت تظل بدون زواج حتى تصل إلى سن العنوسة حيث تبقى هي رافضة وأقاربها يردُّون من يريد الزواج منها لأنها محجورة لابن عمها.

وقعت أحداث القصة التالية على رجلين من رجال البادية وكانا يتيمين أنعم الله عليهما بخير وفير بدواب من الإبل والأغنام وكان أكبرهما يسمى حَيَّاد، مع الإبل، أما الصغير واسمه عايض، مع الأغنام، وقد أوصى به أبوه أخاه حياداً أن يحسن إليه فكَلَّفه برعي الأغنام، ووقع عايض بعشق فتاة حسناء رآها على مورد للمياه، وفي اللحظات البسيطة وعلى حين غفلة، والناس يتزاحمون على السبق للسقيا، أومأت إليه بنظرة خاصة معربة عن مبادلته نفس المشاعر، فتعلق بها قلبه ووقع في غرامها بعد أن عرف أنها تفضله على ابن عمها، راقبها من بعيد وتحرَّى عنها، وعن أخلاقها وأهلها، وعندما حَلَّ المساء، عاد إلى أخيه وبَثّه ما يكابد من غرام تلك الفتاة، فسأل أخوه عن اقتناعه ومدى رغبته في الزواج منها، فأطلعه على ما نوى فصحبه أخوه ومضى به إلى أهلها ليخطبها له، ولكن لم يوفق سعيهما ولم يحظ بموافقة أهلها لمنع أبناء عمومتها لها، فبات الليل ساهراً تساوره الهموم وتضجره اللوعة، يفكّر كيف الوصول إلى حل يريحه، فاهتدى إلى حل هو أن يعاود المحاولة مرة ثانية، فذهب إلى أهلها خفية من وراء ظهر أخيه آملاً أن يفوز بمطلوبه وأن يكلل سعيه بالتوفيق، ولكنه عاد هذه المرة

برفض أكثر من الأول، ولما علم أخوه استشاط غضباً وراح يكثر عليه من اللـوم والعتاب على اعتبار أن الرفـض جرحـا لكبريـائهم، وعندمـا رأى الحـزن يستبد بعايض، نصحه بأن لا يعود لمثل هذا الفعل لأنه يستوجب اللـوم، وذكـره بحفـظ ماء الوجه، وأنه باستطاعته أن يزوجه بأفضل منها جمالاً وحسـباً ونسـباً، وأخـذه معه ورحل عن هذا المكان وبهذه المناسبة قال عايض أبياتاً شـعرية مؤثـرة يتذكـر فيها معشوقته ويلوم أخاه حَيَّاداً الذي لم يحقـق لـه رغبتـه ولم يتـم وصيـة والـده الذي أوصاه بأخيه الأصغر.

وأما الأبيات فمنها:

يـا عــد جـاك مـن الهمـايل طاعـة	مقياضنـا يـوم ان حنـا جميعـي
يجـي لهـا فـوق القليـب انهطاعــه	تلقي على روس القيـاصر لميعـي
شـدَّوا ودنَّـوا لـه قعـود زعاعــه	مـا صَلْفقـه حَيَّـاد يـوم الربيعـي
مظهورهـم يعجبـك زيـن انتزاعــه	عَدَّيت لين الشوف دونـه يضيعي
يـا خلـي اللـي كـن لمعـة اذراعـه	قنديـل تـرك يـوم يلمـع لميعـي
ابـو نهـود مـابهن انهزاعــه	حمر ثمرهـن ماهجهـا الرضيعـي
وَصَّـو عليـه مْهَمّلـين الوَدَاعــة	يا كـثر ضِـدَّات تجي من وديعي
ليتـه حفظـني مثـل راع الوداعـة	لين الوداعة عنـد أهلهـا تريعـي
وَجْدِي عليهـا وجـد راعـي زراعـة	جاها مـن المنشـا سَحَابٍ سريعي
وُهَلّـت عليهـم مِزْنــة بالخلاعــه	وُخَلّت سَبَلْها بالقنـاطر جضيعي

****

٢١٨ـ عَيْبٍ على اللي بنات الناس يبلاها

روى لي منديل الفهيد أن ابن حجّي من جماعة الفغم شيوخ الصهبة من قبيلة مطير كانت له ابنة عم متوفر فيها الخصال الطيبة والجمال وكان له صديق اسمه بدر بن جهبل أغرم بها ويتوق للزواج منها، فطلب من صديقه ابن حجي أن يتوسط له عند أهلها وكان ينازعه عليها أبناء عمومتها الأقرب منه نسباً إليها، فلما عرض الأمر على ابن حجي ساعده الرجل وسعى بدوره سعياً حميداً فجمع أبناء عمومتها على القهوة وحكى لهم خبر ابن جهبل وأثنى على خلقه وأفاض في وصف شيمه وأخلاقه، وبعد مداولات ومشاورات وافقوا على زواجه منها، فاستبشر ابن جهبل وأعد لوازم الحياة التي يتطلبها بيته الجديد وكالعادة أرسل ابنة عم له تسمّى وضحا معروف عنها الذكاء والبلاغة في الحديث والمسايرة والفطنة في مثل هذه المسائل لتحدد موعداً للزواج، وتم الزواج في الوقت المعلوم، وبدأت حياة الزوجين بداية حسنة في بداية الأمر، لكن الأمور تغيَّرت فيما بعد وحصل خلاف بين الزوجين أدَّى إلى أن الزوجة تركت له البيت ورحلت إلى ديار أهلها وندم على هذا الزواج. فقال ابن جهبل أبياتاً للأسف أنني لا أعرف منها غير هذا البيت:

ياليت ما جان ابن حجّي ولا جيته

وياليت وضحا أفلست من فوق وَجْناها

يقول ياليتها ما عطيت الموافقة.

وعند سماع صديقه ابن حجي للأبيات أجابه موضحاً له أن الشخص الذي ما يريدك لا تحرص عليه. قال ابن حجي:

اللـي بغـا مـني الطّـلاّب مضيّتـه

وحاجتك يا بدرِ عَلَيَّـه اقضياهـا

يوم انت تركـض وراس الرجـم عَدَّيْـتِه

تِشرِف على ما زَمَى لـك من رعاياهـا

عَنَّـزْت لـك لـين راس الحَبْل شَـدَّيته

واليوم ماني مْلَيـمْـك انـت وايّاهـا

كان افـترقتوا عسى فرقا الى المِينْتَـه

وان اجتمعتـوا لعلَّـك مـا تعدّاهـا

ومن صَـد عـني لـه الطـاروق خَلّيتـه

وُعَيـبٍ على اللي بنات الناس يبلاها(١)

****

(١) يقول بالبيت الاخير ان الذي لا يريدك لا تحرص على وداده ومحبته.

٢١٩- أبيات لها قصة

شعيفان بن خدعان من قبيلة العجمان، شغف قلبه بفتاة ذات جمال ودلال مع ما عرف عنها من الصفات الحميدة كالعفة وعدم الغرور بجمالها الذي كان يثير مطامع الرجال بالزواج منها. ولكن قلبها أوصد عن الخاطبين ما عد شعيفان فبادلته المحبة والغرام، واتفقا على أن يكون هذا الحب طاهراً عفيفاً وتقدم لخطبتها حسب ما روى لي شخص لا يحب ذكر اسمه، ولكن أهلها لم يوافقوا بحجة أن أولاد عمومتها هم أحق بها منه فهم أقرب منه إليها نسباً وذلك في العهود الماضية قبل أن تستضيء القلوب بنور العلم والمعرفة، وكان شعيفان صديقاً للشيخ فدغوش بن شَوْيَة من قبيلة سَبْيع فتوسط له عند أهلها ولكنهم لم يقبلوا. واستمرت الوساطات والمحاولات لعام كامل ولكن جميعها يؤول إلى مصير واحد وهو الرفض والرفض المطلق الذي لا شفاعة فيه حتى ثار غضَبُ الشيخ فدغوش وأصَرّ ألا يعيد المحاولات لعلمه أن كل الجهود ستنتهي بالرفض. وعرض الشيخ فدغوش الأمر على شعيفان فحزن وتوجّد بالأبيات التالية:

يـا راكـبٍ نَضْـوٍ إلى مـا تَـنَحَّـا
خَطْرٍ على الكُور المـوَسَّر يـروحـي
أوَّل نـهـارك خـل مَشْـيٍ وُلَـحَّـا
وتالي نـهـارك خـل نـضـوك يـروحـي
لامن رقيت العِـرْق والظهـر صَحَّـا
لازم تـشـوف البـيـت والا الـشـبـوحي

اشبوح منهم يبعِدُون المنَحَّا

لا قام بَرَّاق الوسامي يلوحي

لا صاح صَيَّاح وهم بالمضَحَّا

تسابقوهن كاسبين المدوحي

هم اندب المدوح لين إِنْتَوَحَّا

فدغوش زبن الجاذية واللحوحي

اشكي عليه اللي جديله تَنَحَّا

على الردايف غادي له اسبوحي

اَغْوِي عُوَى ذيبٍ عَوَى عقب نَحَّا

عن الشواوي عاديته النبوحي

****

٢٢٠ـ السماحة أفضل من الوشاية

التسامح مـن الشـمائل الفاضلـة الـتي لا يتميز بهـا إلاّ أصحـاب الأخـلا
الرفيعة التي يستطيع صاحبها كبح جماح الغضب وكبح هـوى النفس في رغبته
العمياء في الثأر والانتقام. والقصـة الـتي تـدور حـول هـذا الموضـوع سبْق أنو ا
وصلتني من الأخ ابراهيم رحيل بن عقل العنزي حيث إنه كـان يمـزح معـه أحـد
أصدقائه وكان بيد صديقه بندقية وكانا يعبثان بها، وخرجـت بقـدر ا لله وبـدون
قصد رصاصة منها أصابت رِجْل ابراهيم فوقف صديقه مشـدوهاً بفعـل الدهشـة
والخـوف وأصابـه الذعـر مـن هـول المفاجـأة، فـإذا صديقـه إبراهيـم يقبـل عليـه
بابتسامة حانية ويُـرَبِّـت على كتفه متناسياً الألم الذي نزل به. وأشار إليه يطمئنـ
ويهوِّن عليه الأَمر، وبينما هو يصنع ذلك عرض عليه صديقه راجياً كل الحلـر
قائلاً له لو تريد أن أذهب إلى الشـرطة وأسَلِّم نفسـي أنـا مسـتعد .. فـرد عا
ابراهيـم مطمئنـاً: لا تتوقـع شـيء مـن هـذا فـلا شـيء حـدث وذكّـره ابراهيـ
بالتسامح والصداقة وحقوقها، وعـاد ابراهيـم إلى بيتـه، ولمـا علـم النـاس بـالأ
توافدوا عليه وأخذوا يحرجونه ويدفعونه للإيذاء بـه وعـدم التنـازل، ولكنـه أبـ
ذلك وذكّر الموجودين بأهمية التسامح وماله من مكانة في مكارم الأخـلاق وأن
فضيلة من فضائل الاسلام وشيمة من شيم العرب، وقال أبياتاً من الشعر يتوجـ
فيها على رِجْله وماها من مآثر حميدة في اعانته على الحياة، قال ابراهيم:

قـال ابـن عقـــل وان بـــدا راس مرقـــاب
وان بـــان في راس الطويـــل المنيفـــي
واقلـــبي اللـــي تقـــل يَكْوِيـــه لَـهَّـــاب
لَـهَّـاب يـحـمـا بـالـحـديـد الـرهيـفـ

أيامنـــا تَـــدْرج بنـــا ادراج دولاب

أيامنـــا كـم فرّقـــن مـــن وليفـــي

وارجلـي اللـي كنهـا عُـــود حطّـاب

مـــن ضربـــةٍ بالســـاق تـــنزف نزيفـــي

جتني خطـا مـا جـت بتهديـد وِعْتَـــاب

مـــن واحـــدٍ قلبـــه لقلـــبي نظيفـــي

جيت الطبيب وقـال لي عظمهـا عـاب

اعظـــام رِجْلـــك غاديـــات لفيفـــي

عذروب رِجْلي ما وطت عرض الاقـراب

ولا اقفيـت عـن ربعـي بيـــوم مخيفـي

ولاني من اللـي بين الاصحاب سَبَّـاب

حَكّـــاي بـــالوجهين عقلـــه خفيفـــي

ولانـي مـن اللـي دايـم يقفـل البـاب

افـرح إلى قـالوا علـى البـاب ضيفـــي

أنـا احمـــد الله شـي مكتـوب بكْتَـــاب

اَصْبِـر على العَسْـرات مـاني ضعيفـي

وصـلاة ربـي عـد مـا خِـطْ بكتـاب

علـى النـبي اعـــداد وَبْـــل الخريفـــي

****

٢٢١- من قصص العفو أيضاً

هذه القصة سبق إذاعتها قبل عشرين سنة بالإذاعة أي في سنة ١٣٩٦هـ ولا نوردها تأييداً لما فيها من الهمجية لكن نوردها لما فيها من الشهامة والمروءة والتسامح.

فقد روى كل من الشاعر رضا بن طارف الشمري والشاعر خفيج بن رمال الشمري أن رجلاً يسَمَّى القبيس نزل جاراً على رجل اسمه نداء وهما من رجال البادية، وكان لنداء أخت متزوجة وهي من الموسومات بالحسن والجمال ومن اللاتي يكلل جماهن تاج من الطهارة والعفاف، وكان القبيس يعمل مع نداء بالتجارة ونداء يحرص على خدمته والاهتمام في حقوقه، فكان يرسل إلى صديقه القبيس الرسايل ومعها ما تحويه يداه من الهدايا وكان يحفظ له الود فيرد المعروف بمعروف مثله فكان يعطيه اللبن وحقه من الذبائح وما يحويه بيته من خير. وحدث أن رأى القبيس في احدى زياراته أخت نداء فافتتن بجمالها واضمر في نفسه سوءاً صوبها، فاختفى قريباً من البيت حتى جَنَّ الليل فتسلل إليها يريد بها سوءاً غير أن زوجها أحس به فتيقظ وعرف أن في البيت من يريد با مكروهاً فأمسك بيد المتسلل ولكن القبيسي تمكّن من الفرار تحت ظلمة الليل بعد أن قطع الرجل قطعة من فروته. وصاح الرجل مستنجداً عشيرته فهبو لنجدته ولم يتمكنوا من اللحاق به ولكنهم عرفوا بفراستهم أن هذه القطعة من فروة القبيس، كل هذا والقبيس مختبيء عن أعينهم يصغي لما يدور بينهم، فلما علم بانفضاح أمره هَرَع إلى نداء وعرض عليه ما كان من فعله وهو يرتعد من الخوف والخجل وطلب منه أن يذبحه ويواريه التراب قبل أن يلحق به أهل زوج أخت نداء وينكّلوا به شر تنكيل جزاءاً لما اقترف، ولكن نداء يعرف شرف أخته

ومبلغ طهرها فأخفاه عن أعينهم وأعد طعاماً وتسلل به إلى بيت أخته ووضعه به دون أن يدري به أحد، وفي الهزيع الأخير من الليل قصد بيت أخته مرة ثانية فوصله مع انبثاق نور الصباح فاستقبله الناس وعلى وجوههم الاستهجان والغضب وأخبروه بما حدث من جاره القبيس فاصطنع الغضب وأخبرهم أنه هو الذي أرسله بطعام فلما وجد أهل البيت يغطون في النوم وضعه دون أن يوقظ النائمين ولامهم على اتهام جاره وترويعه. فاستغربوا من كلامه حتى تأكدوا من صدق ما قال، وعرضوا عليه أن يذهبوا معه ليعتذروا له، ولكنه رفض فتلمسوا ذوي الجاه والوجهاء ليتوسطوا لهم عند القبيس ليقبل اعتذارهم، وتم ذلك ولكن القبيس أخذ يلوم نفسه ويعاتبها على ما فعل بالأبيات الآتية:

جابتني النفس الخبيثة تقودني كما تقوَّد بالخطَام العسايف
رَمَتْني على من لا مشت تتبع الرَّدَى ومن غير ميعادٍ لها جيت حايف
على مَدّتي كفّي مَسَكْني حليلها وقطَع فروتي باللي حدوده رهايف
ظهرت وايقنت ان هذي منيّتي جارٍ ضعيف ولا أحدٍ منه خايف
وزَبَنْت ندا والليل ثلثين قد مضى حيثه يحل المعضلات العنايف
لا يا ندا يا قالةٍ قد عملتها وانا على عَمْلي كثير الحسايف
قصيرك دخيلك خايف انه يقودني كما تقاد الشاة بين الولايف

****

٢٢٢- العفو عند المقدرة

هذه قصة قديمة يقال أن زبار الخيمة الشمري حدثت بينه وبين نَيف بن وُحَيْمِر من شمر كما روى لي الأخ مطلق ابن عبيكة الشمري مشادة نزاع أدت إلى مقتل أخي نيف، فخشي زبار الثار فرحل عن ديرته وأهله واصطحب معه زوجته مُوَلّياً وجهه صوب قبيلة تأويهما وتذود عنهما، فأخفى سر هروبه ومضى مرتحلاً حتى وضعته قدماه بأرض الظفير وبقي جاراً لهم أكثر من عشر سنوات عندهم، ومضت الحياة به وسره طي الكتمان لا أحد يسأله عنه وعاملوه كواحد من رجالهم فأنجب أطفالاً وأصبح له حلالاً كثيراً من إبل وغنم، وفي يوم من أيام الله اشتد القيض واجتمع العرب ليرووا دَوَابـهُم من الماء فصادف أن وَرَدَ غريمه نيف على نفس الماء فرآه وهو الذي حفيت قدماه بحثاً عنه، ولما تأكد منه بعد أن تصور أن يكون شبيهاً له وجده هو بنفس ملامحه وسنحته لم تغير الأيام منها شيئاً حتى صوته لم يتغير فعرفه، فبدأ في اقتفاء أثره ليلاً حتى دخل البيت فدخل خلفه واختبأ في رواق البيت وكان ضوح البرق في الخارج يضيء من جهة منازل جماعته، فسمع زبار يتسامر مع زوجته ويحدّثها عن أهله وديرته وما خلف فيها من أحباب ويتمنى أن تصرف السحابة مطرها إلى ديرة جماعته شمر لتسقيهم سقيا بركة، وزوجته تعاتبه على خطئه الذي أودى بهم إلى هذا المصير وتصرّفه المهين الذي زج بهم إلى الاغتراب وتَرْك ديار الأهل ومراتع الصبا وماهم من أخِلاّء، كل ذلك ونيف يستمع فهاجت قريحة زبار بأبيات من الشعر أسمعها زوجته، فلما سمعها نيف خرج من مخبئه وأفهمه أنه قد عفا عنه وحمله هو وزوجته وأولاده إلى ديارهم وإلى جماعته شمر، أما الأبيات فهي يسندها على ابنه الصغير. يقول:

كريم يا برقٍ سَرَى لـه رفاريف		قعدت أخيله والعرب هاجعيني
عزل من المنشا مزونه مقانيف		جعله من (التيـّم) يسار ويميني
وسواقي (الاجفر) اتدرّج كما السيف		حتى منازلها لاهلها تزيني
ينزل بـه اللي يكرم الجار والضيف		تشوفهم في جانبه كل حيني
أهل اربـاع كالهضاب المشانيف		كبار الصحون ومطلقين اليميني
رَبـْعِي هَجَار اللي براسه زعانيف		من مبطيٍ للطايلة كاسبيني
ودِّي بهم لاشك ماهي على الكيف		عنهم حداني نَيْف حبس الكميني
يا سعد من لـه بالرفاقه مثل نَيْف		او زاد مثلي ينطح العايليني
ا لله لحد من نقضة الجزو بالصيف		وانا للديد النوم ماطب عيني
والرُجْل مَلّت من كثير التواقيف		ولا لي حداك مشاكيٍ يا ظنيني
وش هَقْوِتك وان جا سموم بها هَيْف		هو بك ذرا والاّ من المرتعيني

****

٢٢٣- الاعتراف بالفضل

إذا أنـت أكرمـت الكريــم ملكتــه   وإن أنـت أكرمـت اللئيـم تمـردا

بيت من الشعر قاله الشاعر قديماً وهو يشـيد بمـآثر مـن يمتلكـه الجميـل ولا يجحد الفضل، فيخاطب فيه روح العرفان، وهذا طبع ذوي الاصالـة والمروءة لا يتنصلون من معروف أُسْدِي إليهم حتى لو تقادمت به السنوات وطـواه الزمـان. ومن قصص من إذا أكرمتهم ملكهم الجميل ولم يتنصلوا من المعروف الذي قـدم لهم ما وصلني من الراوي مهنا بن عبدالعزيز المهنا من (الدوادمي)، وفيها يـروي أنه مَـرَّ ذات يوم هو ومجموعة في طريقهـم بالـبر علـى بلـد (الشّعراء) وجلسـوا كعادتهم للراحة عند مكان يدعى (سوفة) وهي قارة مرتفعة قـرب (الخنقـة) بـين (الشعراء) و(القويعية). وكان لأهل بلدة (الشعراء) مزايـا طيبـة لكـل مـن يقـدُم عليهم، يجودون له بالعطاء والكرم فدخلت قلبــه شـجاعتهم ومكـارمهم وبرغـم دورة الأيام وتباعدها إلا أن مروره على ديارهم ذكّـره بهـم وتذكـر معروفهـم، فحدث زملاءه عن مكارم أخلاقهم وحدثهم عـن خصـال أهـل الشـعراء الطيبـة وقال لهم أن هذه البلدة لها حضورها الخاص وإن حبها يـزرع في قلـب كـل مـن زارها أو ارتوى من مائها أو تـفَـيَّـأ بظلها، وإن هذه السمات ليست وليدة اليوم بل لها جذورها الضاربة في أمجاد الماضي وما يقال فيها من أشعار، وبهذه المناسـبة قال مهنّـا بن عبدالعزيز الأبيات التالية.

الـحَيَــا يسـقيك يـادار الفهــودي   ديرةٍ مــن شـرب ماهـا مـا نسـاها

ديـرةٍ يَـرْبَــــى بهــا ظـبي النفــودي   في ذرا اشـبالٍ يعـزون اقصراهــا

ضلعها زامـيٍ عَـمَـى عيـن الحسودي   أسمرٍ بَيــّن وبـالـفَيــّه كَسَاهــا

ديـرةٍ مـن هازهـا يرجـع سـنودي　　　غـالب الشـريف عَـوَّد مـا قواهـا
يحتمـون الـدار في حـد الحـدودي　　　مثل سـوفة رمـي للعرجا عشاهـا
لا اعـتزوا في زيـد يفـرون الكبـودي　　　والعـدو عينـه يهـدد في عماهـا
هـم سـلالة زيـد مـن عـاد وثمـودي　　　في ذرا المقـرن وجـدّه كـد حماهـا
ديـرةٍ فيهـا الافـاعي والاسـودي　　　وعين عبـدا لله ونـاصر مـن وراهـا
حدكم يا اخـوان وضحـا بـالوجودي　　　يـا ولي العـرش لا تشـقر عصاهـا
قلـت ذا الابيـات مـانيب المحـدودي　　　يـا وجيـه الخير مـا نبغي جزاهـا

****

٢٢٤ـ شاعرة من الظفير تـمدح رجلاً كريماً من حرب

هذه القصة من قصص النساء واعجابهن في الرجال الشجعان، سمعتهـا مـن منديل الفهيد وقد أوردهـا الاستاذ عبـدا لله بـنَ ردَّاس[1]، وذلـك أن فريـح بـن هملان من قبيلة حرب عرف بالكرم الشديد والخصال الحميدة وذاعـت شـهرته في ذلك وكانت تلك الصفات مدعاة لاعجاب الفتيـات في ذلـك الوقـت حيـث يعشقن الرجل الكريم والشجاع حتى ولو كان من قبيلة أخرى بمجـرد السـماع بالثناء عليه على ألسـنة النـاس، وهـذا مـا حصـل مـع الشـاعرة المشـهورة نـورة الحمود الظفيرية مع ابن هملان الحربي حيث قالت من قصيدة طويلة:

وَجْـدي على شـوفـة فـرَيْـح ابـن هَـمْـلان
وَجْـد العـلـيـل اللي هَـلِـه ينعشـونـه
راعــي ذلاَلٍ مـتـقـنــة صنــع رَسْــلان
ونـجــرٍ يـدقّــه للـنـشامــا يـجـونــه
فـكّــاك رَبْـعِــه يــوم روغــات الاذهـــان
يــوم ان وِلْــد الـلاش طـارت عـيـونــه
مـانـيــب اعَـرْفِـه مَـيْـر اعـدّل بـالالـحــان
سـمـعــت ربـعــه بـالـثـنـا يـذكـرونــه

****

---

(١) كتاب: شاعرات من البادية، تأليف: عبدا لله بن ردّاس الحربي، ص١٣٨

٢٢٥- شاعر يفتخر بشجاعته

ناصر بن محمد العجواني السبيعي من سبيع روى لي القصة التالية، يقول: أن من القصص التي تنطق بحال الكثير من العرب حينما كانوا أشتاتاً متفرقة يتناحرون فيما بينهم ويتقاتلون لأتفه الاسباب في عصر الفوضى والجهل الذي سبق توحيد هذه البلاد على يد قائدها وموحدها المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود. كان في الماضي الرايات عديدة والأهداف مبعثرة بل وأحياناً متباينة متضاربة لا تنضوي تحت هدف واحد. القبائل يتربص بعضها البعض كل قبيلة تتربص بالأخرى، بل كل عشيرة لا تصفو لقرينتها داخل كيان القبيلة الواحدة، الأموال تسلب والديار تستحل، ومع ذلك فقد وجدت هنالك أعراف طيبة تعد من القيم النبيلة فلا يستحل مثلاً حق امرأة سواء كان هذا الحق من المال أو العفاف، أو يؤخذ المريض أو الشيخ الطاعن في السن أو الطفل الذي لا يبلغ سن المحاربين. ولا يصادر الزاد الذي يتزوده به من يلتمس القِرَاء بعد أن يحتوي سيفه الغماد أو المطية التي تقله إلى حيث ينزح، وغير ذلك من القيم الفريدة. وفي اطار هذه الصورة ذكر لي الراوي أن عبيد بن سعد بن صنيتان من الجَمَّالين من سبيع أغار ونفر معه على إبل احدى القبائل المعادية لهم وفزع أهلها للدفاع واستنجدوا ببعضهم البعض وحمي وطيس القتال، وتمكن عبيد بن سعد ومن معه من النجاة والاستيلاء على بعض الغنائم وإن لم يتمكنوا من تحقيق النصر الكامل إلا أنهم عادوا مسرورين بهذا الموقف الشجاع واعتبروه من المفاخر. والأبيات التالية قالها عبيد يعبر عن شعوره بذلك ويثني على ما كان من أمر عشيرته، قال عبيد بن سعد بن صنيتان السبيعي:

غِزْنــا علـــى البِـــلْ بــالمَفَلاّ وأخذناهـــا

بــين الــجَنَب والبيــوت وجمْــع رِجْليَّــة

وامدح هل الهِطْـف[1] يـوم الخيـل تركاها

مـــن فعلهـــم يلحـــق المطّـــاي رِجْلِيّـــه

كـــم أبلـــج بـــالنواميس[2] ايتمناهـــا

يطمـــر اخـــلاف الركـــايب بالكريزيـــه[3]

****

(١) الهطف: جمع هطفاء نوع من البنادق القصيرة.

(٢) النواميس: أيضاً من أنواع البنادق.

(٣) الكريزية: أي الانجليزية ويقصد بها البندقية الانجليزية.

٢٢٦ـ من أشعار سعيدان المطوَّع

روى لي الأخ محمد الحمد العمَري المتوفي عام ١٤٠٦هـ رحمه الله أن ولد سعيدان المطوَّع مطوع (نفي) كان مشتركاً مع رجل يدعى عبدالله بن منصور الفريح بزراعة أرض بضواحي بلدة (المذنب) في عام ١٣٥٩هـ، وكان الرجلان يحيطان زرعهما بالاهتمام والرعاية حتى اكتمل واستوى على عوده وحان وقت حصاده، ولكن كانت هناك بعض الظروف التي كانت تكدّر صفو العيش على ابن المطوّع بسبب الشقاق والخلاف المستمر بينه وبين زوجته. وذهبت إلى بيت أهلها حتى باتت العودة شبه مستحيلة، وبدت أمارات الحزن مرتسمة على وجهه حتى لم يعد بامكانه اخفاء ما يجثم على صدره من هم وتكدر. وبينما الرجلان يعملان مَرَّ عليهما الشاعر سليمان بن شرَيْم يريد أن يرتاح عندهم وقت الظهيرة، وعند مثول الرجال للغداء أتوا بشيء يشبه الجلد اليابس افترشوه ووضعوا عليه التمر دون أن يوجد أوان أو صِحَاف فأكل معهم سليمان وانصرف دونما تعليق على ما رآه. وكان ابن المطوع قد قص عليه ما بدر من زوجته وعندما وصل سليمان بن شريم إلى (عنيزة) التقى بالمطوع سعيدان فسأله المطوع عن ابنه بالمذنب فأخبره إنه طيِّب وأنه في خير حال غير أنه قال له مازحاً إنهم لا يجدون صحافاً يأكلون بها. فقال له سعيدان إنه ليس بالعيب أن لا يجد المرء ما يقدّم فيه الكَرَم وإنما العيب فيمن لا يقدم شيء على الاطلاق وهو قادر، وأخبر سليمان المطوع بما يجيش به صدر ابنه من حزن على نشوز زوجته. وَفي هذا الموقف قال المطوع سعيدان الأبيات التالية:

يذكر لنا وِلْد الخطيب وُخَشِيره

انه على شَنٍّ ايقَلِّط هجوره

ولا ظنّتي فيها عليهم معِيرة
لا شك ياشين الزمان ودبوره
وُغَرْسٍ فَرَق بين العشير وعشيره
ينعاف لو طلعه امْلّي احجوره
جعله لْورِزْعَان السيوف الشطيرة[1]
ما قيّض العصفور عقب مخسورة
من لا يميُز قبل وارد صديره
ترى جواده لو يطير معثورة

****

(١) ورعان السيوف: حدود السيوف، لأن وَرِيع السيف أي حدّه.

٢٢٧ـ الحنين إلى الوطن

روى لي الأخ فهد بن فردوس العجمي أن الشاعر نغيمش الشولاني من قبيلة العجمان قد اضطر في احدى السنوات إلى الرحيل عن دياره إلى ديار نائية وذلك للبحث عن المرعى لابله ودوابه، بعد أن أجدبت دياره جدباً شديداً. فرحل وقصد بعض ديار قومه، لكنه بعد فترة اضطر إلى الرحيل مرة أخرى لديار أبعد بعد أن أجدبت ديار قومه. فنزل في هذه المرة في ديار قوم آخرين ليسوا من قبيلته. وقد أحسن هؤلاء القوم استقباله وأكرموه وأحسنوا الجيرة معه. لكن نغيمش بعد فترة اشتاق لديار قومه وعشيرته وأحس بطعم الغربة، ولم يستطع مقاومة الحنين إلى وطنه وملاعب صباه، فقال الأبيات التالية يشكو من فراق جماعته ومن الغربة، حيث يقول:

ا لله لا يسقيك رِجْم زَمَا لي

ساعة بدَيْتِه رَهَّش القلب ترهيش

قلبي غدا للموج فيه اجتوالي

واشتب في طراف قلبي نواهيش

يا الله عسى ماذي بحزّة زوالي

اقفت ضعاينهم كما حومة الحيش

واستجنبوا حُمْرِ لهن اجتوالي

وُصُفْرِ كما وصف الاوضيحي مشاويش

وحمر زَهَتْ بوجيههن السيالي

وصفر زهت بِقْطِيُهِن الرقاميش

تَبْــرَى لقطعــان ســواة الريــالي[1]

عِلْط الرقاب اللي وَبَرْها عكـاريش

مرباعها حــد الصليــب الشــمالي[2]

ومقياضها خِرْس العيـون النشــانيش

يـا دار ويـن امْبَيْحيــن الحَــلاَلي

ابكي على العجمـان يـا دار وابكيـش

لاعــاد لــك عــز ولا لــك اجــلالي

وانبـاح ســدّك يـوم كـل رعـافيش

ارجي هلــك رجـوي احقـوق الخيـالي

وارقــي سـنود لا تـردى هقــاويش

لابــد مــن يــوم يجــي لــهْ مجــالي

علــم يعلّــم بــه بعيــد المطــاريش

في ســاعة يرخــص بهــا كــل غــالي

ويســتر فيهـا الزيـن ضـافي العكـاريش

يَــردع شــباهم نــادر بجتهــا لي

وقدهـم علـى البيعـة حيـام معــاطيش

****

(١) الريالي: ريلان النعام.

(٢) الصليب: موقع.

٢٢٨- الاصدقاء المـزَيّفون

المرء يكون وافي مع صديقه والصديق الوفي المخلص هو من يكون في عون أخيه ويتجنب الأسباب الموجبة للأضرار أو ما يجرح شعور الصديق. والشاعر ابراهيم بن مَزْيَد من المشهورين بالكرم وحب الخير لكل الناس. كان له صديق، اجتهد ابراهيم في أن يوفي للصداقة حقها ظناً منه أن الآخر يفي بمواثيق الصداقة مع ابراهيم. ولكن بعد تجارب عديدة تغيرت الصورة الصافية لصديقه فتحول إلى صورة أخرى يعكرها حب الذات وإيثار المصلحة ويحطم اطار الوفاء. حتى باتت هذه التجربة من الأشياء التي تؤرق بال ابراهيم، فبدأت تأتي بآثارها السيئة، مما أثار ذلك امتعاض ابراهيم من صديقه وحَلَّ عدم الوفاء والاخلاص محل الود. فقال ابراهيم أبياتاً من الشعر ينصح فيها ابنه بعدم التورط مع أحد يزعم أنه صديقه إلا إذا تأكد من اخلاصه وصدق نواياه حتى لا يجني الخسارة من وراء شخص يزيف المعنى السامي لكلمة صادقة. وأن يختار الصديق الوافي المتوفر فيه الصدق والنصح والاخلاص.

والشاعر ابراهيم المزيد من المحافظين على الصداقة ومن الذين يعرف عنهم الوفاء والكرم. قال الأبيات التالية يسندها على ابنه زيد ومنها:

يا زيد بعض السِّلَع ماهيب مرغوبة
الصدق والنصح والاخلاص يا كافي
يا زيد لي مع كثير الناس تجروبة
ماكل من صادقك يمشي معك وافي
يا زيد بالك تصادق واحد كَوْبَة
شف لك صديق إلى منّه وَعَد يافي

ولا يغــرك خطــاة الـــزول في ثوبـــه
مـظـاهرِ غـيبـهـا بـقـلـوبـهــا خـافي
يعطيــك هرجــة غَــلاً لاشــك مقلوبـــة
يضحك بْـسِـنّـه وقلبه عنـك مِـتْـجـافي
ان كـان مـــا جيـــت في شـــفه ومطلوبـــه
ذِاك الغـلا راح سفســاف مــع الســافي
يــا زيــد ســود الضمــاير يــا لله التوبــة
اخطر من الـحـيَّـة اللي سـمّـهـا صـافي
ا لله مــن واحـدٍ يــا زيـــد لعبـــوا بـــه
خَلّــوه عِقْب الشرف يمشي وهـو حـافي

****

٢٢٩ـ رثاء وتوجد

روى لي مثقال بن محسن العوّاد من الخرصة من شمر أنه في سنة من السنين حدث أن أجدبت الأرض وتلاشت مراعيهم لعدم هطول الأمطار وغارت مياه الآبار وصارت بعض دوابهم على خطر من قلة الماء والمرعى في عهد كانت المراعي حرفة الغالبية ولم تكن سبل الرزق كثيرة كما هي اليوم، فقصد عيد بن ساجر ديار عثمان راعي (جفيفا) والحسنة والعمود، نزحوا بجهة (القصيم) وبعد فترة هطلت الأمطار على ديارهم فنبت العشب وفاضت الآبار واترعت من مائها. وسمع عيد بهذا الخبر فهزه الشوق إلى الديار فساق دوابه وعاد إلى الديار تحدوه البهجة ويسبقه الأمل حيث سينعم بلقاء أهله وذويه، وعندما أقبل عليهم لاح له على البعد أشباح لأناس ودواب يرعون بالأرض الخصبة فتشوق للربيع وخفق قلبه لرؤية أهله وعودته إلى مراعيهم ولكنه فوجيء بما لا يخطر له بحسبان فإذا بديارهم يقطنها أناس غير أهله والمراعي ترتع فيها دواب غير دوابهم، فترك ذلك الموقف أثراً حزيناً، وكان شيخهم فِرْز بن حسينة قد توفي في هذه السنة، فقال الأبيات التالية يتوجد على جماعته وعلى شيخهم فرز.

قال عيد بن ساجر:

أمس الضحا نطيت انا راس ماطال — راس الطويل اللي شمام نبالي

يوم ارتفعت بنايفٍ فوق الاجبال — وطالعت ديرتنا وديرة خوالي

وجتن براسه ضيقة تشده البال — وقمت اتوَجَّد من غبون الليالي

يا ديرتي عقب الجدايب والامحال — سقاك ربي من صدوق الخيالي

من العام ما رشك من الوبل هَمَّال — واليوم مِخْضَرٌّ جنابك وخالي

خِلْوٍ جنابك عن جميعات الازوال — الا الوحوش اللي بروس العوالي

خلوك مرذين المعادي بالافعال   اللي يجّازون العدوا بالفعالي
اتلاهم اللي للثقيلات شيَّال   فِرزِ زبون الجاذيات الهزالي
لاجو عليهن مثل الاقواس نحال   جوعا وحاديهم هبوب الشمالي
يحيي باهلهن لاهبوا بهن الانذال   عوايده يرخص لهم كل غالي
وله ربعة مرفوعة كنّه الجال   مزيُن مبناه مابه خمالي
وعنده دلال متعبات وفنجال   ونجرِ على الشطّات دايم ايلالي
ومن خلقته للضيف ما خبّث البال   لا بيّح السده عفون الرجال
يبي المديح وجاه قصّاف الآجال   ولا نفسِ الاّ له من الله زوالي
دنياك من عمله بالاجواد تهتال   ياما تعشّت من بغيض وغالي
وُثرِيْه الى ما سانعت لك بالاقبال   عَسْرِ عليك المجاذبه بالحبَالي

****

٢٣٠- الشيخ شالح يرثي صديقه

ومما يرويه لي الأخ الفديع بن سلطان القحطاني عن الشيخ شالح بن هدلان أنه كما سبق وعرف عنه كان ذا كرم وفضل، ومن عاداته أنه كان يجود على كل من يفد إليه وكان للشيخ شالح العديد من الأصدقاء والأصفياء ومن بينهم جمَل بن سفران من شيوخ الخنافر الذي شاء الله أن يوافيه يومه المحتوم. وحين علم الشيخ بوفاة صديقه ترك ذلك في نفسه حزناً عميقاً وقام يدعو له بالرحمة والمغفرة، وقال أبياتاً يرثي بها صديقه ويعزّي نفسه بوفاة أخيه الفديع أيضاً، ولكن هي سنة الله في خلقه ولا اعتراض على ما قضى. وهذه الأبيات يذكر الشيخ فيها صفات صديقه بن سفران ويثني على أخلاقه:

قال شالح:

يا صَبْر عيني جَمَّل الله عَلَيَّه ... يا صَبْرها مما وزا في فوادي

قلت آه انا من كَيَّة عقب كَيَّة ... وقلت أه من حر الكوايا الجدادي

يا شيخنا اللي ما تهبَّا اضويّه ... ضوّه لْسَرَّاي الغَدَاري اتنادي

من جاه مِنّا مشْفِيٍ للعطية ... ما يعطي الأَّ من كبار الثنادي

عليك يا نطّاح خَشْم السرية ... تضرب بها خشم السرايا العمادي

ان جات من عَيٍّ نطَحْها بْسَيَّة ... وان جات من مِقْدِي نطَحْها قوادي

حامي الحصان اللي تسالس وطيه ... تخاوزنه شايشات المقادي

عسى يجي من صلب جدُّه لِدِيَّه ... ويقوم حظّه عند رب العبادي

****

٢٣١- الشيخ شالح بن هدلان يتذكر ابنه ذيب

ومن المواقف التي يتعرض لها الرجل في حياته ما روى لي الفديع بن سلطان بن هدلان يقول كانت ابل الشيخ شالح بن هدلان ترعى في بعض شعاب نجد ومع قرب الشمس للغروب كان هناك ذئب يرقب خلف الصخور ويتحفز للانقضاض متى سنحت له فرصة الظفر بفريسة، ولكن الرجل فطن إلى وجوده وتأهب للدفاع عن دَوَابِّه واشعل النيران وأخذ الحيطة والحذر للدفاع وبعد صراع وهجوم ومطاردة هرب الذئب مولياً الأدبار، ومر الموقف بسلام، ولكن الذئب كان قد فجر في شالح كوامن الذكرى فتذكر ابنه ذيب الشجاع المعروف وكان ذيب الابن قد مات منذ زمن بعيد، ولكن الأب لم تنسه الأيام حبّه وحزنه على ولده ذيب الذي كان قرة عين والده لما يتمتع به من أخلاق الرجال البارزين، وكذلك لبرّه الزائد بوالده. فأنشد القصيدة التالية التي يسرد فيها محاسن ابنه ذيب الشجاع، الفتى الذي لا يأبه بمواجهة الأخطار ولا يولي الأدبار حتى يتجرع الموت قطرة قطرة وليس كالذئب الذي رآه لم يصمد طويلاً وولى الأدبار قال الشيخ شالح:

الذيب وا لله ياهل الضان ذيبي

والاّ فذا ذيب عدته الحَوَامي

ذيبي يدَنّا له من الهجن شِيْبي

ويَرْقَع حَفَاها عقب وقت الصرامي

يُدْنِي لها من كل غِمْرٍ عريبي

يتلونه العربان شرقٍ وشامي

ذيـبي عـذاب مشـعـشـرات السبيبـــي

ويفكهـا لاجـا نـهـار الزحامـي

عنـد الـمجيــذم حـل يـوم رعيبــي

بيــن الـدواسـر مع سبيــع ويامــي

ذيبي نـهـار الكـون ضـد الحريبـي

لـمـا اغـتـشى قب السبايا عـسامـي

مـن شبتـــه ماحسنــي في مـشيبـي

الا ايْبَـشْرْنــي بْعَـشْـوا السَّنامـــي

يـا ذيـب وا لله مـا حملـك الـنـصيبـي

مَيْر اغد يا ذيــب الخلاء بـالاسامـي

****

٢٣٢ـ شاعر يمدح أهل الخطامة

من قصص الكرم المتأصل في القبائل العربية ومدى تفانيها في اظهاره روى لي الأخ عبدالعزيز بن عبدا لله المغامس الموقف التالي يسنده على حمد بن صالح الخفاجي من قبيلة قحطان، وكان حمد قد نزل جاراً عند المغامس من أهالي (الخطامة) بسدير والذين يرجع نسبهم إلى المشارفة من بني تميم، فأكرم المغامسة حمداً، وأظهروا له من الشهامة ما يؤكد كرمهم وعدم توانيهم طرفة عين في رفع احساس الغربة عن نفسه ومشاركتهم إياه في مجالسهم وابهاجه بتندّراتهم كواحد من أصلابهم، ومما يدل أيضاً على كرم المغامس ما حدث للشاعر مدا لله بن سالم المطيري عندما نزل جاراً لهم، فقال الأبيات التالية التي يصف أحاسيسه بصدق نحو ما رآه من كرم المغامس. قال مدا لله:

يامل قَلْبٍ لاعه الهم لاعه ... كما يلوع العج عِشْب الصيوفي
درب السفر صَكّوا علينا شعاعه ... نومي على عظم الظهر والكتوفي
ا لله على من سج يم الجماعة ... في مجلس مستانس ومحفوفي
أهل الصخا واهل الكرم والشجاعة ... أهل (الخطامة) مِكْرِمين الضيوفي
جماعة يا وَيَّهَا من جماعة ... ياخذ جميع الحق بالحق توفي

أما الشاعر حمد بن صالح الخفاجي القحطاني فهو أيضاً قال أبياتاً من الشعر ذكر فيها خصالهم وطباعهم الحميدة، وذلك عندما شاهد البرق والسحاب متمنياً لبلدهم (الخطامة) السيل، قال حمد:

يسقي (الخطامة) من حقوق المخاييل
من مزنةٍ غَرّا غزيرٍ مطرها

يسـقي مـن العليـا إلى نخـل برخيـل

وادي الخطامـة تسـهجه في نحرهـا

حَشّـامَةٍ للضيـف لـو النخـل خيـل

مـا دَلّـهَـو وِزْعَـانهم مـن ثمرهـا

عـز ا لله انهـم مـن خيـار الرجـاجيل

هَـلْ سـفرةٍ طـال القبـايل خبرهـا

مـا أبـي هـم مجـازات مـالِ ولا قيـل

شـهادةٍ عنـدي ابظهـر سفرهـا

****

٢٣٣ـ بين مسْلط الرعوجي والهزّاني

روى متديل الفهيد أن الفارس مِسْلط الرعوجي من الهذال من شيوخ عنزة كان من الفرسان المشهورين في زمانه كما أنه كان شاعراً لكن الرواة لم يحفظوا من شعره إلاّ القليل بسبب أنه متقدم وعصره بعيد.

وكان يجمع بينه وبين الشاعر محسن الهَزّاني صاحب (الحريق) صداقة وعلاقة، حيث كان يجتمعان في مجالس السمر لسماع القصص والأشعار وأخبار القبائل. وامتدت هذه الصداقة إلى سنوات طويلة. ومع تقدم السن بالفارس مسلط الرعوجي صار يرجع إليه في المشورة وأخذ الرأي كما اشتهر في قول الشعر في الوقت الذي قل فيه ممارسته للطراد والنزال والمشاركة في المعارك بسبب تقدمه في السن. ومن الطرائف التي تروى عنه في أخر حياته أنه نزل به مرض بساقه ألزمه الفراش وبدأ يحس بدبيب الموت يسري في أوصاله، فأخذ يرثي نفسه ويتوجد على أيامه الماضية عندما سمع أنهم حفروا له قبر. وفي احدى زيارات الشاعر محسن الهزاني له قال له إنني على حافة القبر وقد كتبت قصيدة أرثي فيها نفسي وأريد أن تسمعها، ولكن هل سترثيني بعد موتي؟ قال: نعم، قال: اسمعني ما قلت وأنا سوف اسمعك ما قلت. قال محسن أحب أن أسمع منك أولاً.

قال مسلط الرعوجي:

قال الرعوجي مِسْلط وافي الاذكار   عصر الخميس وحفرتي جدّدوها
ولانيب غابطهم حذا حل الامطار   لا خَيَّلَوا وَسْمِيَّةٍ ونجَعَوها
واسلاف يبرا له مغاتير ومِهَار   بوسميةٍ صِبْيَان وايل حَمَوها

وفعايلي تبقى تواريخ واذكار   يفخر بها التالين لارَدَّدوها
وانا بقبري فوقي اللبن وحجار   تبقى ولو طال المدا ما نسوها
وسوالفي تبقى قويّات وِغسَار   تفخر بها وايل لاوردوها

يوم سمعه محسن قال: أنا ما ودي اسمعك اللي انا قلت لأنها محزنة، فلزم عليه مسلط إلا أن يسمعها .. قال الهزاني:

يا راكبٍ من فوق مثل السبرتات   حمرا هميم من ابكار معفات
تلقي الكواعب من بنات العمارات   يبكن اخو نوضا على راس ما طال
يبكن بدم ليس بالدمع يخلَط   على عقاب العندليات مسلط
وا لله فلا مثله على الخيل يقْلط   ولا نقلن الخيل مثله برجال
يالبيض كِبِّن الحِلِي والعشارق   وابكن اخو نوضا مروُي المطارق
الى ركب من فوق مِلْس المعارق   لحق الوسيق ورد الأول على التال
عليك يا مِرْوِي حدود الهوَاري   ياللي بوجهك للمروة مواري
يمينك اكرم من هبوب الذواري   واثقل من ايشٍ عند ضربات الابطال
حللت ياماضيف ليل قريته   وكم عود زان بالملاقا سقيته
وكم ابلجٍ خلف السبايا رميته   عليه شَقّن العماهيج الاطوال
حللت ياما قد حما من مرنه   واركا سنان الرمح بقطِيهُنّه
ياليت غَضّات البِني ما بكَنّه   ولا عليه الرمل بالقبر ينهال
حللت ياريف الهجافا ياريف   والخيل في الميدان مثل الخواطيف
يوم العوادي تنسف البوش تنسيف   عَيَّا عليهن مسلطٍ وافي الافعال
وان زرفل المظهور وارخا الاعنّه   والجيش عرجد والرمك يشعثنه

ادلا على ركن من الخيل كنّه	جلمود صخر حطه السيل من عال
ان زرفل المظهور واقفا مع الريع	واقفن عليه معالجات المصاريع
والغبو شانت به وجيه المداريع	ما شان وجهه بالملاقا ولا زال
وان قرطبوها بالعدد والكراديس	وتقابلت شعث النضا بالملابيس
وتعاقبو ضرب القنا والعبابيس	يرْوِي حدود السيف من دم الابطال
لا واعشيري ليتني ما بكيته	لو في يدي حل وعقد فَدْيته
وبكل ما تملك يميني شريته	بالبوش والغرس المظاليل والمال
لوا عشيري مسلطٍ هو ذرا الجود	راقي ذرا العُلْيَا حجا كل مضهود
فالى اعتلى من فوق ما تقحم العود	الخيل من ضربه عن المال تنجال
اليوم موفي لي ثلاثة عشر يوم	لا لذ لي زاد ولا طاب لي نوم
من يوم جاني عن حجا كل مضيوم	ريف المجنّا مسلط ذرب الافعال

****

٢٣٤ـ قصة البلالي من حرب

هذه القصة رواها لي الأخ فايز بن موسى الحربي الذي يقول إن هذه القصة جرت في عهد الأمير محمد بن رشيد (١٢٨٩ــ ١٣١٥هـ)، وهناك أيضاً من يرى أنها جرت في عهد عبدالعزيز بن رشيد (١٣١٥هــ ـــ ١٣٢٤هـ)، وأنها جرت يوم وقعت الشنانة سنة ١٣٢٢هـ، حيث قبض رجال عبدالعزيز بن رشيد على دخيل البلالي وخويّه الصبي لأنهما كانا من أتباع الملك عبدالعزيز آل سعود، وكانا يحاولان التسلل إلى مخيم ابن رشيد لمهاجمته أثناء معارك الشنانة.

ومفاد هذه القصة النادرة أن دخيل البِلاَلي من الوسدة من بني سالم من حرب كان له جارة من قبيلة مطير توفي زوجها في احدى الغارات ولم يترك لها سوى ابناً صغير السن. وفي أحد الأيام أراد البلالي أن يغزوا بعض القبائل المعادية كما هي عادة العرب في ذلك الحين، فأراد الصبي أن يرافقه وحاول البلالي أن يعتذر له عن ذلك لصغر سنه ولكن الصبي أصرّ على طلبه كما أبدت أمّه رغبتها أيضا في اشتراك ابنها بهذه الغزوة ليتعلم ويتدرب على الغزو والقتال. ولم يجد البلالي بُدّاً من الموافقة تقديراً لجيرانه.

وحرصاً من أم الصبي على ابنها الوحيد فقد جاءت إلى البلالي لتوصيه وتؤكد عليه أن يحرص على سلامة ابنها، وتوسَّلَت إليه أن يعتبره أمانة معه يحافظ عليه كما يحافظ على أعز أبنائه.

وأراد الله أن يقع البلالي ورفيقه الغلام في يد رجال ابن رشيد، فأحضروهم إليه. ولما أوقفوهم أمام ابن رشيد قرر قتلهم، فحاول البلالي أن يمنع قتل صاحبه لأنه أمانة معه. فقال لابن رشيد: يا طويل العمر إن هذا ابني وهو غلام كما

ترى، وا لله إنه وحيد أمه وستموت إن جاءها خبر مقتله، اما أنا فهذه رقبتي فاقتلني!

واستجاب الأمير لتوسلاته واكتفى بقتله وأمر بإخلاء سبيل الغلام. ولما هدأ روع الغلام أخبرهم بالحقيقة المذهلة، ويقال إن ابن رشيد ندم على قتله لأنه رجل وفي وشجاع، ولكن فات الأمر وسبق السيف العذل!

أما والدة الصبي فإنها لما عاد إليها ابنها سالماً وعلمت بالخبر فقد تأثرت كثيراً وأعجبت بفعل هذا الرجل الشهم، لكنها لم تجد ما تكافىء به صنيعه إلا الشعر الذي يعتبر وسام الشرف ونوط التقدير عند العرب، فقالت من قصيدة طويلة:

البارحة عيني حريبٍ لها النوم
تسوقها لوعات غُبْر الليالي
لَكَنّ في عيني حزازات وِهْزوم
انحب ولاني في نحيبي لحالي
صار القضا واللي جَرَى شي مقسوم
ا لله يبيحك يا دخيل البلاَلي
مرحوم يا غيث المساكين مرحوم
اللي فدا بروحه شريدة عيالي
الاجنبي في قصرته دوم محشوم
أبْدَى عليه من الرفيق الموالي

...الخ.

ويقول الأخ فايز الحربي إن هناك قصصاً مشابهة لقصة البلالي حدثت مع بعض فرسان القبائل الأخرى، ولكن الوديع لم يقتل فيها كما حدث للبلالي،

ومن ذلك قصة عبيد بن هدلان الزعبي مع ابن جارته الظفيرية حيث غزا على بني حسين وأسروا وديعة، فعاد إليهم واستخدم الشجاعة والحيلة حتى تمكن من اطلاق سراح الغلام الظفيري، وفي ذلك يقول من قصيدة طويلة:

يقـول ابـن هـدلان ولانـي بواحـد
يباهـي بروحـه والزمـان وطـاه
كـم سابـق فَكّيـت منهـا حديدهـا
وكـم مشعـلٍ يُوضِـي عَلَـيْ سَنَـاه
يـا وَيْـش عـذري لا لفينـا عـلى أمّـه
تـشـق جيـبٍ بايـحٍ عَـزَاه
حَذَفْـت روحـي يـوم شفتـه مْكَتّـف
اسيـرٍ حسيـرٍ في يديـن اعـداه

وهناك أيضاً قصة أخرى حدثت لبعض فرسان عنزة، وهي تشبه قصة هدلان السابق ذكرها، وقد أوردها عبدا لله بن عَبّـار العنزي ولم يجزم إن كان صاحبها الفارس راضي القاصد الدّوّامي أو الشيخ باتل بن اديهم الحازمي العنزي، وفي ذلك يقول صاحب القصة من قصيدة له:

دهلوس يـا ابـن عْمَيـر عَيْـبٍ عَلَيّـه
اترك وديعـي مـا تجـي لـه خَبَـارا
أمّـه تِهِـل مـن الدمـوع الحفيـة
وابـوه ينشِدْنـي عنـه وَيْـن صـارا
مـانـي وَلَـد عَفْـنٍ يخلّـي خَوِيُّـه
لـو صارت الخوّات جيزة نصارى

نصلّها بالمَحَص جوف الركيّة
والعمر ما ياقاه كِثْر المدَارَى

من ذلك أيضا قصة فلاح المطيري مع خويه الذي أصيب بالغزوة وجلس عنده خمسة وأربعين يوماً إلى أن طاب وعاد به إلى أهله.

كذلك هناك قصة بن ضلعان من أهل الرس مع خويه.

وكذلك هناك قصة الفارس غريب الشلاقي الشمري مع خويه، وكل هذه القصص أوردها فايز الحربي في كتابه: أشعار قديمة لكن أغربها قصة البلالي الذي قتل نفسه دون خويِه.

****

٢٣٥ـ صعوبة الحياة في العهد السابق

روى الأخ راشد بن كليب أن رشيد بن عبدا لله الكثيري من أهالي (الحريق) وكان من الشعراء المعروفين في وقته، وحيث أن الشعر هو السجل لحياة العرب في ذلك الوقت، فإن أشعار رشيد الكثيري من الأشعار التي تصور لنا حياة الأجداد وما فيها من تعب وصعوبة ومشقة بالغة في الحصول على ما يستر الحال ويسد الرمق، مع ما كانوا عليه من التمسك بالأخلاق العربية والشيم والعادات النبيلة.

والأبيات التالية من قصائد رشيد التي تصور لنا ما كان يعانيه في سبيل الحصول على لقمة العيش.

قال رشيد بن عبدا لله الكثيري:

ا لله يقطعك ياكَدٍّ على ماش ... لا جيت من البر أحَوِّل بالرَكِيَّة
والى حَصَل تمر لين العيش ما هناش ... والى حَصَل عيش الى الجِصَّة خَلِيَّة
بين الفلاحة وبين البر قَرَّاش ... مع التعب ما حصل عيشه هَنِيَّة
والى حَصَل لي طلوع الشمس مرقاش ... امتِّع النفس بالدنيا الشقية
واقول لولا الفلاحة ما تَهَيَّاش ... دنيا الفنا ما بها عيشة شِلِيَّة
ياكم فلاح مثلي عجز يعتاش ... اندور الستر والانفس غنيه
للضيف لا جا نحط الحِيْل وِفْرَاش ... لو لحقنا الدَّين ما به مَزْرَوِيَّة

****

٢٣٦- الضعف في الحق قوة!

القصص التي تتحدث عن الحياة في المرحلة السابقة كثيرة ومن هذه القصص ما روى لي مهَنّا بن عبدالعزيز المهَنّا من أعيان أهالي (الدوادمي)، وقد حدَثَتْ على أولاد رجل يدعى محمد بن جبرين، كانوا يزرعون أرضاً لهم بوادي السديري، وكان بوسط هذا الزرع بئر للماء يسقون منه زراعتهم وتسقى منه دوابهم ولا يبخلون على أهل البلد ودوابهم والماشي عابر السبيل بالماء الوفير وكانوا لا يمنعوهم من ذلك تحت حافز من النخوة وكرم العربي حتى إنهم استحيوا أن ينبهوا أهل بلدهم عن ملكهم للبئر حتى صار الوضع بحكم التقادم ملكاً للجميع مشاعاً بينهم، ولكن كبراء الريع ووجهاءه يعلمون بملكية البئر لأبناء جبرين، وكطبيعة البادية حين تأخرت الامطار تماثلت مياه البئر للنفاذ حتى أصبحت لا تكاد تفي برَي شيء واحد من ممتلكاتهم فإما أن تروى الدواب ويهلك الزرع جدباً أو يروى الزرع وتنفق الدواب ظمأ، حتى أصبحوا في حيرة من أمرهم. وتحت الحاجة الملحة إلى ماء بئرهم أوعزوا الى كبراء البلد بهاجس تنحّي الآخرين عن السقاء من البئر لأن ممتلكاتهم أصبحت عرضة للضياع والانهيار، ولكن هذا الأمر بعث الذعر في نفوس المستفيدين من الماء، وأبوا إلا أن يروا دوابهم تشرب منه متكئين على قوتهم وضعف أولاد ابن جبرين، ولكن أولاد ابن جبرين تحفزوا للدفاع عن حقهم وصمدوا أمام طغيان الآخرين وأبلوا بلاءاً حسناً في الدفاع عن حقهم مما حدا بهم إلى النصر على ذويهم وقال أحدهم هذه الأبيات التي يتغنى فيها بمجده ومجد أهله:

يانا فدا اللي عند قصره ما أفتشل ... ما اختل زنده للجموع الهايلة

ياذيب يـاللي بالمظـامي قـد همـل   حق علـى قصـر القـروم الخايلـه
ياذيب ياللي مدهلك فـوق الجبـل   حـقٍ تجـر الصـوت لـو بالقايلـة
لـو شـفت جنـدٍ هـايضٍ مثـل النحـل   وادي (السديري) ضاق عن مسـايله
جُونـا وقمنـا واعـتزوا رَبْـع الجَمَـل   لـين الرشـا ركّـب علـى محايلـه
واللي يشوف القصر من عقبه جَفَـل   واشـوف مع سرحان راس شايلـه
حنـا سـلالة زيـد وعيـال الفحـل   محمـد اللـي بيّنـه فعايلـه

****

٢٣٧ـ حول القهوة ومجالسها

هذه قصة قديمة حول شرب القهوة واستعمالها وما يتحدثون عنها بالمجالس. ذكر لي الأخ دبيس بن علوي الشمري أن رجلاً يقال له ابن حَمَام من الجندة صاحب قهوة وناره دائماً عامرة. وفي يوم من الأيام دَعَى محيميد الحسيني من الحسنة من شمر للقهوة وشربوا القهوة معاً وحصل بينهم مداعبات ومزح بالشعر. وبعدها بيومين زار محيميد الحسيني صديقه ابن حَمَام ولا وجده وكان جواره بالمنازل كل من جبر بن مخيدش من الجري وجليدان المروّب وعندما بدأوا يتناولون القهوة دخل عليهم ابن حَمَام الذي كان غائباً وصار بينهم مداعبات ومزح بالاشعار كما هي العادة على القهوة مثل قول راشد بن سويلم من الغضاورة من أبيات له طويلة منها:ـ

يمرنا صديقنا ما عزمناه ... ما هو ردا مير أوسط العظم جاوي

محذا ثلاث اشياه والزاد ما القاه ... والقل بَلْوى من كبار البلاوي

أما محيميد فقال أبياتاً عندما سَيَّر على صديقه ابن حمام ولا جاءهم أحد يشاركهم في شرب القهوة والسوالف، ذكر بقوله إما إنك ابحث عن رِجَال يشربون القهوة معنا ويشاركوننا الحديث لكي يطيب الحديث والسوالف والأشعار توصف على الكلاليب التي بعضها يجر بعضاً، أو كما يقال: الحديث يجر بعضه بعضاً. ثم رَحَل عنهم محيميد بعد مدة ونزل بجوار مَصَّار الجميشي من الدهامشة من عنزة وابن هشال من السلقا وأكرموه وصار بعضهم يؤنس بعضاً، وقال فيهم قصيدة عَدَّد فيها خصالهم وما يتمتعون به من مكارم الأخلاق مما لا يتسع المجال لذكرها ولكن سوف يأتي معنا إن شاء الله فيما بعد. أما الأبيات

التي قالها في مجلس ابن حمام عندما لم يجـدوا مـن يشـاركهم شـرب القهـوة، فهـو يقول:ـ

يـا ابـن حَمَـام مزعفـرك مـا نذوقـه
ولا اريد كيفك يا مَـرَوِّي شـبا الـزان
لا بــه خَمَــال يــاالجنيدي يعوقــه
تسعين نعـم كـان زيـن اللغـا شـان
لا صـار مـا الديـوان مـالي اشنوقــه
يعــل يجلــس بــه ثلاثــين شــيطان
نفســي عشــوقه كــل قــرم يشوقــه
شـامت لجـبرِ والمـــروّب جليـــدان

****

٢٣٨- الفرق بين الجيران

من القصص التي تروى عن الشيخ شالح بن هدلان ما روى لي الأخ الفديع بن سلطان بن هدلان القحطاني أن فالح بن ابراهيم السبيعي كان جاراً للشيخ شالح، ودامت الجيرة لسنوات طويلة، وحدث أن رزق فالح بمولود فأراد أن يختار لابنه اسماً متميزاً وبعد طول تفكير لم يجد اسماً في الأسماء التي تحيطه به سوى اسم شالح الذي تتوافر فيه الخصال الكريمة والأخلاق الطيبة التي تغريه أن يطلق هذا الاسم على المولود غير أنه خشي أن يخرج ابنه على غير محمود الخصال ولا معهود القيم التي عهدها بالشيخ شالح فيكون بذلك أساء إلى ذكرى الرجل، وعلم بذلك الشيخ شالح بن هدلان وكان بآخر حياته فأثنى عليه لحسن ظنه به وأشار عليه أن يختار أي اسم يهواه وحاول افهامه بأن الاسم لا يقدم ولا يؤخر. وأخيراً سمى مولوده هزاع. ودرج الطفل في مراتع طفولته مستظلاً بحب الشيخ شالح وعشيرته وأغدق عليه الرجل من عطفه ومن حنانه حتى أن شالح قد منح الرجل ثلاث نياق ابتهاجاً بطفله الأول ولكن مع مرور الأيام استأذن الرجل الشيخ بالرحيل إلى جماعته وكان الطفل قد بلغ آنذاك الخامسة من عمره وكان له ما أراد وبطريق العودة نزل على قوم ما دعوه للقهوة ومكث لديهم يومين وطفله قد رآه وهو تطارده الكلاب ولا يجد الطفل من بينهم من يردها عنه، فأثار ذلك الأستياء بنفسه. فتذكر جيرانه السابقين الذين نعم بجيرتهم وكرمهم، وأخذ يردد الأبيات التالية التي يثني فيها على الشيخ شالح وخصال قومه:

هـزاع شـف جـارك بنـا صـار بَـوَّار	جيراننـا كِنْهُـم علينـا زراتـي
يـا لله عسـى الهـِدْلان بالخـير عُمَّـار	ابيوتهـم لـلعـز مِتْبَيِّنـاتـي
يـا لله لا تقطـع للاجـواد ذَكَّـار	قصيرهم لاراح مابـه حفاتـي

خيـّـاهم بـالضيق يَقْلِـط على الحـار ويفك مضهود جَدّاه اِلْتِفَاتـي

لاجـا الملاقـا عنـد حَسْـكات الاوبـار ترايع لمركاضهم ليـــن ياتـــي

كَسّــابةٍ للجـــود وافـــين الاشـــبار على النضا والاّ على المكرماتي

لعـل مَيُتْهـم بعيـد عــن النـــار وعسى بقية حيهم بالغناتي

****

٢٣٩ـ الشعراء وحنين الخلوج

لقد عرف عن الابل حساسيتها الزائدة في تميز الأصوات ومعرفة أصحابها، فضلاً عن ما عرف عنها من العواطف الجياشة نحو مراتعها ومرابعها. أما حنين الناقة على ولدها فشيء لا يحتاج إلى تعريف.

ومن القصص التي قد يعتبرها البعض من الخرافات أو من عمل الخيال والتي أكاد أن أجزم بصحتها لتواتر الكثير من النماذج الشعرية حولها وما روى لي عن قصص مشابهة لها وكنت حدثتكم عن احداها في الجزء الأول، أما القصة التالية فرواها لي الأخ دبيس بن مهلهل الشمري رحمه الله عن ردهان بن عنقاء الشمري، وهو من المعروفين بالفراسة وله باع كبير في معرفة الدواب وسلالتها وكان صديقاً للشيخ ظاهر الجرباء من شيوخ شمر وكان ظاهر عطوفاً على ذلول لديه رفيقاً بها ومكثت عنده فترة طويلة وحدثت بينهما ألفة من طول المعاشرة، وعندما توفي ظاهر ودفنه الرجال وبعد عودتهم إلى الديار كان من بين الرجال الشاعر ردهان بن عنقاء، وقد نقلوا له عن ذلول لظاهر بها سقم، وحالتها متردية، فما كان منه إلا أن ذهب إليها، وفهم ما يلم بها من حزن على فقد صاحبها الشيخ ظاهر وهي تجر الأنين حزناً عليه وتأثراً لوفاته، فقال الأبيات الآتية يصف فيها هذا المشهد العالي في أحاسيسه:

وقد تطرق إلى أصوات حنين الإبل الكثير من الشعراء فمثلاً خلوج الشاعر محمد العوني عندما سمع حنينها قال قصيدته المشهورة الخلوج ومطلعها:

خلوجٍ تجذ القلب بأتلا عواها   تكسّر بعبراتٍ تحطّم اسلاها

ومثل قول الشاعر سويلم العلي السهلي رحمه الله:

كِنّي خلوجٍ يومْ صَفْق الرعايا   تحن بالمفلا لَمَا رَوَّحَنّي
على ولدها كيف سَوَّت سوايا   طبايع ماظنتي يعمَلَنَّبي
ساجت وراجت ما لقت له حلايا   وخَرْشَت ونشَّت والقوايم جشني
وتصن مثل اللي يوصي وصايا   تِبي لعل اسموعها يسمعني .

ومثل قول الشيخ تركي بن حميد من قصيدة يرثي بها أخاه منها قوله:

ألاَ واوجعي من بكرة هيضتني   في ليلة الجمعة تزايد حنينها
تجر صليب الصوت مما جرَى لها   تجره من الوجلاء وفرقا ضنينها

ومثل قول الشاعر حاضر بن حضير في خلوجه منها قوله:

خلوجٍ تجاذب صوتها من نهارها   تكسّر بصندوق الضماير اعبارها
تفجع فوأد المنفجع من حنينها   لا جرّت الاصوات تبكي حوارها

أما الأبيات التي قالها ردهان بن عنقا فمنها قوله:

با لله عليك اكفايةٍ يا خلوجي   لا تْفَطِّنين قلوب ناس مريحين
انتي غدا لك حاشيٍ تقل بوجي   يَسْوَى الى طب المبيعة ريالين
حنا غدا ظاهر وسيع الفجوجي   اللي بْبَيته يشبعون المساكين
ما ياخذ العقبه ولا ارياه عوجي   ومن خلقته ما حَلَّف الشمري دِيْن
خرَيْصات فوق الخيل مثل البروجي   على الكمين الغالي الروح مهدين

****

٢٤٠ـ في مدح آل تركي من شيوخ عتيبة

ومن قصص الكرم وايواء الجار وحمايته ما يتردد على ألسنة العارفين المهتمين بحكايات الماضي واكرام الجار ومن التراث الذي يحفظ عن قبيلة عتيبة ما روى لي شخص لا يحب ذكر اسمه يقول إن بعضاً من قبيلة عتيبة قد أمحلت ديارهم وبسبب ذلك نزحوا عن ديارهم ابتغاء المرعى بعد أن نضبت مراعيهم حوالي خمس وثلاثين عاماً، ومنهم محمد بن خالد وهندي بن ناصر يقال لهم ذوي تركي لأن جدهم الشيخ تركي بن حميد وعند عودتهم إلى ديارهم هبطوا في أراضي (عَرْوَى) وصاروا جماعتهم يتعازمونهم، فأحسن الناس استقبالهم وأكرموا وفادتهم وقدموا إليهم ألواناً من الكرم استوجبت الثناء حتى الشيوخ طاعني السن لم تمنعهم صحتهم المتردية من المشاركة بالمجلس، مما أثار ابتهاج آل تركي ونال اعجابهم. وبعد أن انقضت الفترة التي مكثوها وهموا بالرحيل حسب المراعي، قال حسين بن سنيح الأبيات التالية التي يعرب فيها عن فيض المشاعر الطيبة التي يكنها لهم، وذكر ما شاهده فيهم من الكرم والأخلاق الحسنة والأبيات طويلة لكن للأسف لم يحفظها الراوي كاملة ... قال:

اليوم انا ضائع وماضي يدوجي   يضرب بمعداله بعرض اللوايح
نبي فناجيل وهرج زعوجُي   ونبي لنا رز وفوقه ذبايح
من عقب ابو خالد وشوق الغنوجي   من يوم قفوا كاسبين المدايح
والى اعتلوا من فوق زين السروجي   كم واحد تكثر عليه النوايح

وعندما بلغت الأبيات صديقه الطاعن بالسن أجابه وأثنى على آل تركي بالأبيات التالية:

يا راكب من فوق حر يروجي سفايفه من قو عَذيِه طفايح

ضاري على قطع الخلا والفجوجي وراعيه معطي به زراج وسمايح

رقاب شيالات الاثقال عوجي تِشْدا لشاحوفٍ حدته الروايح

تلفي ذوي تركي بزين الهروجي عيال الحرار وكاسبين المدايح

اهل امهار للاعنه تلوجي وطريحهم تكثر عليه الصوايح

عليه شقن الحريم العروجي وعقب الفضا حطوا عليه الصفايح

****

٢٤١- إن مع العسر يسرا

القصة التالية حدثت على شخص يدعى بقيران الشيباني من الشيابين من عتيبة، وبقيران كما يقولون من المعروفين بالكرم والمحافظين على مكارم الأخلاق فكان لديه أولاد صغار وهو مع ذلك لا يملك من الدنيا إلا صحته وستر ا لله عليه فكان يكد ويجتهد لكي يوفر لأولاده ما يكفيهم عن السؤال وتارة لا يجد ما يقيت به أولاده فينامون بلا عشاء ولكنه مع ذلك صاحب كرم وحفاوة بالضيوف. وحدث أن هبط على عشيرته مجموعة من الضيوف وتناوب جماعته على اكرام الضيوف كل حسب دوره، وعندما أتى الدور على بقيران لم يكن عنده ما يقري به الضيوف وظل حائراً يرتاد أبواب تجار بلده يسألهم القرض ليوفر للضيف مكرمته ولكن الأبواب كانت تغلق دونه ولكنه توجه إلى ا لله سبحانه بالسؤال عساه أن يفرِّج عنه هذا الكرب، وقال الأبيات التالية:

يقول من هو معذبته مطاريشه ... يسعى ورى مرزقه في كل الاوطاني
يا رازق اللي قليلات محاويشه ... ماله اجفار ولا يملك من الضاني
حنا نبي الستر والخاطر يبي العيشة ... والعِلْم يا زرَيْب يوم الدور ياطاني
يا زين مرواحها بي من وَرَاء بيشة ... مع تختخ ما وطا به مودماني
نهار رابع وهي في رس ابو هيشه ... رس خلا مدهل للذيب سرحاني
ما فوقه الاّ الحمَام مْنفّضٍ ريشه ... يكسّر القلب في جَرّات الالحاني

يقول الراوي ولم يلبث بقيران إلاّ ا لله سبحانه ميسر أمره ومكرم ضيوفه.

****

٢٤٢ـ شاعر يمدح فارس

هذه قصة قديمة سمعتها من حمد بن شبيب وهي جـرت عندما كـانت حالـة الفوضى والجهل تعم البلاد قبل أن يسود الأمن والعلم ربوع هـذا البلـد الغـالي، لأن الناس في ذاك الوقت كان لهـم عـادات خاطئـة ولهـم عـادات حميـدة وطيبـة يسمونها سُلوم ومن السلوم الخاطئة استحلالهم حلال الضعيف ونهبه منه بـالقوة وهو ماله قوةٍ ولا ناصر. ولا شك أن من استحل حلال غيره لا بد أن يعاقبه الله بالدنيا والآخرة. اما السلوم الحميدة فمنها تقدير القصير والضيف وغـض النظـر عن المحارم ومساعدة المحتاج .. القصة هذي جرت على محمد بـن شـبيب وأخيـه بجران من الأعِـزَّة مـن سبيع، وذلـك أن الأخويـن غـزوا هـم ومـن معهـم مـن جماعتهم على قوم معادين لهم، ونهبوا بعض إبلهـم وأنكفـوا ـ أي رجعـوا ـ بهـا فلحقوهم أهل الإبل وحصل بينهم معركة، وكان معهم جار لهم اسمه دغيِّـم بـن دوخي الشمري الذي قال أبياتاً من الشعر بهذه المناسبة ذكر فيها محمـد وأخـاه، لأنهم وفقوا وفعلوا فعل طيِّـب، وعـادةً وأحيانـاً يوفّـق الرَّجّـال ويصـير لـه فعـل والدنيا هكذا يوم لك ويوم عليك. المذكور ذبح فرساً في أول الخيل التي اغـارت عليهم، وردَّها عن أصحابها. وعادة الشاعر في مثـل هـذه المناسبة يقـول أبيـات يصور ما جرى، علماً أنهم يعدون الصحيح لو كانت الهزيمة عليهم ولا يكذبـون فلو زاد أو نقص يعارضه من يعارضـه ويردونـه إلى الصحيـح. يقـول دغيِّـم بـن دوخي الشمري:

الـنّغـــم لمحمـــدٍ راع الرّبّاعيَّـــة	ملحق مخـلاً تقطّـع عنـه الامنـاعي
ابـن شـبيبٍ لبّـس درعـه سـويعية	يسُوم عمـره ولا يفهـم ولا يـاعي
يسُـوم عمـره علـى دولـة جنوبيـة	سُوْم البضـايع قليـل المـال بيّـاعي

حَوَّل خلاف الركـايب بالفرنجيـة ما خانت العين حوضه يـوم ينزاعي[1]
يـا زيـن مـن ضربتـه دم العفاريـة يزعـج على جنبهـا يشـدا لُـنبَّاعي[2]
وبجران زيزومنـا لا كَبْـرَت الهيَّـة يـوم الملاقـا يحـط الشـره مِطْوَاعـي
واهـل الركـايب تنـاخو بالعزيزيـة ثم اطلقـوا كلهـم زينـات الاوقـاعي[3]
من ضربهم كم شجاع تثلع ادميّه والكـل منهـم نهـار الكـون قطـاعي

****

(١) الفرنجية: يقصد البندقية حيث تسمى الافرنجية نسبة إلى الافرنج الذين صنعوها.

(٢) يشدا لُنَبَّاعي: اي يسبه نبع الماء.

(٣) تناخوا بالعزيزية: يقصد أنهم تناخوا بعزوة قبيلة الأعزّة من سبيع.

٢٤٣ـ عين لا تستحق العمَى

هـذه قصـة قديمـة مـن قصـص الكـرم وبعـض الـرواة ينسـبها لابـن قويفـل وبعضهم ينسبها لابن مويجـد، وآخـر مـا سمعتهـا مـن الشـاعر رضـا بـن طـارف الشمري يقول إنها جَرَت على رجل يقال له ابن مويجد من العطا من قبيلة شمـر. المذكور من المشهورين بالكرم وفي احدى السنين جاءهم قحط شـديد ويسـمونه الدهر، ومن المعلوم أن البادية ذاك الوقت كانت حياتهم على الله ثم على منتوج حلالهم وماشيتهم، وإذا شـح الحلال بالحليب والسمن يصيبهـم مجاعـة. وعندما أمحلت ديار ابن مويجد وجماعته والحلال مات أكـثره أصـابهم جـوع وصـار ابـن مويجد كل يوم يذبح ناقة ويوزع لحمها على جماعته وجيرانه وكل بيـت يعطيهـم على حسب عددهم. وفي يوم من الأيام جاء إلى زوجته وقـال: عسـاكم وزعتـم اللحم على الجيران. قالت زوجته: قسمناه. قال: ماذا أعطيتوا جارتنـا أم فـلان. وكـانت لهـم جـارة أرملـة كبـيرة السـن وضعيفـة الحـال. قـالت زوجتــه بَدَّينـا المتشطرين وهي نسيتها. قال بقي عندك شـي؟ قـالت: بـقي حقـك أنـت. قـال: أعطيني إياه، وعندما أحضـرت حقـه أخـرج سـكيناً صغـيرة كـانت معـه وقسـم اللحمة نصفين بينه وبين العجوز، وبينما كـان يحاول قطـع اللحمـة أراد الله أن تنزو السكينة عن مكانها فتضرب عينـه السـليمة، حيـث كـانت عينـه الأخـرى كفيفة من قبل. فانهمر الدم من عينه وصاحت زوجته واجتمع عليه الجيران لكن عينه قد عابت، وفقد البصر تماماً. ويقال إن اثنين من شمر كانـا في زيـارة للشـيخ عبدالكريم الجرباء شيخ شمر بالعراق ولما ألفيا عليه أخبر أحدهمـا وهـو صـاحب الذلول بما حصل على جماعتهم من القحط الشديد وما جـرى لابـن مويجـد وقـد حزن عبدالكريم الجرباء حزناً شديداً لمـا يعرفـه عـن مـروءة ابـن مويجـد، وبكـى

لذلك، ولما رأى الرديف تأثر الشيخ وتكدره، أراد أن يخفّف عنه، فقال على الفور: ابشّرك يا شيخ إنهم راحوا إلى طبيب بالمدينة وعالج عينه وطابت..قال ذلك وهو يكذب لكنه أراد أن يتدارك الموقف لما رأى تأثر مضيفهم. قال الشيخ عبدالكريم: الله يبشرك بالخير، وابْشِر بهدباء. وهي فرس أصيلة عنده تساوي أربعين ناقة. ولما مشوا من عنده قال صاحب الذلول لرديفه: بع علي نصيبك من الفرس وإلا اشتر نصيبي. قال الرديف: الفرس لي لوحدي. وصار بينهم نزاع عند الفرس فقيل لهم: ما يقضي بينكم إلاّ الذي أعطاكم الفرس. قال صاحب الذلول أنا حملتك على ذلولي وأوصلتك إلى الجرباء، وأنا الذي أخبرت الشيخ بالقصة. قال الرديف: أنت خبرك أبكاه، وأنا خبري أضحكه. قال صاحب الذلول: أنا أخبرته بالحقيقة، وأنت أخبرته بالكذب، فقال صاحبه: خلٍّ صدقك ينفعك. وهنا عاد صاحب الذلول إلى عبدالكريم الجرباء وأخبره بالخلاف حول الفرس، فقال له: الفرس لصاحبك، وأنت خذ أختها عن مجيئك لنا، وأعطاه فرساً أخرى فأخذها راضياً ولحق برفيقه.

أما الأبيات التي قالها ابن مويجد يتوجد على عينه فهو يقول:ـ

قال ابن مويجد والصلاة على النبي ... لوعات بقعا كل حي يذوقه
من قال انا من لوعات بقعا سالم ... ما طير بر سالمٍ من وفوقه
قم يا نديبي شد لي فوق شيبا ... شيبا وكن الشب يطلا شدوقه
واركب على كوره ودوِّر لي الدواء ... لعين تَعَرَّض شذرة الموس موقه
يا عين من يحذي ويذري ويلتقاء ... ويدُي من القوم الحماقا احقوقه
ويا عين من يغضي الى شاف زلة ... زلة صديقٍ ما نشد عن مروقه
عشير صعلوكٍ قليل زمايله ... وعدو عفنٍ كثر البخل نوقه

****

٢٤٤- أبيات لها قصة

الأبيات التالية لرجل اسمه مرزوق من الصعران من مطير قالها يمدح هَلاَّل بن الخليوي من بني علي من حرب الذي قام بانقاذه من هلاك محقق.

وخلاصة القصة أن ابن الخليوي كان نازلاً في موضع يقال له (الهامل) في نواحي بلدة (قبة) المشهورة في شمال شرق (القصيم)، وفي يوم من أيام الصيف الحارة وجد صاحب أغنام قد أدركه العطش هو وأغنامه حيث أنه قد ضاع عن موارد المياه وهام في الصحراء يبحث عن الماء، وقد بدأت بعض الأغنام تموت واحدة بعد الأخرى لشدة ما بلغ بها من العطش، فما كان من هلال إلا أن طمأنه وقال له: لا تخف وابشر بالنجاة إن شاء الله أنت وما بقي من أغنامك، ثم استاق القطيع إلى بيته وأدخل الأغنام عن حرارة الشمس داخل البيت، ثم قدم لها ما عنده من الماء القريب ولم يكتف بذلك بل أرسل معه بعض الجمال المحملة بالماء ليطمئن على وصوله إلى الموارد حتى وصل الرجل إلى أهله سالما بعد أن أشرف على الهلاك. وعندما وصل المطيري إلى أهله قال هذه الأبيات يمدح ابن الخليوي الحربي ويشيد بجميله، وهذا من شهامة هذا المطيري وعدم إنكاره للجميل[1].

يا اهل الرّكَاب إلى مشيتوا على خير
حثُّوا عليهن بين شَلّة وُزِرْفال
الله يسَمِّح دَرْبكم يا مسافير
لعل ملفاكم على طَيِّب الفال

(١) اذيعت هذه القصة في برنامج قصة وأبيات من إذاعة الرياض يوم الخميس ١٤٠٩/٣/١٧هـ، كما أنها مشهورة لدى رواة بني علي من حرب وغيرهم.

واليـا لفيـّتـوا دار رِيْــف الخـطـاطيــر

ريف القـطيـن اللي حَـدَاه اشـهـب الـلاّل

تـنـشـر لـه الـبـيـضـا مــن الـشــام لـلـنيــر

حيـث انـهـا عـنـد ابـيـض الـوجــه هَــلاّل

بـروس الـمـظـامي جـاب لـي جَـمَّـة الـبـيــر

واسـقـى شـيـاهـي عـنـد يَـبْـسَـات الابـلال

جـابـن مــن (الـهـامــل) بْـهَــاك الـدعـاثـيـر

الــزول عـنــــدي صـايـــرِ عـشـــرة ازوال

شـومــن لـمـثـلـه يـا الـبِـنِـــي الـغـنـاديــر

ابـن الـخـلـيـوي طـيِّــب الـجــد والـخــال

****

٢٤٥ـ من لا يتعِب النفس ما يعتاش

هذه قصة قديمة تبين لنا الاعتزاز بالنفس والاعتماد على ا لله ثم على عَرَق الجبين. القصة هذي رواها لي راشد بن كليب وهي جَرَت على محمد بن زيد بن نعيّم السبيعي من أهالي (الحريق). المذكور كان ساكناً عند والده زيد وعندما كبر سنه وبلغ سن الرشد صار يكد ويتعيَّش هو ووالده لكن وقتهم وقت جوع وأصابهم نوع من البلاء وهو أن الرجل يأكل ولا يشبع. والولد يحطب وقت الحطب ويحش وقت الحشيش ويبيع ما حصل ويتعيش هو ووالده وعياله. وفي احدى المرات قال لوالده زيد: انا يا والدي تعبت من الكدة واليوم أرجوك تسمح لي أسافر للخارج لطلب المعيشة. قال والده: انا يوم أنا نشيط وأنا أكد وأبيع وكنا معبرين أنفسنا واليوم هذا دورك رد سلفنا علينا أنا وأمك وأخوانك. فزادت حماسة الولد على الكدة بالنهار يحطب وبالليل يحش وكل ما عزم على ترك الكدة تذكر كلام والده: رد علينا سلفنا، فصار دائماً يحاول تحقيق رضا والده، وبهذه المناسبة قال محمد أبياتاً من الشعر يبيِّن استعداده للصبر من أجل سد حاجة والده. وفي يوم من الايام اصابه مرض الحمَّى وتأخر عن رَبْعِهِ وطلب منهم سلف حتى يعافيه ا لله وتعذروه فقال بهذه المناسبة:ـ

انا اقول من لا يتعب النفس ما يعتاش
ومن بان به خِلّة مع الناس عِزّاً له
نهاري وليلي بالجمالة ورزقي ماش
واذا جبت رزق اليوم بُكْرة على فاله
ويا ابو محمد راح عمري وانا قَرّاش
عسى ا لله ايبَدِّل حالةٍ غير ذا الحالة

الى جا الضعيّف للعـرب مـا لقـا بَشـّاش

ولـو كـان جيـد بالصخـا نَسْيَـوا أفعالـه

إلى جا الغني فَـزّوا وحـطّوا تْـحَتْـه افراش

ولـو هـو بخيـل وعـورةٍ لبُّـس نعالِـه

ولا هوب كل الناس لا شـك انـا منحـاش

عـن الحاجـة اللـي عنـد جمـع البخـل مالـه

****

٢٤٦- الكل مِنـّا ماشِيٍ باحترامي

هذه قصة وصلتني مناولـة مـن صنيتـان الديحـاني وهـي مـن القصـص الـتي تتصف بالشهامه وعزة النفس. وهذه القصة جَرَت قبل ثلاثين سنة على الشـاعر: نافع بن نافع المطيري حيث يروى أن المذكور تزوج على فتاة وصار بينهم عشرة وألفة ومحبة زائدة وكـل واحـد يحمـل للثـاني كـل تقدير، الا ان ا لله لم يرزقهـم بأولاد. وبعد ما مضى على زواجهم مدة طويلة صاروا بعض الأقـارب يتدخّلـون بقولهم كيف تجلسين عند هذا الشخص الذي مـا ينجـب ولا أراد ا لله لـه ذريـه؟ وهي تجاوبهم بقولهـا: هـذا شـيء كتبـه ا لله والخيرة خفيـّة والأحسـن إنكـم مـا تدخّلون بيننا. وعندما كثر الكلام والالحاح عليها صارت تبكـي وهـي في حـيرةٍ من أمرها. فلما علم زوجها عن بكاها سألها عن السـبب قـالت: أبكـي أولاً مـن تدخل بعض الناس في شـؤوننا، ثانيـاً: علـى حظـي الـذي لم يرزقنـا بمولـود. قـال زوجها خوذي جميع ما تريدين من البيت ثم حَمَلَـهـا إلى أهلها وبعـد رجوعـه إلى بيته أحس بلوعة فراق زوجته التي كانت تعامله بالوفاء والاحترام، فقال الأبيات التالية التي يقول فيها:-

كَنّيْت ما بـالقلب يـا غـنـَاد وَازْرَيْـت يا غنَاد وَدّوا لي عشيري سـلامي
لا وا لله الا رَوَّحَــت نــورة البيــت النور راح وصار بيـتـي ظلامـي
اللي تهـلّي بي الى رحـت وان جيـت وتزود لي بـالطيب في كـل عـامي
لا مـن ردا منهـا وانـا مـا تَرَدَّيْـت والكـل منـا ماشـي باحـترامي
ولا يستوي عِـلْـمٍ على غير تـثبيـت ولا تصلح البنـدق بليّـا خزَامـي
عـز ا لله انـي عقبهـا مـا تهنّـيت والعين عَيَّـت لا تـذوق المنـامي

وعـز الله انـي في هواهـا تبلويـت ومن عقبهـا حـالي طوَاه الهيـامي

وده تزايد كل ما اصبحت وامسيت وفي وسط قلبي بـاني لـه اخيامي

يـا ونّتي مـن يـوم قَفـًا وانـا اقفيـت وَنـّة كمـا وَنـّة كسير العظـامي

حيـّاه ربٍ خـالق الحـي والميـت يا ودكم مـا انساه دايـم دَوَامي

اقولهـا في بنـت رَبْـع عنـاتيت رَجّـالهم يثـني نهـار الزحـامي

جبرت نفسـي حِشْمـةٍ مـا تَـزَريـّت تكفـا يـا عـاتق عقبنـا لا تضـامي

وانهمك يا عواض لا تقول ما اوحَيْت حاذور يـا عواض نِسْب الحَمَامي

ثـم اسمحـوا لي كـان يـا نـاس زَليـّت راع الهوى عـن حالتـه مـا يلامـي

يقطعـك يـا حـظٍ ورى مـا تَعَلّيـت انهضـك وانتـه مـا تريـد المقـامي

مـا ينفـع المخلـوق لـو قـال يـا ليـت ولا سَر في ما فـات كثر الكلامي

****

٢٤٧ـ الصبر على التعب من أجل المعيشة

هذه قصة قديمة سمعتها من الأخ محمد الشرهان وهي جَرَت على شخص فقير عايش على الله ثم عَرَق جبينه في رعي الأدباش عند أهالي الحلال ... المذكور توفيت زوجته وصار يعمل راعي عند شخص تاجر مقابل عَشَرْ من الغنم كل سنة. وإذا جاء الليل وعاد إلى معازيبه تعبان يريد الراحة والجلوس وإذا زوجة التاجر مجهزة له القِرَب قالت: رح هات لنا ماء للشرب لان الماء الذي هم عليه فيه مراره ... وفي يوم من الأيام تعب من كثرة المشي لان الماء بعيد، قال: أنا عملي رعي الأدباش فقط وليس لي دخل في الماء. قالوا أنت تأخذ منا كل سنة عشرة رؤوس من الغنم ولازم تجيء لنا بالماء اضافة إلى الرعي وأي عمل نكلفك فيه تقوم به. وفي ليلة من الليالي سرَى لاحضار الماء وراحت معه واحدة من بنات صاحب الحلال لكي تساعده، وكان وهو في طريقه يتغنّى بأبيات هجينية بينه وبين نفسه، وسمعت البنت الأبيات، واخبرت والدها بما قال، وطلب منه والدها اعادة الأبيات، ولما سمعها قال: أنت يا ولدي ما قَصَّرت وما دام زوجتك متوفاة حسب ما ذكرت بالأبيات سوف نزوجك واحدة من البنات، وفعلاً تم ذلك ... وهذه القصة تذكرني بما قاله أحد الشعراء القدامَى:

ودّك إلى الرَّجَّال كبده متينة ... يصبر ولو صَلْفَوا عليه المعازيب
لا بدّهم في ساعة ذاكرينه ... اما على خبثٍ وإلا على طِيْب

يقول ما دام الرجال في حاجة إلى العمل وطلب المعيشة عند الناس فعليه أن يصبر ويتحمّل ما يلاقيه من الاتعاب ولا بد أن الله يفرّجها إمّا على زين وإلاّ على غير ذلك.

أما الأبيات التي قالها الراعي فمنها: ـ

يا قلب ما دِمْت في حاجة معازيك

اخدم خَلاَصك وما قالوه قل تَمَّا

قَلِّط اشدادك وخل خَزَيْم يسري بك

وعَجِّل لِبِيْض الصبايا بازرق السجَمَّا .

بالك تصافي عدو السو يوزي بك

شرب العقيلة على كبد الغضي سِمَّا

يا ليت غض النهد باللحد يدري بك

انك على النضو وَرَّاد ولك عَمَّا

****

٢٤٨ـ الصديق عند الضيق

هذه قصة تدور حول الاصدقاء وهي وصلتني رفق رسالة من الأخ صالح العبدا لله الغذامي من سكان (الطائف). ويقول صالح انه كان له صديق ويعامله بالوفاء والاخلاص وله معه مواقف حميدة من مال وجاه. وكان صالح يظن برفيقه هذا الظن الطيب وأنه لو يطلب ما يملك من المال لتخلاً عنه وأعطاه صديقه صالح حسب ما بينهم من معرفة وصداقة ومساعدة. يقول إنه في يوم من الايام جاء صالح إلى صديقه وطلب منه التوسط في توظيف صديق له حسب التعليمات، فقال أنا لا أحب انك تفرض عليّ ارادتك وإذا تَسْمَح تفضّل قم لا تشغلني! فما كنت أتوقع منه هذا الأسلوب .. وفي يوم من الأيام حصل خلاف بين صديقه هذا ورئيسه مما أدى إلى فصله من عمله، وجاء إلى صديقه صالح وطلب منه أن يتوسط له. يقول صالح: فتذكرت موقفه معي وأردت التخلي عنه لكني رأيت أن لا أكون مثله، لأن ذلك واجب علي، فذهبت إلى رئيسه وطلبت منه اعادته إلى عمله والتزمت بكفالته، وتم ذلك. بهذه المناسبة نَظَم صالح أبياتاً من الشعر يقول فيها:ـ

ألا يا لله يا مِذْرِي الهبايب ناصر المغلوب

تِعِين اللي وَقَع في حفرةٍ بالحيل مَلْيَانة

إلى مِنّه حكا عَدْلٍ يعدّه صاحبه مقلوب

رَزَقْنا ا لله قلوبٍ عن طريق الحق عميانة

ألا يا لله تبَرِّد لاهبٍ في ضامري مشبوب

مزارع جثّتي يا عالم الاسرار حرقانة

بلاني ما بلا يوسف ودَمَّر بالعما يعقوب

صَبَر حتى سَجْد له والده وامّه مع اخوانه

الا يا فارج الكربة تفرِّج ماقفِ المكروب

تفَرِّج ماقف اللي ما رجا حيه وحيانه

تراني مؤمنٍ باللي جرا في صفحتي مكتوب

اسلّم للولي أمري وهو يكفين سبحانه

يدير الفلك ويعلم حالتي ويسهّل المطلوب

يرد الماء على مجراه يعدّل مَيْل ميزانه

****

٢٤٩ـ شاعر يتَوجد على الفِرْم

من القصص التي تروى عن قبيلة حرب ومدى كرمهم ما وصلني من الشاعر فايز بن فراج بن البسيس من بني علي من قبيلة حرب، وهو من سكان (قُبَة) وكان له دواب ترعى بالبر حيث ما يطيب لها، وكان كثير التنقل والترحال حتى هبط أرضاً قريبة من منزل الشيخ محسن الفرم شيخ بني علي من حرب، الذي استوطن هذا المكان بعد أن نزح إلى هذه الأرض سعياً وراء الكلأ، وكان الشاعر فايز من جلساء الشيخ ومن ذوي الحظوة لديه وكان يتولاه الرجل برعايته وكرمه حتى توطدت وثائق المحبة والصداقة بينهما. وتركت هذه العِشْرة انطباعاً حميداً وحباً صادقاً بقلب فايز، ومع قدوم الصيف رحل الشيخ بدوابه ومتاعه مفارقاً المكان ومعاوداً أدراجه إلى بلدته وترك فايز مع بعض من جماعته بالبر حتى يتمكنوا من العودة. وفي ليلة من الليالي مر فايز على منزل الشيخ المهجور وتماثلت أمام عينيه اطلالاً من بقايا الشيخ كالرماد وبقايا القهوة وبقايا الجمرات المطفأة فتحركت أشجان فايز، وقال الأبيات التالية التي تعبر عن حزنه لفراق الشيخ محسن الفرم:

سلام يا دارٍ بها التول مزبور　　يا دار نَشّار الشحم للخطاطير
عسى يجيك من اول الوسم شختور　　يزّي[1] جنابك من سحاب مزابير
وياخذ عليك السيل دور بأثر دور　　لين ان حزومك تلتهج بالنواوير
حتى يجونك ظاهرين من الدُّور　　وحنا نجيهم من شمال مسايير
في حزة ما به على الناس قاشور　　مستانسين في ليال المخاضير

(١) يزّي: أي يسقي.

يا دار ابو جَلاّل بـك خـير مذكـور تَـلْـقَى بهـا ريـح الشـحم والمباهـير
كم راس كبشٍ حال من دونه الفَوْر لا حَصّـل المربـاع عقــب المصافـير
وان عاضبت عنه الغنم يذبح الخـور سفن[1] الريادي مبعـدات المصـادير

.... الى آخرها لأنها أطول من ذلك.

****

(١) سفن الريادي: الابل في الصحراء.

٢٥٠ـ معرفة الرمز بالشعر

هذه قصبة قديمة تدور حول ذكاء الشاعر ورمز الشعر، وإن بعضهم يعـرف رمز بعض بدون أن ينتبه الحاضرون. القصة هـذي سمعتها مـن الشاعر المرحـوم ـ زبن بن عمير العتيبي، والشاعر زبن يعرف عنه النزاهة واجادة الشـعر وهـو مـن الذين يعتمد على رواياتهم لأنه كان يأخذ عن مصادر موثوقة. توفى رحمه الله في ١٣٩٥/٣/٢٦هـ.

يقول: إنه في سنة من السنين كانوا الروقه معطين أمـان ومركبـين نـامي بـن ثعلي يـأخذ هـم الأمـان ومتحرِّيـن الخـبر، ولعـل نـامي عندمـا أخـذ الأمـان غـزا والأمان معه وفي بعض الليالي قال هذال بن فهيد شيخ الشيابين يـا شـنبر اذهـب أعطنا علوم الروقة يمكن مندوبهم قد جاء، وشنبر ركـب ذلولـه ولما أقبـل علـى العرب وهو يعقل ذلوله ويجيء إلى البيـوت مختفي يريـد أن يتحسـس الأخبـار، وكانت الدروب مراقبة وممسوكة حتى لا يروح نذير لأحد، وعندما وصـل وإذا هم متخذين لهم شعراء ومجتمعين على الرد والأشعار، فتسـلل الى مكـان اللعـب وإذا رفيقه نامي بنفسه بوسط الملعب الذي معـه الأمـان. فـأراد أن يـأخذ علومـه وأخباره لكن خائف أن يعرف وينكشف أمره ولا قدر يسَلّـم عليه يشوش بهم أحد، قال شنبر من الشيابين أبا أرمز له بيتين من الشعر لعله يفهم ويعطيني الخبر. قال:ــ

أنت نامي وأنت الاقشر وانـت شـين النيـة

خـابرينك خـابرينك مـا انتـب الهزّانـي

يـوم تلعـب شـاربٍ لـك زلفـة مـمليـّة

عندنـا أكـثر والكـرم لله جويـد العـاني

فأجابه: نامي برمز آخر، قال:ـ

العلوم اطوال واَطْوَل من جَبَـل مَـشْـوِيـّة

حـادرات وسـانده تـلـعــب بــك الجيلانــي

جيت بين الداب الأسود والبَـشَـنْ والـحيَّة

واسـتدار بــك المحــال القلــب يــا شـيباني

افتلك يوم الجمل صَـكَّــت عليـك ارحيـه

افْـتِرِكْ والا احْـتِرِكْ والا اطلـب الرحمــاني

فتساءل الحاضرون: من هو الشيباني، فقال: هذا غـلام رَوْقـي كـان راعياً عنـد الشيابين ونسمّيه الشيباني وجاء يريد أن يلعب وهو من صفه يشرد هاتوه هـاتوه وهو ينحر ذلوله ويركب بشدادها ويروح لجماعته وينذرهم. يـوم جـاء الصبـح وجاءوهم وإذا قومه قد غَيَّروا مكانهم وارتحلوا، وهذا دليل معرفة بعضهم رمـز بعض.

****

٢٥١- بعض الشر أهون من بعض

هذه قصة جَرَت من حوالي خمس وثلاثين سنة رواها الأخ صالح الصغير رحمه الله، وهي جَرَت على المرحوم محمد بن بليهد المؤرخ والشاعر المشهور، وخلاصة القصة أنه ذهب هو ومجموعة معه لاداء فريضة الحج وعندما انتهوا من حجهم اتجهوا إلى أهلهم مع صاحب سيارة. وفي الطريق وقفوا للراحة والغداء وذهب الرجل يتمشى فوافق شخصاً من جماعته وسأله عن أولاده وأهله وقال: كل أولادك بخير الاّ زوجتك فهي توفت إلى رحمة الله وتطلبك الحل، فرجع الى أصحابه وخاطره متأثر ومتكدر، فقام رفاقه يجبرون بخاطره منهم من يقول يمكن هذا خبر غير صحيح ومنهم من يقول هذي سنة الله بخلقه وكلنا أموات عيال أموات ... وكان اسم قائد السيارة جميل قد ضاع له دربيل فتأثر بذلك كثيراً وأخذ يندب حظه، وأراد أن يقارن مصيبته بمصيبة صاحبه الذي جاءه هذا الخبر المفجع، فقال له محمد: أنت ضاع لك دربيل وبامكانك تشتري غيره ولا يعتبر الدربيل فقيدة بل الفقيدة زوجتي التي تحتاج من يرعى أطفالها ويشرف عليهم. وقال بهذه المناسبة أبياتاً توضح صحة القصة منها:ـ

ان غدا الدربيل ما هوب الفقيدة   الفقيدة قبل وقت الحج ماتي
يا جميل ارفق عَلَيه وُلاَ تزيده   دوك علمان الدفينة بَيُناتي
زِيْن رِكْب الفُرْت لديار بعيدة   عندي أحلا من ركابٍ موجفاتي
لا حَصَل سَوّاق والعدة جديدة   والمكينة صاغ يا بعد المباتي
سارحين الصبح من خشم الفريدة   هضبة الأكموم والمسا مِرَاتي

****

٢٥٢ـ شاعر يتذكَّر جماعته

هذه قصة من القصص القديمة رواها لي دُبَيْس بن مهلهل بن علوي الشمري وهي جَرَت على الشاعر شمشول بن طلال من العَليَّان من قبيلة شمر، المذكور كان نازحاً عن جماعته إلى الظفير والطوالة، وأقام عندهم وقت من الزمن ثم بعد مدة ذهب إلى ديارهم للسلام على جماعته كالعادة، وعندما وصل منازلهم إذا هم قد رحلوا عنها، والبادية ليس لهم محل معين فدائماً يسعون إلى مصالح أدباشهم من حيث المرعى والموارد ..المذكور عندما وصل منازلهم وإذا ما فيها إلا الطيور تحاجل فوق مشاب نيرانهم، فتذكرهم وتذكر اجتماعهم على القهوة وتبادلهم للسوالف والأشعار وهاضت قريحته بأبيات من الشعر يخاطب فيها طيراً كبيراً كان على مشب نار أحد البيوت، كما ذكر بالأبيات خصالهم الحميدة وما يتمتعون فيه من كرم وشجاعة ومكارم أخلاق، يقول فيها:ـ

يا طير ما عَيَّنْت ربعي هل الكيف　　تقني؟ لهم بالخمس كل البوادي
اللي يخلطون المسَيَّر مع الضيف　　يشبع ويشبع واحد جاك بادي
لا هَبَّت النكبا ليال العواصيف　　ياما شبع من واحدٍ جاك غادي
عقب العشا عدًّا بروس المشاريف　　وأدراه طق الجورهم بالحمادي
وطار العمَاس وكثروا له من الكيف　　وكَيَّف وحط الكوع فوق الوسادي
ما رَدّهم قل المواشي مزاهيف　　ذبَّاحة للضَّان سقم المعاذي
ربعي ذرا راسي حرار المياهيف　　شوفة مجالسهم ربيع الفوادي

****

٢٥٣ـ من قصص الشجاعة

هذه القصة جاءت تعقيباً على قصة سبق اننا أوردناها لعبيد بن فالح بن جلبان من الحبيش من قبيلة العجمان، وقد اتصل بي الأخ حمد بن سعد بن سَعَمان من آل سعد جماعة الفارس ابن لَبْده من قبيلة قحطان، والذي أكد لنا أن القصة جَرَت على سعد بن سَعَمان وابن عمه سعد بن مفرح، الجميع من فخذ آل سعد من قحطان. يقول حمد: أن الأثنين كانوا مع إبلهم في ضواحي (الجُلْه) وعندما اشتهت إبلهم الماء ورَّدوها على عِدٍّ يقال له (الأنجل)، وفي أخر النهار أغار عليهم قوم من أعدائهم حوالي تسعة خَيَّالة طامعين في إبلهم وعندما شاهد الأخوان القومَ حصروا الإبل في نقرة بالنفوذ وحالوا بينها وبين المهاجمين، وصاروا يعتزون وينتخون فيما بينهم، وحصل فيهم اصابات وافتكوا إبلهم لأنهم وقفوا وقفة المفادي بنفسه دون حلاله وشرفه. وعندما انتهت المعركة وصاروا يحلبونها وشربوا من حليبها وارتاحوا بعد عناء القتال والطراد .. قال سعد بن سَعَمان قصيدة طويلة تتكون من حوالي ٤٣ بيتاً تطول على الحلقة إذا أوردناها كاملة لكن نورد ما يوضح صحة القصة، حيث يقول:ـ

عَدَّيْت في مَبْرِيّة عَصْرِية ودموع عيني غَرَّقَت هدبانها
انا وَرَّدْت ابلي قليب عَيْلَم قَذْنا صلاة العصر من مقطانها
واثر سَبْر القوم ينظر فينا من فوق صفرا واقفٍ بعنانها
عَوَّد على رَبْعِه يبّشرهم بنا البل صدير واقبضوا رعيانها
جانا ثمانٍ فوقها ثمانية والتاسعة طاحت خَذَيْت اعنانها

خَيْــلٍ ليــا جاتنــا عنــد ابلنــا   ضيعت انا مـن بندقـي صُوَّانهـا(١)
ضربتـهـم بـالبـنـدق المـسـميـه   في روسـهم كسَّـرت انـا خشـبانها
نعم بْسِـمِيي يـوم جونـا عندهـا   هـو من شمـال البـل وانـا بأيمانهـا
سعد ضـرب لـه سابق مرشوشـة   خـلاف العضـود وتوسـير ابطانهـا
وانـا عقـرت اللـي كبـير راسـها   صمـا الحوافـر سودسـو حذيانهـا
عقرت انا اللـي مـا يوّصـف مثلها   والشـيخ الآخـر طـايح بأوزانهـا

إلى قوله:

تباشـري بـالفك يـا حـم الـذرا   يـوم اللقـى واللفـح مـن ذرعانهـا
أطعـن لعـين الفـاطر أم اشمالـه   اللـي تبشـر بالشـبب ضيفانهـا
وكلـه لعـين اللـي يلـوّح شـقها   حليبهـا يصفـق علـى سيقانهـا
وكله لعـين الثنو اخـت ام الفحل   حمـرا صفـق الذيـل في كرعانهـا
وكلـه لعيـني بنـت رَوْدةٍ وامهـا   كبـيرة الجمهـات بـين اذانهـا
وكلــه لعـين البكـرة العِمْليـة   رديفهـا مـا مـل مـن حجبانهـا
وكلـه لعيـني جـل ذودي كلهـا   تفـرح بنـا لا ضيـعت حيرانهـا
وكلـه لعين اللـي دقيـق صوتهـا   وتنشـد الطرشـان عـن خلاّنهـا
امـي توصّيـني وانـا في كفهـا   امنع صخـاف الشـول مـن قيمانهـا
البـل لاجـا العيـد عيـدي عندهـا   يـوم الصبايـا حذفـت قنعانهـا
البـل لاجـا القيـضِ فانا عبـدٍ لهـا   وانّـا عبيـد البـل ومـن عبدانهـا

****

(١) يقول انه ضاع منه الزند الذي يولع منه بندقه الفتيل وصار يضرب القوم في خشابها حتى تكسر.

٢٥٤- جار يبكي على جيرانه

هذه القصة سمعتها من عدة رواة وآخر ما رواها لي الأخ فايز بن موسى الحربي، وهي قصة شخص من عنزة كان جاراً مع بني علي من حرب أمضى معهم فترة طويلة وهو كأنه واحد منهم بل إنه وجد عندهم من حسن الجوار وطيب المعاشرة ما لم يجده عند بعض جماعته، فقد كان له إبل مصابة بالجرب والمعروف أن مثل هذه الابل لا تخالط إبل الحي عادة لكن جيرانه من بني علي أبوا إلاّ أن تبقى مع إبلهم زيادة في التقدير لهذا الجار الأجنبي.

وبعد مدة من مجاورته لهم جاءه بعض أقاربه وأصروا عليه بالعودة معهم إلى مضارب قبيلته، فوافق على أن يعود معهم لكنه لم يستطع اخفاء دموعه حزناً على فراق جيرانه من بني علي، فلما لاموه على بكائه على حرب وهم أعداء قبيلته، رد عليهم بالقصيدة التالية:

قالوا: علامك يوم تبكي على حرب
وهم لنا عدوان ما ينبكوني[1]
قلت: البكا ما هوب للبُعد والقُرْب
أبكي عليهم عقب ما جاوروني
عن دربنا ياليت ماجا لهم درب
ولا هَلّت العَبْرة عليهم عيوني

---

(١) ليس المقصود بالعداوة معناها الحقيقي وإنما المراد ما كان بين القبائل من التنافس الذي كان سائدا في السابق، أما الآن فالجميع إخوان بفضل الله ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

أربــع سـنـيــن وزمـلـنـــا عــنـدهــم جُـــرْب

مـا اومـوا عـلـيـهـن بـالـعـصـا يـضـربـونـي

عـن ذودهـــم ذودي يـقــدِّم عـلى الـشـــرب

مَـرْحُـولـنــا يـشــرب وهـــم يـقـهـرونـــي

يـا عـنـك مـا هـم مـن هـل الـهَـزْب والـزرب

ولا هـــم بـغِـرّة جـارهـــم يـنـظـرونـــي[1]

رَبْـعٍ عــلى الـشــدَّات والـهــون والـكَـرْب

مــا اذمّــهــم، بـافـعـالـهـــم يـمـدحـونـــي

وان حـل عـنـد اقـطـيـهـن بـالـقـنـــا ضــرب

يـتـلـون أبـو جَـلاَّل حـامـي الـضـعـونـــي[2]

تـلـقـى دمـا الـفـرسـان مـنـهـم لـهـا سـرب

هــذا طـريـــح وذا عـمـيـــق الـطـعـونـــي

انـشـر لـهـم بـيـضـا مـن الـشـرق لـلـغـرْب

وا لله مـــا انـســــى لابــــة قـدَّرونـــــي[3]

...إلخ[4].

ويقصد في قوله: يتلون أبو جَلاَّل: الشيخ محسن الفرم شيخ بني علي.

****

(١) يا عنك: صيغة توكيد أي إعلم ليسوا كذلك، الهزب الزّرْب المراد السب والقدح.

(٢) ابو جلال: الشيخ عبدالمحسن الفرْم شيخ بني علي.

(٣) لابة: أي قوم أو جماعة.

(٤) اذيعت هذه القصة من إذاعة الرياض عبر برنامج قصة وأبيات. كما أوردها عبدا لله بن خميس في كتابه: من أحاديث السمر ج١ ص٢٣٤ ط٣ (١٤٠٩هـ).

٢٥٥ـ من قصص حسن الجوار

هذه قصة قديمة تدور حول الجار .. القصة رواها لي الأخ دبَيْس بن مهلهل الشمري وهي جرت على معتاد بن روضان الوهبي من الوهوب من قبيلة حرب. المذكور تجاور هو وعرب من آل عليـَّان من شمر على مورد ماء في (أوثال) بضواحي (عيون الجواء) بالقصيم ومضى على ذلك حوالي ثمانية شهور وهم في جيرة ما أحلاها يتساعدون ويتبادلون الجميل والسوالف والاشعار .. وعندما اقترب موسم نضوج النخل استأذن منه جيرانه وأخبروه أنهم يريدون الرحيل إلى نخيلهم وأملاكهم في جبل رمَّان وجبل أجا في نواحي (حائل) .. وعندما انتقلوا إلى نخلهم بقي معتاد وحيداً في المنزل وتذكرهم وتذكر اجتماعاتهم والأنسة التي قضاها معهم وهاضت قريحته بأبيات من الشعر ذكر فيها رحيلهم وما يتمتعون به من مكارم الاخلاق. كما ذكر بالأبيات شيخهم ابن سعيِّد الذي يروى أنه ذبح خروفاً للذئب وعشَّاه ولقب بمعشِّي الذئب.

والأبيات طويلة وتوضح صحة القصة، ومنها:ـ

البارحه بالقلب شَيْبٍ وتشييب	والقلب من طاري التفاريق شابي
شَدُّوا عربنا فوق عوج المصاليب	أمس الضحا شفت الرحايل اتجابي
والرِّجْل قامت تحترف للمراقيب	ما هو هَوَى اللي زاهيٍ بالثيابي
لاولاد علي مْدَلِّهين الأجانيب	مع نزلهم كثرة ثلاث النوابي
عشران للطيِّب ومن يشتهي الطِّيْب	واللاش من عصر الهلالات هابي
راحوا لغرس اجدودهم بالشخانيب	يطلع ولا تفجَر عليه الجوابي
غيدٍ بروس مشمرخات العراقيب	غيد بروس مشمرخات الهضاب

يـا مـن خـبر قَــدَّم بشَــاته علــى الذيــب

عشــاه يــوم الحــت عليــه الكلابــي

هــذا كــلام ولا بهرجــي تكــاذيب

وتلقـى شـهودي مــع مشـابي جوابــي .

****

٢٥٦ـ شاعر يرثي الشيخ محمد بن مناحي الهيضل

هذه قصة من قصص الوفاء والتمسك بالصداقة وهي جَرَت من حوالي عشرين سنة، حيث كان الشاعر حمد بن سعد بن سعمان من قبيلة قحطان ساكناً بجوار أمير اللواء الثامن بالحرس الوطني سابقاً المرحوم الشيخ محمد بن مناحي الهيضل من شيوخ الدعاجين من عتيبة ويقضّون وقتهم في تبادل القصص والأشعار. وفي يوم من الأيام جاء حمد يمشي مع الشارع متجهاً إلى صديقه وإذا يقابله نعيس بن جارا الله وقد تَغَيَّر وجهه ويبكي، قال حمد: ماذا بك؟ قال: محمد بن مناحي توفي ويطلبك الحل. فتأثر حمد وسكت قليلاً، ثم قال ـ أعوذ با لله من الشيطان الرجيم لا يوسوس بنا الشيطان لكن تفضل نشرب القهوة وخلنا ندعو له بالرحمة والمغفرة ولا هو مستفيد منا إلاّ الدعاء إذا ا لله قبله .. بعد مدة مَرَّ حمد بن سعد على قبره يوم رآه تأثر كثيراً وقال أبياتاً من الشعر ذكر فيها خصاله الحميدة وما يتمتع به من مكارم الاخلاق، حيث يقول:

قبيلتي قحطان وابكي عتيبي   أبكي على ريف النشاما إلى غاب

يقول انه بعيد نسبه عني لكن هذا دليل محبته عنده لا لقرب نسبه أو لغرض من الدنيا .. يقول بالأبيات ...

يا لله ياللي فوق خلقه رقيبي   يا مدّبِّر كل المقادير باسباب
عِنّا على الدنيا والأمر المصيبي   واغفر لنا يا اللي على العبد توّاب
أمس الضحا غافل وقلبي مغيبي   واوحيت حس مصيِّحٍ صاح مرتاب
قلت: الخبر؟ قالوا: فراق الحبيبي   قالوا محمد مَيِّتٍ والقدر صاب
فريت فرَّة مستخفٍ رعيبي   وجضيت جضّة من كلا رِجْله الداب

والصدر بالعبرات ينحب نحيبي والدمع من عيني على الخد سَكّاب
قبيلتي قحطان وابكي اعتيبي ابكي على ريف النشاما إلى غاب
ما دَبَّر الله كان غصبٍ وطيبي ولا احْدٍ بحكمه له نكيف وطَلاّب
مرحوم ياللي ما شكاه القريبي ولا شكوا منه الرفاقة والاجناب
سَهْل الجنَاب ومحضره ما يغيبي له مجلسٍ يرْده عِيَال وُشِيَّاب
يامر هم بمهيَّلاتٍ وطيبي دايم دوام وراعي الكيف صباب
ويدني خويه بالمكان القريبي ما يتركه محقور يجلس ورى الباب
والى هَرَج كلٍ لهرجه يجيبي ما فيه من بعض القشر زود ورْهَاب
شيخ ولد شيخ وساسه عريبي والطيب له من ساس جده والانساب
ماله جنيس كود حلو الحليبي من الملا ما يكرهه كل شَرَّاب
عساه بالجنات ما له حسيبي والحور يلقّنه بفَزَّة وترحاب
ولا مات شيخ مِرِّث له عقيبي فرخ تنهَّض بين صايح وجذاب
خالد ترى كسب المراجل صعيبي يكود من عض النواجذ بالانياب
خالد تراك نْبرَاس عوصا رقيبي في ماكرٍ متعلّي كل مرقاب
حاذور من خطوى جليس غضيبي يودعك شينٍ بالرفاقه وُسَبَّاب
مْجَالَس اهل الشر ذَنْبٍ وعيبي ومْجالس اهل الخير يدخلك الابواب
باب المعزَّة وارتفاع النصيبي باب الهدى والرشد للخير كَسَّاب
وصلوا على سيد العباد الحبيبي اعداد ما خط القلم حبر وكتاب

****

٢٥٧ـ مستخدم يحن إلى مرابع سيده

هذه قصة قديمة وصلتني رفق رساله من الأخ هزاع بن غالب أبو هليبة من شيوخ واصل من الدياحين من قبيلة مطير يقول هزاع: إنه روى لي والدي وكبار السن من جماعتي أنه في سالف الزمان كان نقاء بن قاعد بن مَثّال أبو هليبة يلقّب بأبو طيخان من زيادة كرمه، وكان له عبد اسمه مساعد يرعى إبله وكان رجلاً شجاعاً ويعتمد معزِّبه على الله ثم عليه لما فيه من الشجاعة والمعرفة ويقدّره ويأخذ بخاطره لحسن سيرته وسلوكه مع أعمامه وعشيرته. وفي يوم من الأيام ضاعت بعض إبل عمه فذهب يبحث عنها وصادف نزول أمطار وعجاج وغبار قوي واختفت عنه الرؤيا وضاع العبد بنفسه وأمضى أربعة أيام وهو يمشي لا يدري أين يتجه، وصادفه ركب من أهالي الجنوب ومشى معهم خوفاً من الهلاك وأخذه شيخ هذه المركوبة عنده وكرّمه ولاحظ عليه أنه كثير التفكير وغير مرتاح من جلوسه عندهم. فقامت زوجة هذا الشيخ التي تُدَعَى الجازي تبرّه وتزود له الأكل قصدها ترَغّبه في البقاء عندهم لحاجتهم إليه، فصارت كل يوم تعمل له قُرْصاً وتفركه بالسمن وتخفيه حتى لا يراه أحد لأنه ذكر ذلك بالأبيات. وعندما سمع معزبه الأبيات بَشَّرَه بأنه سوف يُوصِلِه إلى عمّه أبو هليبة، فكلّف شخصاً من جماعته يوصله، وعندما وصلوا إلى عمّه نقاء أكرمهم وذبح جزوراً تكريماً لهم وأعطى الشخص الذي جاء به ذلولاً له وعشراً من الابل للشيخ الذي أرسله .. أما الأبيات التي قالها العبد مساعد فهي طويلة منها:ـ

مالي هَوَى لو قِلّط الزاد لِيَّه   لو قادت الجازي عليّ بْدراها
ودموع عيني شَنّة شوشلية   من عَيْلمٍ ما يقطَع الشوف ماها

عيـني تراعـي كــل راعــي مطيّــة وشفّــي لحيــّانِ تقــافت وراهــا
شـفـي بـابو طيخــان زبــن الونيــّة كـم سـابق خـلا عَوَضْهــا خذاهــا
أمــير قــومٍ وان مشــوا في غزيــّة مِلْحق ثبــَارِ قــاصراتِ اخطاهــا
جَــزْلٍ إلى منــّه وُمَــرْ في عطيــّة بــلاَّل كبــدٍ يابســه مــن ظماهــا
والى تعلّــى فــوق بنــت الغَبَيــّة رَمَــى لطيــورِ طــايرات عشاهــا
يــاعم مِقْــدَم ســربةٍ عامريــه ستر هنـوف ذاهلــة عــن غطاهــا
تلقــى اعمــامي بــأول الواصليــة ان رددوا بــين القبــايل بَـرَاهــا

****

٢٥٨- من قصص الغزل العفيف

هذه قصة قديمة من قصص الغزل. علماً بأن قصائد الغزل تتنوع من حيث بُعْد نظر الشاعر. فاذا تتبعنا قصائد ابن سبَيِّل والقاضي وأمثالهم من الشعراء نجد فيها العفة ولا هو معلوم انه إذا قال الشاعر نظرت أو حَبَّيت أو التقيت أنه صحيح، لكن يقولون ذلك على سبيل التسلية بالمجالس، وكما قيل الشعر أعذبه أكذبه .. ذكر لي الأخ دُبَيْس بن علوي الشمري أن شخصاً من قبيلة شمر قال أبياتاً من الشعر يتوجد على معشوقته منها:

واهني من شافنا بارض اشبِرِّية ... سالمين كلّنا والعشب زامي
صايدين العِلْم عند أطرف رعيّة ... وناشدين عن عرب مرْخِي اللشامي

وعندما سمعه الشاعر مناور بن عقاب بن سعيِّد من العليّان أجابه بقوله:-

الضحا عَدَّيْت انا راس الجذيبة ... في طويل الصوت وأجبت الحمَامي
أوتلم يا بو مَشَل فوق النجيبة ... وخص لي ناب الردايف بالسلامي
كان وادي عندها قضاب غيبه ... لا يجي عِنْدَه ترى جرفي هدَامي
لا يقول أقفا حبيبٍ من حبيبه ... دُوك عيوني حاربت لذ المنامي

أما بنت من بنات البادية أعطاها الله جمالاً باهراً وحسن منطق وخفّة نفس بالاضافة إلى تمسكها بمكارم الأخلاق وتجنبها لما يدنس العرف والشرف وبُعدها عن العار، وقد أولع في حبها رجل اسمه ناصر الحمود الهياف من أهل (الغزالة) وهي في غربي (رمّان)، وكان هناك رجل من أهالي الجنوب قال أبياتاً في معشوقةٍ له وقال فيها أبيات منها هذا البيت:-

يا وجودي وجد من دَوَّر ذهيبه ... في خشوم طوَيْق وِفْيَاض عديّة

فأجابه دبيس بن مهلهل الشمري بقوله:ـ

يا وجـودي وجـد مـن دَوَّر ذهيبـة   بين سقف[1] وبين مبهل[2] واشبريِّه[3]
حـافي الرجلـين والفرجـة تعيبـة   وابحـل المسـكين مـا يِلْـقَى مطيـَّة
أو وجـود اللـي تَنَحَّا عـن حبيبـه   شـالته الاقـدار يـم المهمهيـة
أو وجود اللـي حبيبـه شـرق شِيبة   غربـي الضلعـان مـا يوجـد حَلِيـَّة
كان ابو درويش مـا نَـاكَر صحيبـه   يَـبْخَص الحالـة ويكتـب لي وصيـَّة
وان حصـل لـه حاجـة منهـم يجيبـه   بـين ذي وذيـك والدعـوى معبيـة

****

(١) سقف غربي الغزالة.

(٢) مبهل ممشا يوم للمطيه من الحليفة.

(٣) اشبريه تقع شرق رُمَّان.

٢٥٩- المال ما طيّب اعفون الرجاجيل*

هذه القصة أوردها الشيخ منديل الفهيد في كتابه، لكن الأخ فائز الحربي رواها لي بتفصيل أكثر حيث يقول: إن هذه احدى قصص النساء التي تدل على أصالة نساء العرب وحرصهن على الخصال الحميدة واعجابهن بذوي الهمم العالية من الرجال، حيث أن مقياس الرجال عندهن هو الأخلاق الفاضلة والصفات التي يحث عليها ديننا الحنيف ويقوم عليها مجتمعنا العربي المسلم، وليس المقياس عندهن مقدار ثروة الزوج أو وظيفته.

وهذه القصة جرت على هَيَا بنت عيادة بن راشد العوني من بني سالم من حرب وذلك في حدود سنة ١٣٥٠هـ تقريباً، حيث كانت عند زوجها مبشر بن مرزوق من الحصنان من مزينة من بني سالم من حرب وكان رجلاً يملك جميع صفات الرجولة من التقوى والكرم وحسن المعاشرة، لكنه كان يعاني من ضيق ذات اليد في تلك الفترة التاريخية القاسية من حياة أسلافنا قبل أن يفتح الله على هذه البلاد أبواب الخير وتكثر النعم بفضل استتباب الأمن وانتشار العلم بفضل الله ثم بفضل حكام هذه البلاد جزاهم الله خيراً وأعز الله على الاسلام ملكهم.

وفي احدى المرّات زارها والدها، ولما رأى ما هم عليه من قلة ذات اليد أشفق عليها وأخذها معه لتزور والدتها واخوانها ولتمضي عندهم بعض الوقت. لكن والدها تأخر في اعادتها إلى زوجها بعض الشيء، وكانت هي تفضّل أن تعيش مع زوجها على فقره ولا تعيش في بيت والدها مدللة مرفهة، وذلك لِمَا

* حول هذه القصة انظر: من آدابنا الشعبية، تأليف: منديل الفهيد ج٢ ص٦٠ وص١٧٠، وجريدة الجزيرة الصادرة يوم الخميس ٣ رجب ١٤١٤هـ، وكذلك يوم الخميس ٩ شعبان ١٤١٤هـ.

رأت من زوجها من خصال المروءة وطيب النفس وحسن المعاشرة لها. وفي أحد المرات سمعها والدها تتغنى ببعض الأبيات وهي لم تشعر بوجود والدها بقربها. أما الأبيات فمنها:

يا من لِعَيْنٍ حاربت سوجة المِيْل
على عشيرٍ بالحشا شب ضوّه
عليك ياللي طبخته نصفها هَيْل
اللي سعى بالطيب من غير قوّة
المال ما طيَّب عفون الرجاجيل
والقل ما يقصر براع المروّة
يا عنك ما حس الرفاقه ولا قيل
ذا مغشيٍ ما ينزّل حَول جَوّه
له عادةٍ ينطح وجيه المقابيل
هذي فعوله بالمراجل تفوّه
أجواد نسل أجواد جيلٍ ورا جيل
الطّيب فيهم من قديم وتوّه

وفجأة خرج عليها والدها وطلب منها أن تعيد عليه الأبيات فرفضت، لكنه ألَحَّ عليها حتى أسمعته إياها كاملة، فأعجب بها وبتقديرها لزوجها وقام بإيصالها إلى زوجها على الفور ومعها حمل جمل من الأرزاق والقهوة هدية لزوجها ومساعدة له على ظروفه العابرة، وتقديراً لمروءته وشهامته.

وبالمناسبة فقد توفيت هذه المرأة النبيلة في حدود سنة ١٣٧١هـ تغمدها الله بواسع رحمته، كما توفي زوجها مبشر في بلدة (دخنة) في العشر الأواخر من

رمضان سنة ١٤١٥هـ صائماً قائماً بعد عُمْرٍ حافل بالاستقامة وطاعة الله ومكارم الأخلاق، نسأل الله له واسع المغفرة.

وبالمناسبة أيضا فهذه الشاعرة هي والدة الشاعر المشهور مرزوق بن مبشر الحربي الذي يقيم الآن في مدينة (الخرج) مع بعض اخوانه وكلهم رجال كرام كأسلافهم.

****

٢٦٠- الشعر ليس فيه عيب

هذه قصة قديمة وهي من قصص النساء وسمعتها من الشاعر خفيج بن رمّال الشمري، وهي جرت على الشاعرة سعْدَى بنت خالد بن صفوق من الرمال من قبيلة شمر. المذكورة شاعرة وكانت كثيراً ما تروّح عن نفسها بالشعر وتتغنى في بعض الأبيات التي تقولها هي وصديقاتها من النساء .. وفي يوم من الأيام ذهبت هي وبعض صاحباتها إلى الغدير لكي يجلبن ماء وجلسن بجانب الغدير بالبر، وأخذن يتجاذبن الغناء في بعض أبياتها، وإذا بامرأة من النساء الواردات على ماء الغدير، وسمعتهن فقامت تلوم عليهن وتنصحهن بترك الغناء بقولها إن الغناء يعاب على النساء. فردت عليها سعدَى بأن العيب ليس في قول الشعر، لأن بعض الشعر يحث على مكارم الاخلاق والخصال الحميدة ولكن العيب في جميع ما يدنّس العرض ويخل بالشرف. وقالت سعدَى بهذه المناسبة بعض الأبيات ذكرت فيها (راف) وهو جبل مرتفع، تقول بالأبيات:ـ

نَطّيْت رِجْمٍ بغربي رَافْ ... يلعب به الهَيْف طايفها
قلبي كما دَلّة الهرجاف ... لا صار ابو زَبْن حايفها
العيب ما هو ابدع القاف ... العيب يا بنت نعرفها
العيب في قضبة الملقاف ... لا جا عشيره ايدغّفها

أما الهرجاف فرجل مشهور بمهارته في عمل القهوة.

تقول إن العيب في مواقف التهمة لا بقول الشعر..

****

٢٦١- رجل يتوجد على زوجته

هذه قصة من القصص القديمة رواها لي الشاعر راشد بن كلَيْب وهي جرت على ناصر بن علي الكثيري من أهالي (الحريق).

واهالي (الحريق) لهم من المزايا الطيبة كغيرهم من كرم وشجاعة ومن المهتمين بالأدب الشعبي، وظهر منهم قديماً فطاحلة من الشعراء مثل محسن الهزّاني وناصر الهزاني وابن توَيْم عبدا لله وغيرهم ممن لا يحضرني أسماؤهم. كذلك شكلوا لهم فرقة تعرف بفرقة (الحريق) بالرياض لتأدية الفنون الشعبية كالعرضة النجدية وفن الحوطي وغيره من الفلكلورات الشعبية. نرجع إلى ناصر الكثيري فهو صار بينه وبين زوجته خلاف بسيط أدّى إلى ظهورها من بيته إلى بيت أهلها فاستغرب ظهورها عند خلاف بسيط وقال أبياتاً يسندها على ابن عمه ناصر ويذكر له أنها تمت عند أهلها شهرين كما ذكر أن سبب المشكلة كلام النساء حيث أن بعض النساء وغير النساء لا هم لهم إلا نقل الكلام السيء بدلاً من جمع القلوب على المحبة والسعي بالصلح بين الآخرين. كما هو واجب، بهذه المناسبة قال ناصر بن علي الأبيات التالية يسندها على ابن عمه ناصر:ـ

يا بو حمد يالقَرْم يا ذَرْب الافعال   أشكي عليك القلب والهم طاويه
فرقا وليفي حط بالحال سلال   وِفراق نور البيت ما نيب قاويه
هذا لها شهرين والترف ما زال   وش حيلتي لا صار زعلٍ وابارضيه
ابو جديل فوق الامتان مَيّال   بالورد والريحان والمسك غاذيه
طَوّل غيابه بالزعل واشغل البال   يا بو حمد ضاع الفكر ويش طاريه
خلي عطا باقفاي من عقب الاقبال   لو طالت المدَة فلا نيب ناسيه
شبه غزال ذايره صابه اجفال   مني عسى ربي يقود الرجا فيه

فأجابه ابن عمه ناصر بن راشد الكثيري يحثه على الصبر ويذكر له أن زعلها زعل ما له مُبَرّر ولا بد أنها سوف تراجع من نفسها:

يا بو علي ياللي عَلَيْ تشكي الحال — انا معك باللي تبينا نسَوِّيه
بالحال وايضا الوجه والجاه والمال — واللي بَرَى حالك خطا منك تشكيه
غيض التغلي والدلع ما به اشكال — شد الرسَن لا تطلقه وانت راعيه
اصبر ولا بد الشقا عنك ينجال — ولا تشتيكي خِلّك إلى صرت مِغْليه
خذته على السنة من العم والخال — ومن صلب جدّك يالسنافي مجانيه
خَلّك على الفرقا صبورٍ وُحَمّال — والسر عند الناس لَيّاك تبديه
حتى يجيك الزين يرجس بخلخال — يدخل عليك البيت من دون تدعيه

****

٢٦٢ـ من شعر رمَيْح الخمشي

هذه قصة قديمة من قصص قبيلة عنزة سمعتها من الأخ منديل الفهيـد وهي جرت عندما نزحوا قبيلة عنزة من (نجد) الى (الشام) فصار لهم جـولات وصولات فتملكوا فيها بعد معارك دامية وصارت أملاك الشيخ ابن ملحم في (حمص) وأشرع بيته للضيف والمحتاج فزاره الشاعر محمد بن سمير وعندما تقهووا وجاء دور الشعر قال ابن سمير ..

يا دار من دم المعادي سقيناك　　من ذبحنا بالضد كَلَّت ايدينا
يا دار من كثر التواقيف عفناك　　عفناك لو انك حدا والدينا
يوم ان صليب الرَّاي قفّا وخلاّك　　مع الثنية قادنا ما غدينا

أما الشاعر رمَيْح الخمَشِي من ولد سليمان من عنزة فهو يعرف عنه اجادة الشعر وله قصائد عديدة وقوية وفي سنة من السنين سَيَّر على الشيخ عقيل بن مجلاد شيخ الدهامشة وأكرمه وأقام عنده مدة وهو مكرم وعندما رجع إلى اهله محملاً بالهدايا والعطايا الجزلة تشكر منه وطلع على رأس جبل عندهم وقال بعض الأبيات وأرسلها على الشيخ عقيل منها:ـ

عَدَّيت مرقابٍ براس الجذيبة　　ما به زيادة مَيْر زايد تِعِنّي
علـى عشيرٍ راح وابطا مغيبه　　اربع ليال وباح بالصبر مُنّي
أشقر جَعَد ما ينتداوى صويبه　　صوبات غيره باللحم ما رمني
حرب الغلا واقفا بقلبي غليبه　　غاب الفزع وانا صياحي مقّني
ا لله ولا من حجةٍ ندّعي به　　لا عاد لا بُدّه ولا هوب مني
دَنُّوا قعودي كان صارت مصيبة　　يفرح إلى قرّب شداده ودِنّي

أشـعل إلى هِـزَّت عليـه العســيبة　　بتيـل تقـل يرامـح العصـر جنـّي
يلفـي علـى حـامي جوانـب شـعيبه　　غصب على الزعلان مـن غـير مـني
عقيـل زبـن اللـي تـرَدَّت هليبـه　　خـلا النصـارا دينهـم ديـن سِـني
شَـوَّاش لا صـارت عليـه المصيبـة　　زودٍ علـى الهقـوة وحَمـني وظنـّي

****

٢٦٣ـ من قصص النخوة والكرم

هـذه قصـة قديمـة رواهـا لي حمـد بـن شـبيب وهـي جـرت علـى سـعدون الحميداني من الهتلان من قبيلة العجمان .. المذكور ضاع له مجموعـة مـن الابـل وقام يبحث عنها وأخذ له مدة وهو يبحث عنها يميناً وشمالاً ولا وجدها حتى إنه تأثر من التعب وصار فيه ألم في رأسه وهو حـالة من الدوخـة تصيـب مـن يتعـود على شرب القهوة ثم يفقدها فترة طويلة ويسمونه العمَـاس لأنـه صـاحب قهـوة ويستعملها بكثرة ويشربها، فتغير بحثه عـن الابـل إلى البحـث عـن شـخص يجـد عنده قهوة يشربها عن العماس، وعندما يئـس مـن العـرب وجـد رجـلاً مـن آل مرجع من العرجا اليامية جماعة ابن مجحود، فقام ورحبٌ به وأشعل النـار وعمـل له قهوة وتقهوى هو وإياه وأكرمه ولـمَّـا ارتاح وارتوى سأله عـن إبلـه الضائعـه قال اليامي يا سعدون إذا أصبحنا وتقهويت رحت أنا وإياك لكي أوسـع صـدرك وسوف نجدها إن شاء الله. وفعلاً في الصباح ذهب هو وإياه ووجدوهـا. وبهـذه المناسبة قال سعدون أبياتاً طويلة منها:ـ

البارحـة عِقْـب السـهر والتعومـاس — عَيِّنْـت رَبْـعِ وَصَّلونـي امْـرادي
سـمَرْت معهم فـوق دلّـة ومحمـاس — مـا بـاخلوا في بنّهـا والقنـادي
الأولـة منهـا الخَوَى فـاخت الـراس — والثانيـة مـاج العَمَـس مـن فـوادي
والثالثـة يسـهر بهـا كـل نَعَّـاس — مـن ذاقهـا مـا عـاد جـاه الرقـادي
عَيِّنْـت لي رَبْـع عديمـين الاجنـاس — سَعَّـايةٍ في مالهـا للنفـادي
وا لله لا جـا عندهـم مـال عَبَّـاس — ان يَذْمرونـه بـالمراجل اعنـادي
مـاكر حـرارٍ مـن قديـم لهـم سـاس — طيـور تقنَّـص في ليـال الهـدادي

****

٢٦٤ـ قصة البدري مع الشيخ نقا الشُطَيْر

أورد الشيخ منديل الفهيد(١) أربعة أبيات من قصيدة البدري لكن الأخ فايز الحربي رواها لي كاملة حيث يقول: إن الشاعر مبارك البدري من سكان ضواحي مدينة (الرس) وهو من أهل القرن الثالث عشر، وكان فلاّحاً في قرية ابن سعيد في ضواحي (قصر ابن عقيِّل) الذي يقع غرب مدينة (الرس)، وفي أحد السنوات هزلت معاويده وهي الدواب التي يسنى عليها ويسقي بها زرعه وبستانه وأوشك زرعه أن يموت، فقصد الشيخ نقا بن سعد الشطَيْر شيخ الشعَب من بني عمرو من حرب يريد أن يستنجد به وطالباً منه العون لانقاذ مزرعته.

وكان الأمير في ذلك الوقت سعد الشطير وهو شيخ كبير السن، أما ابنه نقا فقد كان شاباً في مقتبل عمره. ولما جاء البدري إلى الشيخ سعد الشطير أخبره بأحواله وبما حل بفلاحته واستأذنه في القاء قصيدة، فقال امدح نقا ولا تمدحني فأنا شيخ كبير والامارة مدبرة عني مقبلة على نقا!

وكان قصد الشيخ أن يمتحن تصرف ابنه ويعوده على الكرم ونجدة ذوي الحاجات وهذه خصال تتطلبها مشيخة القبيلة.

وهنا اضطر الشاعر البدري إلى تحريف القصيدة وتوجيهها إلى الابن بدل الأب، فقال قصيدة منها:

نقا الشطير معَوّدٍ هَبَّة الريح
ليا وَخّر الفلاّح عيشه ولا باع

---

(١) من آدابنا الشعبية، تأليف منديل الفهيد ج٤ ص٢٢٥

خَيـّـال وُضْــحِ مبعــدَاتْ الـمساريـــح

وان ثوّرَن صـــم الرمـك قاسـي القـاع

لا صاح صَيّاح الضحى والدبش زِنْـح

وتـناولـــوا في روسهـــن كـــل مطـــواع

رَكّــاز مهتـــش الغَلَـــب بالنحانيـح

لا جــن جِــرْد أرقابهــن مثـل الانبـــاع

خــــلاّه هــــرّابٍ والأخـــــرى مدايـــــح

والعلط بارقاب المعادين شــرّاع[1]

ضيّق عليهم بالسهال الصحاصيح

كنّه يصاغيهم عــلى بعض الاريـاع

وبعد أن سمع الشطير القصيدة أعطاه ناقتين لاستخدامها في السواني كما أعطاه جملاً للركوب.

****

(١) خلاه: أي خلاها والمعنى تركها. هرّاب: أي هاربة. شرّاع: أي مشرعة.

٢٦٥ـ ومن الحب ما قتل!

وهذه القصة رواها لي مزيد السريحي المطيري رحمه الله وهي جرت على واحد لم نحظى بمعرفة اسمه إلا أنه يقال له ابو فهاد. المذكور صاحب حلال وله أولاد اثنين ومتزوجين وعندما توفيت والدتهم تقدم إلى خطبة فتاة صغيرة وأخذها وصارت تحبه وهو يحبها محبة زائدة وإذا نزلوا بنى لها بيت في جانب بيت أولاده. وفي مرة من المرات نزلوا في فيضة بها عشب كثير وفي طرفها عند منزلهم قبر قالت البنت زوجة والدهم أنا ما أحب القبر، وصارت تخاف منه وإذا راحت تحضر الحطب أو الماء تبتعد عن جهة القبر. وعندما نفد الماء القريب منهم نزلوا على عِدّ مدفون ومهجور وملوث بالجراد والحشرات فبدأوا بحفره وتنظيفه، لكن والدهم أغمي عليه أثناء نزوله بالبئر بسبب فساد البئر ورائحته الخانقة، فأخرجوه ونقلوه إلى البيت وهو في حالة اغماء تام. وعندما رأته زوجته الشابة محمولاً على أكتاف الرجال فاقد الحركة والاحساس ظنت أنه ميِّت، فتأثرت بذلك تأثراً كبيراً، ولم تحتمل الصدمة فتوفيت في الحال. ولما تأكدوا من وفاتها أخذوها وغسلوها ودفنوها بعد أن صلّوا عليها.

أما والدهم فما أفاق من الاغماء إلا اليوم الثاني، وبعد أن عاد إلى كامل وعيه وجلس على المِرْكا وشرب القهوة، سأل عن زوجته. ولأن أولاده لا يريدون فجيعته قالوا له: إنها ذهبت مع والدها البارحة. فذهب أبوهم إلى أهلها وهم لا يبعدون عنهم كثيراً. ولما وصلهم قابلوه بالترحيب والسؤال عن ابنتهم! فقال إنها عندكم، ثم علم بالقصة بعد أن رجع إلى أولاده. وقد حاولوا أن يسَلّونه عنها بقولهم إن هذا يومها وإن النساء غيرها كثيرات! لكنه لم يسمع كلامهم وذهب إلى قبرها وصار يتردد عليه ويرقى الضلع القريب من قبرها

وينزل وهكذا يقضي معظم وقته عند القبر، ولما ذهب إليه ابنه الكبير فهاد يحاول احضاره للبيت قال الأبيات التالية:

فهَّـاد انـا وَنّيـت في ذا الطويلـة وُعزّي لـمن مثلي شكى حِزْ غاليـه
إن مِتْ يـا فهَّـاد لـو عقـب طِيْلـة وداعتـك خلُّون بـارض دفـن فيـه
وانـك تَسَـمْوى بالجنـازه تشـيله تقـول وَصَّـاني ولانـي المخلّيـه
هَـدُّوا عليـه القبر واعزتـي لـه عـز ا لله انـي خـابره مـا يدانيـه
حَطّوا عليه مـن الرواسـي ثقيلـه هَدّوا تـراب القبر مـن فـوق غاليـه

يوم انتهت الأبيات وهو يتوفى ويحفرون له قبر عند قبرها ويدفنونه فيه ..

****

٢٦٦ـ الجمال يسبب الغرور

هذه قصة من قصص قبيلة حرب وهي جرت على عيد بن مانع وزوجته والشيخ متعب بن مضيَّان أمير (البرود) بالأسياح. وهي تدور حول الجاه وقيمته عند العرب. حيث إنه في سنة من السنين تقدم عيد إلى خطبة فتاة من جماعته القريبين وكان عليها جمال باهر ومعطيها ا لله من الصحة والعافية. وعندما تقدم عيد لخطبتها من أهلها أعطوه الموافقة وتزوجها، ولكن الجمال عادة يصاب صاحبه بالغرور وهذا ما حصل حيث إنها أقامت عنده مدة قصيرة ثم ظهرت من بيته إلى بيت أهلها. فجاء عيد إلى الشيخ متعب بن مضيان وأخبره بما حصل وطلب منه أن يتوسط له عندها لعلها ترجع إلى بيته. قال متعب بن مضيان: ما عندي مانع ولا بخيل إلا من يبخل بجاهه وذهب إليها متعب بن مضيان وطلب منها الرجوع إلى بيت زوجها وصار يحاول اقناعها بقوله هذا زوجك وهذا ابن عمك ... الخ. قالت يا ابن مضيَّان مجيئك له عندنا قيمة كبيرة لكن أنا ما أقدر على نفسي وإذا دخلت بيته كأني في سجن وهذا أمر من ا لله لكن على شأنك وعلى شأن خطوتك سوف أرجع إلى بيته يومين فقط. قال إذا رجعت إليه تقديراً لمجيئي فهذا طيِّب وأرجو أن تتفقوا فيما بينكم بعد ذلك. ولَمَّا أصبحت ذهبت إلى زوجها وذاك اليوم والليلة ولَمَّا أصبحت باليوم الثاني ظهرت وعادت إلى بيت أهلها. فَرَجع زوجها إلى ابن مضيَّان يطلب منه أن يتوسط له مرة أخرى، قال ابن مضيَّان يا عيد الكلام الذي عندي قلته لها ولا وَجَدْتُ فيها فائدة ولا يجعل القلوب توالف إلا ا لله سبحانه، لكن اسمع مني هذه الأبيات. قال تفضل.

قال ابن مضيان:ـ

يا عيـــد مـا يصخـر قلـوب المخـاليق

إلاّ الــذي يحــط الأرواح فيهــا

ولا تنفـع الـجِـهْـدَة بـلَـيـًا توافيـــق

والنفـس مـا هـي في هـواك اتهديهـا

يـا اخـو وُضَيْحـا لا تسـد الطواريـق

نـــاس تـــبي فرقـــاك لا تبتليهـــا

ومعنى الأبيات أن الذي لا يهواك لا تحرص عليه ومن كان يود فراقك فلا يمكن أن ينفع معه الكلام الطيِّب.

****

٢٦٧- الحذر لا ينجي من القدر

هذه قصة من قصص بني هلال حيث سبق أن أوردنا بعضاً من قصص بني هلال بالجزء الأول. والقصة كما يقول الرواة جرت في أثناء رحلة أبي زيد وابن اخته يحى للبحث عن الأراضي الخصبة لأدباشهم، وعندما خلص الماء الذي معهم في أثناء مسيرهم وردوا على ماء في ضواحي (الأجفر) ولما أناخو ركائبهم وجاءوا إلى البئر يريدون استخراج الماء وإذا البئر مهجور ولا عليه أثر وِرْد. فقال يحى: يا خالي هذا بئر مهجور وأخاف أن يكون فيه هوام. قال أبو زيد: الذي كاتبه الله سوف يحصل. قال يحى: اتكلنا على الله. ونزل بالبئر لتعبئة الماء، وأمسك أبو زيد ولما وصل عند الماء وبدأ يغرف في الدلو وخاله أبو زيد يجذبها إلى خارج البئر وإذا بأفعى تقترب من فوهة البئر فأهوى عليها أبو زيد يريد قتلها ولكنه ما تمكن من ذلك حيث وقعت الأفعى بالبئر ولدغت يحي فصاح أبو زيد قائلاً: الحذر ما يفك من القدر، ثم سمع أنين ابن أخته بالبئر فقال:

سمعت منّك يا فتى الجود ونّه　　　عساك منها يا فتى الجود سالم

قال يحى:

أنا سالم منها ولا نيب سالم　　　والراس ما تطْوَى عليه الغمايم
أنا سالم لو ما ازرق الناب صابني　　　ضربني بنابه واتقَى بالردايم
وانا خايف يا خال هذي منيّتي　　　ومن رافقك يا خال ما رد سالم
وحلفت انا لا أرويك واروي ركايبك　　　واخلّي الماء من على الحوض عايم

قال أبو زيد:ـ

يا وُلَيْد قم خم الرشا واحتزم به　　　خل اظْهرك عن بير فيه الصمايم

قال يحي يوصي خاله على ابنه الصغير وعلى اخته وزوجته:

يا خـال خـل الدَّوح والنـوح خلّـه	واعمل بقبري يا عطيـب الضرايـب
خـل القـبر في راس عيطـا طويلـة	وسيفي ورمحي حِطّهـن لي نصـايب
غَـدِي بنـات الهلاليـة يجنـني	يجذن علـى قـبري بـروس الذوايب
وداعتـك يـا خـال وِرْعٍ صَغَـيّر	يلعـب مـع الصبيـان وابـوه غـايب
احذرك انا يا خال عن ضربة العصـا	أو نـزرة تـودع قليبـه حطـايب
وقولوا لبنت امـي تغطّـى وتستحي	لا جـو هـا الـورّاث فـوق النجـايب
وقولوا لبنت العم ترحـل الى اهلهـا	حـرِّم عليهـا اليـوم شـوف الحبـايب

وعندما سمعه أبا زيد وهو يظهره من البئر وإذا هو ميـت لأنـه حـازم نفسـه بالحبل قبل يموت وهو يحفر له قبره ويدفنه في ضواحي (الاجفر). وقال أبـو زيـد في ذلك بعض الأبيات منها:ــ

دفقـت علـى قـبر الهـلالي قربتـه	وخلّيتهـا تسـقي الريـاض الجـادب
وحطّيت علـى قـبر الهـلالي جوختـه	وتركتهـا تـذرَى عليهـا الهبـايب
وحطّيـت علـى قـبر الهـلالي فتختـه	في مـاقعٍ يشـوفها كـل صـاحب
وعقلـت علـى قـبر الهـلالي بكرتـه	وخليتهـا تعتـب حـوال النصـايب

****

٢٦٨ـ من قصص بني هلال

هذه القصة تكملة لقصة عامر الخفاجي الذي سبق أوردناها حسب ما سمعت أن بني هلال عندما مشوا من (نجد) وصلوا (العراق) وذكر لهم شجاعة عامر الخفاجي، قالوا ما لنا إلا نعمل حيلة ونحتال عليه ونسلط عليه بعض النساء الفاتنات فربمّا وقع قلبه في حب احداهن حتى يسير معنا. فقيل إنهم أرسلوا إلى بنات الحي ولما حضرن عنده وسلمن عليه سألهن عن حاجاتهن، فأجبن بأن ما لهن لازم إلا السلام عليه فقط.فوقع نظره على فتاة معهن اسمها وطفا بنتٍ لذياب بن غانم فجاء إلى والدها يخطبها منه فقال: نحن الآن مشغولون بالرحيل وإن شاء ا لله إذا نزلنا في مشاهي حلالنا نزوجك. لكن لعلك تروح معنا وتساعدنا. فعزم على مصاحبتهم وقال لوالدته: أسلّم عليك يا والدتي وأنا سأذهب مع بني هلال. فسار معهم وقالت أختٍ له اسمها دفاله: أنا ما أجلس بعدك وعندما مشى مشت أخته معه فلحقته والدته تريد أن توصي عليه ذياب بن غانم، قالت: يا ذياب ترى ولدي عامر وداعة ا لله ثم وداعتك عن الخيانة والبطن. فقال: وكلي به ا لله يا أم عامر. وهي اسمها شويلة ودليل على هذا استشهاد الكثير من الشعراء منهم الشاعر ساكر الخمشي العنزي بقوله إن ولد الخفاجي راح وترك قصره وبلاده كما ذكرت مفصلاً بالجزء الأول ص٧٦ :

ولْد الخفاجي راح وامه تذوده   خذن قلبه بالمنا والمواعيد
يبي يورّي مع هل الخيل جوده   واخّر لنا قصر الاخيضر وعربيد

أما والدته شويلة فقالت أبياتاً توصي ذياب على ابنها عامر منها:

قالت شويلة شالت البين والنّيا   وجرحٍ على كل الكبود فنيع

وداعتك ابني يا ذياب بن غانم حيث انك رجل من الرجال شجيع

قال ذياب:

انا وديع له عن الضيم والظما وباقي المنايا ما لها وديع

قالت:

من عقبهم جيب المناعير فاتني كما فات ذود المحلين ربيع
لو اهني الناس في نومة الضحَى ونومي على سِلْمٍ وشوك نقيع
لوا ولدي ماجابن البيض مثله إلى اعتلى في سرج كل طليع
غدت به ثلاث من بنات آل عامر عسى ما لهن عند الاله شفيع
غدت فيه حيا وريا وريدا وقلب الفتى بين الثلاث يضيع
وغدت فيه وطفا يوم واقت مع اللدرا كشمس واقت مع ذوابة ريع
وميًّا وشعيا ورباب وفتنة مع زينة العينين بنت بزيع
البدو يرعون الربيع بماهم وانا عيوني ما لها ربيع

ويروى لها أيضاً:

ألا يا ولدي حامي ثمانين قرية والتاسعة يشري بها ويبيع
حَرِّم على البيبان ما يغلقونها يخاف من ضيف يجي ويريع

****

٢٦٩ـ من قصص مفضّي بن ولْمَان الأحمدي

هذه قصة من القصص القديمة رواها لي الأخ دبيس بن مهلهل من ضواحي (حائل) وهي جرت على الشاعر مفضّي بن وَلْمَان الاحمدي من قبيلة حرب. المذكور كان متجاوراً هو وأخواله العَلَيّان من شمر واستمرت جيرتهم عدة سنوات والكل منهم يحترم الثاني ويقدّره والذي يجهّز القهوة الأول منهم يجتمعون عنده، وأيضا حلالهم سواء ومتكاتفين على تربية وسقياء حلالهم، لكن الدنيا دائماً تجمع وتفرّق حسب ظروف الحياة وحسب مشاهي الحلال. وأيضا أكثر ما يفرّقهم الحلال إذا صار واحد حلاله إبل والثاني حلاله غنم هذا أكثر ما يفرّقهم لأن الأراضي التي تعيش فيها الغنم أحيان لا تعيش فيها الابل..

وعندما تفرقوا تأثر مفضّي بن ولمان الأحمدي وكثرت عنده الهموم وصار مشدوه البال بالتفكير وكان عنده طير اسمه غنّام وقال أبياتاً يسندها على طيره غنّام ويشير عليه بالرجوع إلى جيرانه .. كما أن مفضّي بن ولمان له العديد من القصائد لكن للأسف لم نجد إلاّ بعضاً منها. أما الأبيات التي قالها يسندها على طيره ويتوجد فيها على جيرانه فهو ذكر فيها قوله: (الرجلتين) يقصد الشعب كما ذكر (جضع) أي يقصد ضلع كبير يفرق بين الشعبتين .. يقول بالأبيات:ـ

غنّام يا وَجْدِك على الغانميني	تلْقَى العَلَف بِرْبَاعهم دِبْ دَوْمِي
اقطع اسبوقك وانهزم يا حزيني	لنزول بين الفارعي والقدومي
يا ما حلا هيضاتهم كل حيني	لمجالسٍ فيها النشاما اسجومي
يا ما حلا يا منزل الرجلتيني	لا قيل جَضْعٍ رَشّمَت بالوسومي

****

٢٧٠ـ تحول الأصدقاء

هذه قصة قديمة من قصص الوفاء مع الصديق وقد أملاها علي الشاعر سويلم العلي السهَلي رحمه الله المتوفى عام ١٤٠٦هـ، الذي ذكر لي أنه كان بينه وبين صديق له اسمه نافل العبدالله صداقة وتبادل للجميل، وصديقه هذا كان ساكن في ضواحي (حائل) هو واخوانه، وعندما توفى والدهم قالوا اخوانه: الحلال لنا وليس لك شيء لأنه كان نازح عن والده في بيت ثاني. قال هذا ما يجب منكم يا اخواني، وهذا الله الذي مورثني. قالوا اخوانه لنا عدولة غنم عند فلان رح وخذها وتراها لك مقابل ارثك معنا. وهم ما فكروا إنها تساوي شيء لكن نافل نيته طيبة ولما جاء إلى الشخص الذي عنده العدولة وإذا هي أكثر مما كانوا يتوقعون بل إنها تعادل ما خلفه والدهم عشر مرّات. وأخذ ذلك المال الكثير ولكنه ما عرف يشتغل بهذا المال. حيث بنى له بيتاً كبيراً وكثروا أصدقائه من شأن المال ومن ضمنهم الشاعر سويلم وصار كل يوم يذبح لهم ذبيحة وهذا يسلّفه وهذا يساعده حتى إنه أفلس ونفد ما عنده. أما أصدقاؤه عندما رأوا حالته تدهورت اجتنبوه وحتى إذا قابلهم بالشارع ما يسلمون عليه. بل إنهم كانوا يسخرون بقولهم: إنه ناقص عقل حيث فَرَّط في أمواله. فرأى هو الحقران من أصدقائه واشترى له جملاً وصار يجلب عليه الحطب ويبيعه، لكنه لم يستطع تسديد الديون التي عليه فزهد بالمقام في ذلك البلد وأهله وكتب كتاباً إلى صديقه سويلم يخبره بما صار، فقام سويلم وأرسل له الذي كتب الله وأرفق معه قصيدة يذكر له فيها أن ما كل الأصدقاء أوفياء، حيث يقول فيها:ـ

يا اهل النضا يا معتلينٍ على أكوار   عِـرَاض الفقـاير لَيِّنات المحاصير
قطم الفخوذ امتونهن سحم الأوبار   دغم الخشوم عيونهن شعلة الكير

فـج المرافـق مـا تجي حـول الازوار		امشـطّر كوعـه عـن الـزور تشـطير
خضع الرقاب بشوبة القيـض عبـّار		خـرَاب الاذانـي مردفـات المناعـير
عسى لكـم مـع نيـّة الخير مصـدار		عوجوا لي ارقاب النضا يـا مـل الخير
رَيّضوا وريُضوا النضـا وَقْـم مقـدار		سـاعة لما اكتـب حـاجتي يـا مناعير
فـالى كتبـت بجـيرة الله والاسـفار		هومـوا عليهـن في حنايـا البواكـير
وخلّـوا ركـايبكم مـع الـدو عبّـار		بالقيض ممشاهن مع الفجـر وعصير
فِـالى لفيتـوا المحـرّق الـبن بالنـار		قـرمٍ يحـط الهيـل وسـط المباهـير
ويفـرح إلى منّـه لَفَـى البيـت خطّـار		وعنـد اللـوازم مـا يهـاب المخاسـير
ردَوا سـلامي عـد هتّـاف الامطـار		أوعـد بالاصيـاف عـج المعاصـير
وقولـوا يقـول ايبـدّل الـدار بديـار		مـا يعتـبر وش حالهـا حومـة الطـير
يغيـّر هوى بـالريش ويدير الافكـار		والـرزق بالاسـباب كلـش بتدبـير
ولا ينتقض حبل الكدر كود باشرار		ولا ينحـدي حـذوه بليـا مسـامير
وافطن لاصابع كفك اطوال وقصار		ما هن سوى لو كلهـن بهـن اظافير
مثل اللحى تنبت على كل الابشـار		لا شـك تنفيـل اللحـى مجنـبٍ غـير
يا أديب خذ من عارف عاف ما صار		شـافه وقـام يصحُـر القيـل تصخـير
يقول في تالي الدهـر شـفت الانكـار		مجـالس للسـو تنقـل مزامـير
اول بـداة الجـار شـر علـى الجـار		وعلى القريب يصوّر الكذب تصوير
والثانيه ما أشوف لاهل الصخا كار		لا قـل مالـه جنّـبوه الخطاطـير
لو صار بالماضي على الوقت صبـّار		يصبر ولو ضكّـت ضـلاف المواخير
الى ازلفـت دنيـاه خِلّـي علـى الـدار		وتنسـى فعولـه يـوم تقليبـه الخـير
غديـت كـني راعـي الغـار والنـار		وهـذا زمـانٍ فـرَّر العقـل تفريـر

****

٢٧١- من قصص مطوّع نفي

هذه قصة من قصص المطوّع سعد بن ناصر بن سعيدان مطوّع (نفي) رحمه الله. المذكور مطوّع وشاعر وراعي كرم ومعه أخلاق فاضلة وراعي نكت وله مجموعة قصائد تعد من أقوى وابدع الشعر الشعبي وله مداعبات مع أصدقائه الشعراء. وكان له نجر رَنّان للقهوة ومشهور ذاك الوقت بحس صوته، وقد حاول بعض مشائخ البادية شراءه منه ورفض لأنه مشهور باستعمال القهوة ويتعب عليها. وطلبه منه ناس كثيرين ومنهم الفارس دغيليب بن خنيصر من الروقة من عتيبة قال: أعطني النجر واطلب قيمته مهما كانت، فرفض وأجابه بهذه الأبيات:ـ

نجر المطوّع يوم شافه دغيليب ... هو يحسبني جالبه للمبيعة
أبيه لاجوني هل الفطّر الشيب ... يلقون نفس بالمروّه سريعة
وصَكُّوا بي الأجناب هم والاصاحيب ... قالوا تبيعه قلت نجري ما ابيعه
لاجو يلقون الدرا والمعازيب ... أجواد مرفقهم عدو الشريعة
ألفوا عَلَيْ أصحاب هم والاجانيب ... لا جَنّب الماجوب ثور النفيعة
عاداتنا باموالنا ننشر الطيب ... واقفاية عنهم تراها فجيعة
ولا نيب أود اللي بجنبه عذاريب ... طبيعة يا حيها من طبيعه
عسى صبي ما يعرف المواجيب ... تجيه ليعات الليالي سريعة
من شب بالدقمة لما حروة الشيب ... يموت قلبه ما بقا الاّ سبيعه
صخرتها يالقرم غصبٍ بلا طيب ... تالين عسرات القوافي امطيعة

وعندما سمعها الشاعر عبدا لله بن سبَيِّل أجابه بالأبيات التالية عن طريق المزاح:ـ

اللـي يجـي يمـة هـل الفطّـر الشّـيب

شرق الـهـيـيـشـة عـن يسـار الرفيعـة

والا المطـوّع كـل هرجـه تكـاذيب

وإلى بغـى مـا هيـب ترفـة تطيعـه :

وترفـة هـي زوجتـه.

****

٢٧٢ـ ضاعت المخطوبة وطارت الوظيفة

هذه قصة قديمة رواها لي شخص لا يحب ذكر اسمه وهي جرت على شخص في ضواحي (القصيم) عندما تقدم إلى خطبة فتاة من جماعته وأعطوه أهلها الموافقة وراح يريد أن يحضر الجهاز وهو المهر من ملابس وغيرها فاحتاج إلى بعض النقود ولا وجد من يسلّفه لأن العملة ذاك الوقت قليلة ولا توجد عند كل أحد، وفكر أن يبحث عن عمل عند أصحاب الاعمال إمّا (بالكويت) أو غيره ويشتغل حتى يحصل على ما قصر عليه من النقود. فراح وصار يشتغل عند أصحاب الاعمال حتى انه حصل على المبلغ لكن أهل الفتاة بعد حوالي سنة ظنوا أنه صرف النظر عن الخطبة. ولا كان عندهم خبر في سفره وظنوا أنه تنازل وجاءهم شخص ثاني وطلبها وزوجوه وفي ليلة زواجه حضر الخطيب الأول من الكويت وشاركهم فرحتهم وعشاهم وسألوه وقال هذا شيء كاتبه الله ويمكن إنها خيرة وأنا سوف يرزقني الله غيرها لكن بودّي لو كان عندي خبر أو ارسلوا لي كتاب قبل لا أظهر من عملي. وقال بهذه المناسبة أبياتاً ذكر فيها أسفه على ما حصل وعلى عنوته من (الكويت) وترك عمله، لكن للأسف لا نعرف منها الاّ الثلاثة الأبيات التالية:ـ

يا حيسفاه يا عنوتي يا ذلولي   عَنَيْت وانتي يا ذلولي عَنَيْتي
لو ان غادين الجدا روّحوا لي   قعدت وانتي يا ذلولي رَعَيْتي
يوم الركايب بَرّكن بالمحولي   عز الله انك يا ذلولي وفَيْتِي

****

٢٧٣ـ من قصص الصداقة

هذه قصة قديمة من قصص الوفاء مع الجار والصديق وهي جرت بين الشاعرين وهما المرحوم محمد بن ناصر بن صقر السياري وصديقه الشاعر سويلم العلي السهلي. وكان بينهما صداقة قوية صداقة رجولة ليست صداقة لاغراض دنيا أو مصلحة مؤقتة. الشاعر محمد السياري كان ساكناً في محله في (ضرماء) وسويلم نازل بعياله بجوار لمحل السياري ويزور بعضهم بعض ويجتمعون على القهوة ويتبادلون السوالف والاشعار وكل واحد ما يصبر عن الثاني حيث إنهم كل ليلة وكل وقت يجتمعون. في يوم من الأيام سافر الشاعر سويلم في لزوم له إلى (الكويت) وعياله في محلهم فتذكر الشاعر السياري صديقه سويلم وتذكر منادمته له وقال أبياتاً من الشعر وتذكر تزاورهم لبعض، فقال محمد السياري:ـ

يا ما حَلاً المسيار في وقت حلّه	يم الرفيق اللي يعزّك إلى جِيْت
يفرح إلى منـُك دخلت بمحلّه	ويكره إلى منك تغرّبْت وابطيت
يا ابو محمد كل ما فات خلّه	واحكم على الحاضر بجمعا وتشتيت
وان صابك الحق المصيب انضغن له	واصبر على الكايد إلى منـُك ابليت
واصحا توري الناس بعض المذلّة	وخلّك على صكّات الايام عفريت

وعندما حضر سويلم من (الكويت) سيّر للسلام على صديقه محمد السياري وإذا هو مسجل الأبيات بالمسجل يوم دارت القهوة وكل واحد أخذ أخبار صديقه، سمع سويلم الأبيات فأجاب عليها بالأبيات التالية:ـ

قال الذي لا قال قيل فطن له	يخص مجاري سوق بيت ورا بيت

حرصٍ على بنية معانيه كلّه يخاف مـن قولـة قصّرت وتعدّيت
يبي الى قام المسجّل يهلّه يطرب له اللي يستمع مثل ما اوجيت
بيوتٍ مسجّلها محمد لعلّه دايم بخير ويكسب المجد والصيت
ابن صقر له مجلس ما تملّه منصا لخطلان اليدين العناتيت
كم كبش مصلاحٍ يجي به يتله وعندي على هذا شهادة وتثبيت
يا ابو فهد ما فات وازين دَلّه عصر تمنّوه الرجال وتمنّيت
فيه الشباب وفيه لذه بحلّه وهيبة وبه نوماس لا اقبلت واقفيت
واما من الحق المصيب ارتحل له لاجل المصيب مصيب لو منه جضيت
هذا زمانٍ فيه جيل تملّه جهل وزود وخوف لا اصبحت وامسيت
ما قل دل وباقي القيل خلّه شرحٍ يطول الى حرصت وتقصيت

****

٢٧٤ـ من أشعار مـجـول بن دهَيْم

هذه القصة رواها فايز الحربي، يقول: إن الشيخ مجول بن شـري بـن دهيـم من أعيان بني علي من حرب، له ولأسرته شهرة كبيرة، حيث برز منهـم شـيوخ وفرسان كبار لهم تاريخ حافل بالشجاعة والرئاسة ومكارم الأخـلاق الـتي يتميز بها أبناء جزيرة العرب. وقد توفي هذا الشيخ في سـنة ١٣٤٥هـ تقريبـا بعـد أن جاوز عمره التسعين.

أما قصيدته التالية التي لم نعثر منها إلاّ على الجزء اليسير فيروى أنه قالها لما طلب أحد الأشخاص منه نجرا عزيزا عليه وكان الطلب في غير محله، فقال:

يـا نـجـر يـا اللـي للمشـَقّى وَلاَعَــة   يا جاذب الطَّرقي على هجعة الناس

يـا اللي على الشطّات هــذي طباعـه   واعـطيـه حقّـه يـوم الارياق يـيّـاس

لْـيَا هَـظَل رَكْـبٍ بْـلَـيـلٍ مـجاعــة   يا كثر ما نَكْسِر على عَقْنِه الراس

ويا طول ما صَكّوا عليـك الـجماعة   لـلـهَـيْـل دَقّـاق وَ لَـلْـبـن حَـمّــاس

يـا حـيـف يـا قـــول بْـلَـيـّـا وقـاعَــة   لا صار ما تـاخـذ مـعانيك بِـقَيّـاس

وُتـرَى الوَلَعْ مـن فوق قَـبـّــا زَعَــاعَة   لا حـرّفوا صم الرمك عِقْب مرْوَاس

والضرب من يـمْـنَى صِـبـي الشجاعة   والعبد مكـتـوبٍ مـصـيـره بقرطاس

وهذه القصة تذكرنا بقصة وقصيدة نجر مطوع نفي السابقة.

****

٢٧٥ـ شجاعة ومروءة

هذه قصة قديمة رواها لي الأخ مثقال بن محسن العواد من الخرصة الشمري وهي من قصص قبيلة شمر جرت على حسن بن حسين من الحسنة من قبيلة شمر. المذكور كان بينه وبين ردهان بن عنقا من الغفيلة صداقة وفي يوم من الايام أُخِذَت أباعر ابن عنقا في أراضي (الجشم) يوم أخذت وهو يذهب إلى صديقه حسن في نخلاتٍ له بالردايف، قال: يا حسن يا أخو مغيضة تمدح لي وأنا ما شفت فعلك! أباعري أخذوها القوم أربعين مشدودة وعقال. فقال حسن: أنا كما ترى وحيد وخلاوي. قال: أنا وصلتك والتدبير عند الله ثم عندك. فأمر حسن على احدى بناته أن تحضر جمله وتشد عليه، وهو جمل سابق حر. ثم ركبه وركب ابن عنقا ذلوله ومشوا على اثر الابل المأخوذة، وعندما وصلوا أيمن (الشقيق) وإذا الذلول قد تعبت وكلّت ولم تقدر على مجاراة الجمل بالمشي. فتقدم حسن وسار مع المعدا ومَرَّ على (اصبطا)، وعندما وصل شعيب (هاش) وإذا هو يرى الابل قبل غروب الشمس. وكان سلاحه بندقية فتيل وهي السلاح المشهور ذلك الوقت. ونزل في مكان يسمى (خريمة غمرة) وأخفى جمله وعقله، بعد أن غابت الشمس وأظلم الليل ثم هجم على القوم وهو يصيح بأعلى صوته ويعتزي ويرميهم من كل اتجاه وهم بليل ولا يرون الرامي فظنوا أن هناك مجموعة كبيرة من المهاجين والرماة. فتشاوروا ثم قرروا ترك الابل خوفاً على أنفسهم وخيلهم من النار التي تأتيهم من كل اتجاه وهم لا يرون مصدرها. فركبوا جيشهم وتركوا ابل ابن عنقا التي استاقها حسن بن حسين ومَرَّ جمله وركبه خلفها حتى أوصلها بيت صديقه ابن عنقا في صباح اليوم التالي. وإذا ابن عنقا راجع إلى أهله ويسرّح بها بنتٍ له، قال: ونعم يا اخو مغيضة عزا الله إنك

وفيت. قال: وا لله يا ولدي الذي رَدَّها ا لله ما هو أنا. وهو يظهر له أربع منها قال هذه لك يا اخو مغيضة. قال: يا ابن عنقا زوجتي ما تكون في ذمتي إن أخذت وبرةٍ من أباعرك فانصرف ولم يأخذ شيئاً. وبعد حوالي سنة قدر ا لله وأصيب حسن بالعمى، وفي يوم من الأيام قام يريد الخروج من البيت لكنه وطئاً النار بقدمه لضعف بصره، فتذكر أيامه الفائتة وقال أبياتاً يتوجد على بصره وعلى رجله التي وطت النار:ــ

يـا لله طلبتـك يـالولي والي الاقـدار	يا فارج الضيقات لو هـي عسيرة
تعوّد بشوفي ترحمن عقب ما صار	أفزع مع الفزعة الى شيف ذيرة
ما شوف عشب الوسم لو كان نوّار	عند النسا ما افوت نار الحضيرة
يا حيف يا رجلي كلت خفك النار	بالعون ما سِرْتي لبيت القصيرة
ما بك حذا عِـزٍ للادنين والجار	الاّ العدو فانتي بعينه نحيرة
وعزّ ا لله إني نقوة الربع وِخيْار	وقولٍ بلا فعلٍ عَلَيْ به معيرة

****

٢٧٦- أبيات من الشعر ترد الإبل

هذه قصة قديمة رواها لي الشيخ حماد بن راشد منقرة من قبيلة بِلِي وهي من قصص قبيلة بلي جرت على هذيرم القرعاني من قبيلة الحويطات. المذكور راعي إبل ومن المهتمين في تربيتها ودائماً يتبع مصالحها من حيث المرعى والموارد .. في يوم من الأيام وَرَّد إبله على أحد الموارد وإذا على الماء إبل كثيرة والماء غير صالح للشرب لأن فيه شيء من الملوحة ولا يصلح للإبل وكان هذيرم قد بات الليلة السابقة في الصحراء وهو ما بين جوع وظما وإبله ما فيها حليب. والإبل الذي على الماء أغلبها خلفات أي فيها حليب ولا أراد ا لله إنهم يحلبون له لأنهم ربما كانوا مشغولين في سقيا حلالهم. وبهذه المناسبة قال أبيات من الشعر والشعر دائماً إذا قاله الشاعر حفظوه وتناقلوه فيما بينهم وسمعوها منقرة من قبيلة بلي لأنه ذكر بالأبيات قوله:

يـــا الله لعـــل اذويدكـــم للقطيعــــة   والاّ صـــداف لمنقـرة عقـب مجـــراد

وبعد حوالي سنة أغاروا قبيلة بلي على مجموعة إبل للقوم المعادية لهـم ومـن ضمنها قطعة أباعر للشاعر هذيرم يوم أخذت وهو يركب وينوِّخ على الشيخ منقرة قال: أنا لي عندكم عاني وسألوه فأخبرهم بالأبيات، قالوا: احلف با لله العظيم إنك قلت هذه الأبيات قبل أن تؤخذ إبلك! قال: وا لله إني قلتها قبل أن تؤخذ إبلي بحوالي سنة. قالوا: خذ أباعرك واعتبرها لك عاني عندنا دام أنت حي وسوف نوصي عيالنا بعدنا.

وهذه من عاداتهم الطيبة وتمسكهم بالتقاليد الحميدة أما الأبيات التي قالها الشاعر هذيرم القرعاني من الحويطات فهي:-

وردت لي عــدٍ هَمَــاجٍ نقيعــه عِدٍ هماج ولا يتهبـّط بالاكبـاد
وردت الى ان الذود غـاديٍ نشـيعة وقعدت لين ان آخره للصـدر قـاد
يــا لله لعــل اذويدكــم للقطيعـــة والا صـداف لمنقره عقـب مجـراد
لَيـّم لكــم أهـل الكبـود الوجيعـة اللي يحطون الشواكل علـى الـزاد
يــا مصلحـين الـذود بـأول ربيعــه بينكـم وبينـه نقضـة الجـزو ميعـاد
لـو ازد نيتـوا لــبن والا فريعـــه في شـاية ا لله مـالكم عنـه مشـراد
منهــا يقســمها ومنهــا يبيعـــه ومنهـا يخلّيها حلايــب للأجـواد

****

٢٧٧- وفاء الكلب ووفاء الجار

هذه قصة قديمة من قصص قبيلة عتيبة رواها لي الشاعر ساير بن دغيليب القوس المرشدي. وهي جرت على ملفي القوس المرشدي من قبيلة عتيبة: المذكور في سنة من السنين أجدبت ديار جماعته ونزح للبحث عن المرعى لحلاله، وتجاور هو وشخص من قبيلة مطير بالمنزل وصار بينهم رفقة وصداقة وبعد حوالي سنة أمحلت الأراضي التي كانوا فيها وكل عاد إلى ديار جماعته. وبعد مضي حوالي سنة غزا ملفِي القوس وعوض ونعيس الهرجف ومعوض بن شدة الجميع من المراشدة. وصاروا يبحثون عن الكسب من إبل القوم المعادية لهم وهذي عادات كانت سائدة عندهم يغير بعضهم على بعض قبل أن تستنير قلوب الناس بمعرفة الدين الحنيف. وأيضا ذاك الوقت لم يكن فيه سُلُطات تردع بعضهم عن بعض وكان لهم بعض القوانين المعروفة بين القبائل ويسمونها سُلُوم يمشون عليها مثل: الملحة والقصير والعاجز ما يأخذونهم. وعندما غزوا كان أول ما حَصَّلوا قطعة أباعر وتسللوا عليها وأخذوها وعندما مشوا وإذا الكلب كلب جاره المطيري هادٍ عليهم لكنه لما قرب لهم عرف جار صاحبه سابقاً ملفي القوس هدأ وصار يتذلل عند أقدامه فعرف ملفي أن هذا كلب جاره المطيري. قال لأصحابه: يا جماعة طلبتكم! قالوا: لك مطلوبك! قال: هذا كلب جاري المطيري واليوم لا يصير الكلب أَطْيَب مِنّا، نريد نرد الابل على صاحبها. قالوا وجهك عبارة عن وجهٍ لنا جميعاً فقاموا برد الابل إلى المحل الذي أخذوها ولما أصبح راعيها وقصَّ أثر القوم وإذا هو يعرف أثر جاره المرشدي. وهذا من وفاء العرب ومن شيمهم. بهذه المناسبة قال واحد من القوم ويقول الراوي: إنه ربما يكون الذي قال الأبيات إنه عوض أخو ملفي القوس، وهي كالآتي:-

رَبْعي هَلَ الطولـة يـزورون الأجنـاب	مـن فـوق هجـنٍ يقطعــن الفيــافي

ليلـة ثمـان عقــب الأومــا والاتعــاب	ضـووا على نجـعٍ وسـاع الرفــافي

في ليلــة غــدرا بعــد نورهــا غــاب	ضـوو وكـلٍ في حـلا النـوم غــافي

والكلب هــد ولحـق يلعـي بـالاطلاب	وبعد وصــل ملفـي رجـع بـالحرافي

وملفي طلــب ربـعٍ يفكـون الانشـاب	تعطي حقـوق وتـاخذ الحــق وافي

وردّوا غنــايمهم عريبــين الانســـــاب	ردّوا حـلال الجــار بعــد العـرّافي

****

٢٧٨- أنواع الناس

هذه قصة قديمة تدور حول المبالغه بالشعر وحول طبائع الناس واختلافهم. القصة هذي رواها لي الأخ مثقال بن محسن العواد من الخرصة من شمر وهي جرت على الشاعر عياده بن منيس من الخرصة من شمر المذكور له قصائد وقصص كثيرة، وقد حَصَلنا على مجموعة كبيرة منها .. في يوم من الأيام أعَدَّ قهوته على العادة ولا جاءه أحد يشاركه فيها فظهر يريد أن يبحث عن أحد يشاركه القهوة ويبادله الحديث. لانه عادةً مجالس القهوة يجتمعون فيها ويتدارسون الأشعار والقصص وجميع الخصال الحميدة من كرم وعفة وشجاعة والمجالس هي مدارسهم في ذلك الوقت. وعندما ظهر للشارع وإذا شيبان جالسين في مشراق الشمس وكأنه تعداهم ولم يتحقق منهم واذا هو يمر على مجموعة أخرى من كبار السن لكنهم ما جازوا له لأن حديثهم بالناس وشئوون الناس وهو يريد ناساً يتحدثون بالسوالف والاشعار. وقال أبياتاً يتفكر في خلق رب العالمين وذكر قوله:

ناس بنا تكذب وكذبه لذايذه   وناسٍ بنا ما تقبله هي وصدقه

وهي أبيات فيها تصوير لأنواع الناس وأن فيهم أشكال وأجناس من حيث الأخلاق والطباع. يقول عيادة بن منيس من الخرصة من شمر:

فكّرت فينا يا ظنا عقبي آدم

بهاك الشتا بمقاربي للأخقة

ودّك تدوس الناس باوسط مدارس

والى ذريته ذَرْيَةَ العيش نقّه

إلى ما تصحصحهم عـن الهيـس والـردي

وكـب العذايـف واطيـب النـاس بـقّـه

نـاس بنــا تكــذب وكذبــه لذايــذه

ونـاس بنـا مــا تقبلــه هــي وصدقـه :

ونـاسٍ بنـا مــا يكشــف الرمــل غيبهـا

ونــاس بنــا جــوِ قلوبــه إملقّــه

ونـاسٍ بنـا مـا تـحْمِل الشيـل فطّــره[1]

ونــاس بنــا يغــزي لقيــه وحقــه

****

(١) فطّره: الكبيرة من الإبل.

٢٧٩ـ بين عَمْرو بن ناحل وصالح بن حَنْتَمْ

هذه قصة قديمة رواها لي أمير (البرود) بالأسياح متعب بن مضيَّان من شيوخ قبيلة حرب علماً بأنني قد التقيت في مناسبه بأخ عزيز من قبيلة حرب لا أحب الافصاح عن اسمه كاملاً فجزاه الله خير حيث أثنى على البرنامج وعلى طريقة أدائه من جهة، وعتب على البرنامج من جهة أخرى وهي عدم اذاعة قصص قبيلة حرب وأنا بدوري أشكر الأخ على اهتمامه ومتابعته للبرنامج وعلى غيرته لقصص قبيلته كما إنني سبق أوردت من القصص اللي أعرفها لقبيلة حرب. وارجو وأكرر رجائي من أبناء قبيلة حرب وغيرها من القبائل أن يرسلوا لنا من قصصهم التي تبين كرمهم وشجاعتهم وخصالهم الحميدة ونحن في خدمة الجميع. وما دفعني إلى اقتراح هذا البرنامج واستمراره الا لاظهار أمجاد ومفاخر أبطال هذه الجزيرة .. وفخر وأمجاد حرب وغير حرب من القبائل الأخرى أعتبره فخر ونوماس للجميع .. هذه القصة جرت حول اختبار ذكاء الشاعر وكيف يتصرف بالرد على الأبيات المرسلة إليه. قيل إن الشيخ عَمْرو بن ناحل من شيوخ حرب كان له رحمه الله مجلس مثل النادي ويرتاده الشعراء وغير الشعراء ويعنون له الناس من بعيد لأنه بمثابة المنتدى أو المدرسة في وقتنا الحالي يتدارسون فيه الأشعار والقصص والسوالف وما كان محموداً تمسكوا فيه وما كان مذموماً تركوه. كان من ضمن الحاضرين ذاك اليوم الشاعر صالح بن حنتم من حرب وهو شاعر لكنه يخفي شِعْره خوفاً من النقد، وهي عادة الشاعر المدرك فإنه لا يتسرع بقول القصيدة ويعرضها على مَنْ يرى أنه أفهم منه من أصدقائه ويأخذ رأيه وإذا جاء إلى مثل هذا المجلس فإنه لا يتسرع بالكلام بل يحاول انه يستفيد. في يوم من الأيام قال الشيخ عَمْرو بن ناحل أبياتاً وأرسلها إلى

صالح بن حنتم قصده يريد يختبر شاعريته ويريد أن يعرف كيف يكون رده عليها، وذكر بالأبيات قوله:

أنشدك عن شي غـدا عين لَـمّـاس   اللي يـسـمـى ذروةٍ لـلسـنـامي

يقصد الجهاد في سبيل الله وابن حنتم ظن أنه يقصد أفعال والده إنها بعده عميت وأنه واجب عليك تحييها، يقول الشيخ عَمْرو بن ناحل من قصيدة طويلة منها:ـ

يـا راكـب مـن عندنـا فـوق عِرْمـاس
حَـمْرا مـن اللي يقطعـن المظـامي
حمـرا ومذنـب عينهـا تقـل مقبـَاس
عـين العديـم إلى زحـم بـالكلامي
تلفي لابـن حَنْتَـم وقلّـه مـن الـراس
مـن راس مـا يحتـاج رد العلامـي
أنشـدك عـن شـي غـدا عـين لَـمَّـاس
اللـي يسَـمَّى ذروة للسـنامي

وعندما وصلت الأبيات إلى صالح بن حنتم من حرب أجاب عليها بالأبيات التالية وقد ذكر لي الراوي أن هذا بعضاً من القصائد وإلا هـي أطول مـن ذلـك يقول بن حنتم:ـ

يـا راكـب ثنتـين زينـات الأمـراس   عيرات طوعات واهلهـن احشـامي
قطم الفخـوذ معرَّبَـات على سـاس   يِـرْدن مَـعْ مـيراد فِرْق االـحَمَامي
يَشْـدَن قطـاتين علـى المقـر غـلاس   وطقـوا عليهـن مفختين الاسـامي

يلفن لابـن نـاحل مـن البعـد يبـّاس　　حيثه مقر الجـود فـرخ القطــامي
يا عَمْـرو لغـزك مـا عرفنـا لـه قيـاس　　فيــه اشــتباه ويعــترض للتهــامي
زين لنــاس وبـه خطـاري علـى نـاس　　وأول حواديـث الحــوار الكلامــي
يا عَمْـرو مـا يـوزي يـده كـل قنـاس　　يخاف من حرش الحضوف السوامي
يا ابن خلف طير الجلايل هو الراس[1]　　على البلـد حكمـه شمال وشـامي
لو هو بصندوق علـى المـوج غطّـاس　　ترعـى بـه العَـرّاء وتبـني الســنامي
حالـه ومالـه دون الاســلام حَـرّاس　　وعليـه صَفّـات العســاكر نظـامي

****

(١) طير الجلايل: يقصد جلالة الملك عبدالعزيز رحمة الله على الجميع.

٢٨٠ـ حول القهوة

هذه قصة من القصص القديمة رواها لي الأخ مثقال بن محسن العواد من الخرصه من شمر. وهي تدور حول القهوة والقهوة العربية من المعروف إنها وجه الرجال وهي أول ما يقدم من قِرَى الضيف وأول ما يباشرون بها على الزوار وهي التي يجتمعون عليها بالمجالس ويتدارسون الأخبار والسوالف، ثم بعد القهوة يقدم للضيف ما تيسَّر، كما قال الكثير من الشعراء قصائد حول القهوة منهم الشاعر سويلم العلي السهلي من ضمن قصيدة له طويلة ضَمَّنها جملة وصايا واستمر فيها إلى قوله:ـ

أوصيك بالتقوى وسنة نبينا ... تراها تخلّي الخاربات عَمَار
وأوصيك في ضيفٍ لفا هجعة الملا ... إلى قمت قل حَيًّا ا لله الخطّار
حَيًّا ا لله الخطّار قدّام عرفهم ... قبل الجلوس وقبل شب النار
فالى اشتبت النار وفرَّقْت وجيههم ... بادر ابميسورك على المقدار
وعجِّل بطبختهم وعجِّل بصبُّها ... تراه تجزي لو بغير ابهار
واطلب بقية ما بقا من حقوقهم ... ترى المجرب يقبل الاعذار

...إلى آخرها.

وأنا التقيت بالراوي المذكور مثقال بن محسن في منطقة (حائل)، وطلبت منه تسجيل القصائد التي لم تدوّن ولم تنشر فذكر لي أبياتاً للشاعر عدوان الهربيد من السويد من قبيلة شمر فقام مشكوراً وسجل حوالي ٣٠ مادة لم تدوَّن ولم تنشر ولم يسبق اذاعتها منها ما قاله عدوان الهربيد عندما نفدت من عنده القهوة وهو من

المهتمين في استعماها وتقديمها للضيوف. وقال أبياتاً يتمنّى ما يدور في باله ويقول:ـ

ابا اتمّنى منوة الكيف واختار لو كان يضحن التماني على فوش
سود ثلاثٍ جالسات على النار سودٍ ثلاث فوقهن كل طربوش
ومولف شطر يمينك عن النار يشدا لعنق الديك والخشم مقطوش[1]
مع زورق تبدي تقل لون مصهار زرقاً قفاه لحامي الجمر مفروش[2]
واصفر غريب باللحن يدعي الجار مصري لفا من دار الاروام شايوش
وصينيةٍ عجّل عليهم بالاديار علّيَه من الشكل المغاتير قنطوش
مع كبش مصلاح عظامه على الدار وحب اللقيمي بازرق الصفو مرشوش
وايضا طموح لي من الغوش تختار ما تاخذ الا مرخص العمر باهوش
مع قطمنٍ تبكي على كل صبّار تبكي دموع وتمحش الدمع بقروش

****

(١) يقصد الملقاط.

(٢) يقصد المحماسه.

٢٨١ـ يوصي ابنه بالضيف والجار

هذه قصة قديمة من قصص قبيلة الدواسر وهي سبق أن أرسلها لنا الأخ شبَّاب بن شارع الدوسري من حوالي ثلاث عشرة سنة وهي جرت على الشاعر سعد بن هتيل من قبيلة الدواسر والشاعر ابن هتيل يعد من الشعراء البارزين وله قصائد بالحكم ويجيد النظم والمحاورة. المذكور في سنة من السنين أراد أن يسافر لقضاء بعض المستلزمات وكان عنده والده وكان باراً به ودائماً حوله يوقد له النار ويصلح له القهوة ولا يتركه حتى ينام ولَمَّا أراد السفر أحب أن يوصي عليه ابنه سخمي وقال له: اترك جميع ما عندك من أعمال واجلس عند الوالد مدة غيابي كما أوصاه على التمسك بالثلاث وهن الدين والكرم والشجاعة بقوله:ـ

أرجي ثلاث منك من دون مِنّة — الدين الأول والكرم والشجاعة

كما ذكر أن الرجل إذا لم يكن متصفاً بهذه الصفات أو بعضها فلا ترجى منه فائدة، كما يحثه على اكرام الجار والضيف وعبَّر عن ذلك بأبيات من الشعر يقول فيها:ـ

سحمي انا بوصيك في العَوْد فنّه — ما حط من دوني ودونك بضاعة
خلّه وما حاشت يمينك إلْسنه — أيضا وقم له بالهدى والمطاعة
خالك يظن وعندي اخلاف ظنه — وانا احتزي الطارش بخطوات ساعة
الطيب وسَّطناك بالشبر منّه — ولا على منهو جذابه اذراعه
ارجي ثلاث منك من دون منه — الدين الأول والكرم والشجاعة
والرجل لا من الثلاث افختنه — لا ينبغي طيبه ولا به اطماعة

حـــاذور تجعـــل دون ربعـــك مضنـــــه
واعرف ترى ربـع الفتـى طـول باعـه.
والجـــار الادنـــى فيـــه وقتـــه فدنـــّـه
يطـري عليـك امفارقـه وانقلاعـــه
والضيـــف لا مـــن فطّـــره قرّبنـــّـه
خلّه قريـبٍ منـك لـو كـان سـاعة

****

٢٨٢ـ ذكاء طفلة

هذه قصة جرت من حوالي عشرين سنة رواها لي الأخ راشد بن كليب وهي جرت على شخص من أهالي (الحريق) كان في أول حياته جَمَّال ينقل على جمله حطب وعشب ويبيع ويتعيش هو وأولاده بقيمته، وأخيراً اشترى سيارة لما توفرت السيارات وصار يمارس نفس المهنة. وفي يوم من الأيام دخل السوق وهو محمل سيارته حطب يريد أن يبيعه فطفت السيارة ورفع غطاء المكينة وصار يشتغل فيها وحدث فيها تقطيع وأراد ا لله واشتعلت المكينة ناراً وارتبك وصار يجري مع الشارع يبحث عن من يساعده على اخماد النار خوفاً من اتساع النار ووصولها إلى الحطب الذي في ظهر السيارة ويلحق الضرر بالمنازل اللي حول السيارة. وبالصدفة كان عنده بالشارع طفلة لا يتجاوز عمرها عشر سنوات فألهمها ا لله وأحضرت من بيت أهلها بطانية مبللة بالماء وأعطتها إياه وقالت ضعها على النار، فوضعها على محرك السيارة بسرعة وأراد ا لله أن تنطفي النار وينتهي الحريق. فتعجب من تصرف هذه الطفلة فسأل عن اسمها واسم والدها فأُخْبِرَ أن اسمه سليمان بن مصبّح. وقال بهذه المناسبة أبياتاً من الشعر ذكر فيها أن الذكاء أو الطيب ليس للرجال دون النساء ولا شك أن هذي مواهب من ا لله يجعلها في عباده من رجال ونساء .. يقول بالأبيات:

الطيب يحظى به رْجَالٍ وِنسوان
وبعض النسا بافعالها شِبْه رَجَّال
يوم القدر في موتري شب نيران
زهمت من حولي وانا ضايق البال

أخـاف تعلـق بـالحطب ثـم بيبـان
بعض البيوت وتاكل رجـال واطفـال
وفـزع لي ا لله ثـم درة كحيـلان
بـن مصبّح طَيِّـب العـم والـخـال
فـزع لنـا بـالطيب مـا نيـب غلطـان
بنتـه منـيرة مـن نسـل ذرب الافعـال
جـابت لي الكنبـل مـن المـاي غرقـان
واطفيـت نـار مخطـره تشـعل اشـعال
بنـتِ عفيفـة جيـب والطيـب برهـان
ترفع لهـا البيضـا عـلى روس الاقـذال

****

٢٨٣ـ ذم الجبن ومدح الشجاعة

هذه قصة قديمة رواها لي مناحي بن صالح المرشدي من الروقة من عتيبة وهي جرت عندما كان الفوضى واغارة بعضهم على بعض من مظاهر حياة أهل الجزيرة. أما اليوم فهم صاروا يداً واحدة على الأعداء وعلى التكاتف والتعاون على ما فيه المصلحة للدين الحنيف ولهذا البلد الغالي .. القصة هذي جرت عندما صارت معركة بين قبيلة مطير والروقة من عتيبة على مورد ماء اسمه (وقباء)، وكل من الطرفين صمد دون حقه ومن ضمنهم شخص اسمه مناحي بن صالح من الروقة حيث إنه قال أبياتاً يصف المعركة ويلوم على شخص من جماعته كان يظن فيه الصلابة والشجاعة لكن هذا الشخص أخلف الظن حيث إنه خرج من المعركة وتشطر ووقف يطالعهم من بعد. كما أن الرجال يوصفون بالحديد اللي بعضه يسن بعض تجدهم مثل هذا يعيبون عليه ويحدونه على الطيب والابتعاد عن الردى. اما الأبيات التي قالها مناحي بن صالح يمدح ربعه ويذم هذا الشخص فمنها:

العام يوم مطير لَمَّة على رَوْق
وين انت عنا يوم الأكوان غايب

وقفت عنها موقف الذل والعَوق
وخرجت منها ما بجسمك صوايب

جا وقعةٍ فيها أشقر الدم مدفوق
وبانت فعول مكَمّلين النوايب

فوق أوقبا[1] يوم اعتزا كل صعفوق

نعمٍ بأبو فيحان[2] والاَّ انت خايب

الفخر للي يحتمي تالي النوق

مسلط[3] وربعه مشعلين الحرايب

يومٍ جا للهوش رَعَّاد وبروق

عدوك ربعك من حساب الحبايب

إلى آخرها لأنها أطول من ذلك؟

****

(١) قباء مارد ماء في كشب والحرة - ورد ذكره اكثر من مرة منها:-
يا ذلولي مع رقاق الحزم شلّي اسهجي مران واقبا والدفينه

(٢) أبو فيحان: تركي بن ربيعان من شيوخ عتيبة.

(٣) مسلط: هو مسلط بن ربيعان.

٢٨٤ـ من قصص ابن دهيم أيضاً

وروى هذه القصة أيضاً فايز الحربي وهي من قصص الشيخ مجول ابن دهيم أيضا، وذلك أنه كان نازحاً عن قومه في احدى السنوات ونازلاً في طوارف منطقة (القصيم) وذلك في حدود سنة ١٣١٥هـ ولم يكن معه إلا قلة من جماعته، فأغار عليه بعض شيوخ القبائل وأخذوا إبله ولم يبق عنده إلا الزوامل التي في المراح. وكان هذا هو حال العرب في ذلك الوقت حيث يمسي الرجل غنياً ويصبح فقيراً.

وهكذا فقد وجد الشيخ ابن دهيم نفسه وليس معه إلا فرسه وهي من أجود الخيل في زمانها وتسمَّى الرَّمْحَا بنت العبيَّة، وكان الوقت صيفاً فرحل ونزل بلد (المذنب) ليتدبر أموره إلى أن تعود أحواله كما كانت.

لكن بعض رؤساء القبائل لـمّا رأوا نزوله عند الحضر صاروا يراسلونه لشراء فرسه الأصيلة وهم يظنون أنه سيبيعها بعد أن فقد الابل وترك البادية.

ولـمّا أكثروا عليه المحاولات قال القصيدة التالية يبيِّن تمسكه بفرسه وأنه لن يترك الكّر والفرّ، ويقول أيضا أنه ليس ضعيفاً يستسلم للشدائد، بل إنه يَعَدُّ نفسه وفرسه لأيام مقبلة وكأن شيئاً لم يكن.

وللأسف الشديد أننا لم نحصل من قصيدته إلا على الأبيات التالية:

يا الله يا مِذْرِي الهبايب والانسام
تِغوض في ذَوْدِ خَذَوْه الطمَاميع

إلى أن يقول:

يا سابقي غاذيك من قوت الاسلام
يوم الرَّياف يودِّع الخيل توديع

وْلاَنـي وَلَـد خِبْـلٍ فَقَـدْ كَيْلَـه العـام
وُشَفْـي ركوب مْلاَوِيـَات المصاريـع
أبـي لْيـَا جـا مِـثْـل (عَـرْجـَا) بالايّـام
وُكَلّـن وُمَـلّـن مـن شحـاذة وترفيـع
انحى على الرِّمحَـا كمـا عنـز الاروام
أو بكْـر شيهـان طَلَـقْهَـا بتريـع
عليـك قَـرْم يـْروي العُـود وان حَـام
اللّيَ مَـعَ المركاض يرخِـي المصاريـع
يقـود رَبْعِـه كنّهـم دقْلَـة الشـام
مركاضهم يهجـي السباع المجاويع

ويوم (عرجا) الذي ذكره في قصيدته من أيام العرب المتأخرين وكان سنة ١٣١٣هـ وهو بين بني علي وعتيبة وقد أورد تفاصيله الشيخ ابن بليهد وغيره.

أما الذي يريده أن يركب هذه الفرس في البيت قبل الأخير فهو ابنه فيحان بن مجول بن دهيم، عفى ا لله عن الجميع.

****

٢٨٥ـ شاعر يشكو القحط ويتوجد على ذلوله

هذه قصة قديمة وصلتنا من الشاعر غانم بن جميعان بن رخام من الرمال من قبيلة شمر الذي ذكر إنه في سنة من السنين يسمونها سنة الغبار وهي سنة غَلَت فيها الأسعار وأصاب الناس جوع. قيل إن العيش في تلك السنة وصل سعره اثنا عشر ريال للصاع الواحد ... المذكور سافر هو وشخص من جماعته اسمه غنيم يريدون توريد عيش من (العراق) وعندما مشوا حفيت ذلول غانم ورجع ما أحضر شيء وهو آنذاك كان ساكن في (مغيرا) بالجوبة وجاءه شخص وقال ذلولك قد التفت على شجرة وماتت، وكانت الذلول ذاك الوقت أغلى من السيارة اليوم. وقال بهذه المناسبة أبياتاً من الشعر يصف الدهر والغلاء، يقول:ـ

مـل قلـب بـين الاضـلاع بـادي　　　دَلاًّ يحـض وعذّبـن باقتلابـه
وعيـون عَيّـن يقبلـن الوسـادي　　　والقلب ضاق وكل ما حاش جابه
جتنـا علوم مـع طـروش البـلادي　　　بـاب القحـط مفتـوح مـا سـد بابـه
يـا لله يـا خـلاق رزق العبـادي　　　ترحـم حَـوَال اللـي تهيّض جوابـه
يا لله يا مـن هـو على النـاس بـادي　　　يـا عـالِم بـالغيب مـا أحـد دَرَى بـه
حنـا نـروّح والليـالي اجـدادي　　　والعبـد كـل اللـي عمـل يلتقـا بـه
دنيـاك هـذي مـا تجـي بـالمرادي　　　ولا كـل مـن يبي المراجـل لقا بـه
الطيـب عسـر مثـل رقـي السـنادي　　　واذا ومـر ربـي لعبـد رقابـة
والطيب عندي مثل ركب الشدادي　　　وتـراك ركبـت اذا قضبـت الغرابـة
والهـرج قبلـي كـد لقـاه المهـادي　　　بزيـن النفـوس وعـايزين القرابـة

أما الأبيات التي قالها في ذلوله عندما أخبروه أنها ماتت فهو يقول:ـ

ياالحبيبة كان عندك لهْ مداري   انصحي مضنون عينك يا محدَّه
حيث خلّك ما تمعنا بالشباري   ياالحبيبة كان عندك له مودة
يا ذلولي ضيعوها بالمغاري   عزتي لصويحبك وان قيل ردّه
راكب اللي من عماقه بالشراري   لا انتوى لديار غرب قلت شدّه
ينشعنه فطّرِ شيبِ حراري   خابرينِ مركزه وابنوَه وجَدّه
ما حَلاَ مرواحهن مثل الصياري   يعجبك مركوبها مع زين فدّه
شبه ربداً جفّلت بارض غتاري   شافت التفّاق مع حيد يحده
جَنّه القيفان مثل الشط فاري   لا احتمل مع جاريِ ما أحدِ يسدّه

****

٢٨٦ـ مفاضلة بين الركائب والبنات

هذه قصة قديمة موجودة عندي بصوت اثنين من الرواة وهـم رضـا طـارف الشمري الذي يذكر إنها جرت على كنعان الطيـار مـع صديق لـه شمـري. أما الراوي الثاني فهو غانم بن جمعان بن رخام من الرمال من شمر والذي يذكـر إنهـا جرت على رجلين عـنزي وشمـري، والعارفـه الـذي تخاصموا عنـده الضريفـط عنزي. ونحـن نذكـر مـا نسـمع ومـا يرسـل إلينـا ومـن كـان عنـده تصحيـح أو ملاحظات فنحن فاتحين المجال ونتشرف بجميع ما يرد علينا مـن توجيـه وتعديـل. المهم أن الاثنين الشمري والعنزي توافقوا بالبر وكان طريقهم واحد وتخاووا لأن هدفهم واتجاههم واحد أيضا وهم في أثناء مسيرهم حدث بينهم نزاع، الشـمري والعنزي. الشمري يقول أن البنات أفضل من الذلول والجيـش، والعـنزي يقـول إن البنات أحسن من الجيـش. فـاتفقوا علـى أن يعرضـوا قضيتهـم علـى العارفـة الضريفط. ولما وصلوه طلب من كل واحد وجهة نظره بأبيات من الشعر وأخيراً حكم للشمري لأنه ذكر أنه لولا الله ثم النساء ما جاء من يركب الجيش لأنهـن يلدن الرجال والفرسـان الشـجعان والطيِّـب والـرديء، والجيـش تحتـاج رجـال يركبونها. يقول العنزي:ـ

أنشـدك بـا لله يـالضريفط نشـده   حيثـك تخلّص قالـةٍ تبـْلَـى بـه
حيثـك غـلامٍ مـا تعـد الا الصـدق   أيضا وحكـي الكـذب مـا تشقا بـه
أي الـركَـاب امتيـّهـات بـالخـلا   اللي تـجيـب من الخـلا غيّابـه
وأي البنـات العطـر بـايـام الـرخـا   اللي يشـقـقـن الـنهـود ثيـابـه
واللـي تفـز وراغـيَـهْ مـا كـلّمـه   يعـجـز يـمـينـه يقضب الـمغـرابه

واللي توصلك الى نشفن القـرب يعجـز يحـول لـو وقـع ميدابـه
والى جابتـه عند العذارا خلـّتـه قعـد يصنجـر هـو وَيـّا احبابـه

قال الشمري:ـ

أنشـدك بـا لله يـالضريغط نشـده حيثـك تخلـّص قـالت تبـلا بـه
أي البـنـات العطر بـايـام الـشتـا أيـّاتـهـن وأي الخـلا وذيـابـه
مـنـومـات الـسـاهـر أرقاب الـمها كن العسـل يدلك بـروس أنـيابـه
واقول ان الركاب متيهات بالـخلا ولـولا العـذارا عازنـا رَكّـابـه
هـن اللـي يجيـبن الفهيـم أمثـالك غـوش تفـك الخيـل مـن طلاّبـه
واطلـب مـن ا لله حجـتي مقبولـة وحجتـك يالصيـاد ينلـد بـابـه

قال عز ا لله أنه انلد بابه. وأخذ الجايزة الشمري!

****

٢٨٧ـ الدنيا لا تدوم

هذه قصة قديمة جرت من حوالي خمس وخمسون سـنة رواهـا لي شـخص لا يحب ذكر اسمه من أهل (الشعراء). وهي جرت على شـخص لم أتـأكد مـن اسمه حيث كان من ضمن غزو الجنوب بقيادة جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمـه ا لله. المذكور جاءه مرض هو وبعض رفاقه مـن الغـزو، وعندمـا جـاء إلى أهلـه صاروا يعالجونه بالعلاج الطبيعي وأخيراً أحس أن علاجه ما له منه فائدة وعندمـا أحس بشدة المرض أحب أنه يوصي اخوانه وأولاده أولاً علـى التمسـك بـالدين الحنيف. ثانياً المحافظة على مكارم الأخلاق والكرم. ولما بدأ يوصيهـم عرفـوا أنـه يئس من الحياة فضاقت صدورهم وصاروا يبكون وهو زهد بالدنيا. وقـال أبياتـاً من الشعر ذكر فيها الدنيا وأنها ما تصفي لأحد ويتوجد على هله، يقول:ـ

لـواه لـواه لـو حـالـي اللـي بلـي

بين الوسايـد ومـا بيـن الـذرا والعبـاه

أدافع الشـر لا منّـه بـدا يصطلـي

والعافيـة سـرق والدبـرة مـن عنـد الالـه

اخسي وانـا اياه يالدنيا وانا اخو علي

كـم فتقـت مـن ذرا بيـتٍ ايـدري ذراه

تنازعـه مثـل يـوم ينـازعون الـدلي

هـذا تجـرُه والآخـر حبلهـا مـن وراه

وش خانت الرجل عمره مثل عمر الطلي

حتيش لو كـان هـو عـاند وزايـد عنـاه

****

٢٨٨ـ أهل العلوم الطيبة

هذه قصة قديمة وصلتني رفق رسالة من الأخ راشد بن سالم بن نمشان القريني والذي ذكر فيها أنها جرت في سنة من السنين على راشد بن نمشان: القريني عندما انحدر من ديارهم إلى ديار العجاوين من سبيع حسب مشاهي إبله بضواحي (العرمة) و(الشمامة) فنزل مجاوراً للعجاوين وفي ارادة الله تأخر نزول الأمطار فنزحوا العجاوين جهة (الدهناء) للبحث عن المراعي الخصبة لأدباشهم وبقي القريني على عِدّ للعجاوين. وفي يوم من الأيام قام القريني يتمشى في البر وكان مشغول البال وكثير التفكير أولاً على عدم وجود المراعي الخصبة لحلاله ثانياً حزناً على جيرانه العجاوين لَمَّا شاهد منازلهم السابقة ومداهيلهم تذكرهم وتذكر اجتماعهم فهاضت قريحته ببعض الأبيات الشعرية وذكر فيها أنهم مشهورين في اكرام الضيف والجار ويطلب من الله أن ينزل عليهم وعلى أوطان المسلمين الغيث ويحدده على مراتع حلاله. يقول بالأبيات:ـ

عسى السحاب اللي نصوبه مخاييل
لا من نشا وارسا حقوقاً خياله
لا من نشا وارست نصوبه كما الليل
والبرق في مزنه يقود اشتعاله
يسقي مصدّة لين تطفح من السيل
وينسف غشاها في جوانب ادواله
ويضفي على الفرعة لوبله هماليل
ويسقي القليب وسايحٍ من شماله

ياخــذ شـهر والســيل طــم الـمسايـيــل

لا أقفـا سحابـاً جـا سحابـاً بـدالــه

حيـث انـهـا مـدهـال ربـع مشـاكـيــل

أهــل العلــوم الطيبــة والجمالــة

قـصيرهم يـدعـى عـلـى قـحّم الحِيـْل

ياخــذ سنيــن يــروح مـا حـس بـالــه

للأجـنـبــي والـجــار فـيـهــم تـنـافـيــل

يسـج معهـم جارهـم عـن عيالــه

متـى نشـوف النَّبْـت جالــه تشـاكيل

وبيــوت ذربـــين اليمـــاني بـجالــــه

أهــل الربــاع امتّعـبيـــن المعاميــل

يـلـقـى الـمـسـيـر واجـبـه لا عـنـا لـــه

****

٢٨٩ـ من قصص حجرف الذويبي*

هذه قصة قديمة سمعتها من عدة رواة منهم من ينسبها للامسح من شمّر ومنهم من ينسبها لواحد من بلي، وأخر ما سمعتها من منديل الفهيد ورضا الشمري الذين أكدوا لنا أنها للشيخ المشهور بالكرم الشيخ حجرف الذويبي من بني عمرو من قبيلة حرب الذي ذكر له أن أحد الأشخاص عنده بنت ذات جمال زائد، وفكّر أنه يخطبها من والدها فركب ذلوله واتجه إلى والدها ليخطبها وصادف أن وجد في مجلس والد الفتاة رجلاً غريباً من العُبَّاد الذين يأتون للحج من البلاد الاسلامية وكان العرب يسمونهم الدراويش لأنهم لا يختلطون بالناس ولا يتكلمون كثيراً بل إنهم متفرغين للعبادة والحج. وكان هذا الغريب ضيفاً عنده ذلك اليوم. وعندما حان وقت الغداء أحضر المضيِّف لبناً وقال: تفضل يا حاج! قال: آكل ثم أشرب. فألح عليه صاحب البيت لكنه كان يرفض ويقول: كريم يا بدو! وعندما جاء المساء حَلَّ حجرف الذويبي ضيفاً على الرجل فقام ورحَّب به، وذبح له ذبيحة تليق بمكانته. وعندما قدم الأكل قال: تفضل يا الذويبي على عشاءك. قال حجرف: وهذا الغريب؟ قال: يتعشى فيما بعد. قال حجرف: ما أقلط على الأكل إلا وهو معي. فناد المضيِّف الغريب وشارك الذويبي عشاءه. وكان حجرف الذويبي يقطِّع من اللحم ويضعه عند الغريب ويعطيه حتى شبع. ولما أصبحوا خطب الذويبي البنت من أبيها فوافق، فكان عليهم أن يذهبوا إلى أقرب بلدة لهم ليبحثوا عن شيخ يعقد بين الزوجين، وكانت المسافة بعيدة. وركب الذويبي ووالد البنت وذهبوا إلى مأذون الأنكحة

* ملاحظة: نشرت هذه القصة بتفاصيل أكثر في كتاب: قضايا وقضاة وشِيَم من البادية، تأليف: نائف بن زابن الحربي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ، ص٣٢٤

وكان برفقتهم الغريب الذي رأوا أن لا يظل في البيت وحده. ولما حان وقت الغداء وهم في طريقهم توقفوا للراحة والغداء فأناخوا ركائبهم واشتغلوا باعداد القهوة والغداء الذي هو عبارة عن خبز من البر يسمونه القُرْص. وقد شارك معهم الغريب في جمع الحطب واعداد القهوة، وعندما نضج القُرص صار وْالد البنت يأخذ ما طاب من القرص ويضعه في اناء وأما حوائف القرص وما احترق منه فيضعها في اناء آخر. ثم قام بوضع السمن على الاناء الأول وفركه وقدمه للدويبي بينما أعطى الإناء الآخر للغريب. لكن الدويبي لم يَرْضَ بذلك بل نادى على الغريب وأشركه معه في انائه، وتغدوا جميعاً وشبعوا وتركوا ما فضل من زادهم على شجرة. وجلس الغريب ينظر إلى النمل الذي يسمى الذّر وهو يأكل من بقية الخبز، فتمثل بالأبيات التالية عندما قال له الدويبي كل:

شبِعْنا وشِبْع الذّر من زاد سُورنا ... وللذر من زاد الكرام مْعَاش
يعطي العطا من كان طبعه العطا ... ويمن العطا من كان خاله لاش
من لا يعرُب مَنْسبه قبل منشبه ... تروح عيلاته عليه ابْلاَش

فصارت الأبيات التي قالها الغريب اشارة واضحة فهمها الدويبي، فطلب العودة والعدول عن مواصلة مشوارهم لأنه قرّر أن يتخلى عن بنت البخيل مهما بلغ جمالها، وصارت موعظة وعبرة لكل بخيل.

****

٢٩٠ـ من قصص الجيرة الطيبة

هذه قصة قديمة تدور حول اهتمام العرب في تقدير الجار والخوي. القصة وصلتني من الأخ راشد بن سالم بن نمشان القريني والذي يذكر أنه في سنة من السنين نزل والده سالم بن نمشان جاراً عند فهاد بن فراج العجواني من قبيلة سبيع أهل (الحائر) بالبر بأدباشهم، وحصل بينهم صداقة ومساعدة لبعضهم في رعي وسقيا حلالهم والبحث عن المراعي الصالحة لهم حتى صاروا عبارة عن أسرة واحدة، وهذا شيء معروف ودائماً يحصل عند البادية وعند الحاضرة حيث تجدهم يتساعدون في وقت الحرث أو الحصاد أو البناء كل يمد يده مع جاره ويساعده وكما كانوا يقولون: "الناس بالناس والكل با لله". وهذي عادات يتمشون عليها البادية والحاضرة. ولا نقول إنها لا توجد اليوم لكنها ضعفت .. ونرجع إلى القريني وجاره السبيعي كانت السيارات ذاك الوقت قليلة ولا توجد عند كل واحد، وكان فهاد بن فراج قد اشترى سيارة وكان أكلف ما على البادية نقل الماء لأنه يصير أحياناً بعيداً عنهم فصار فهاد يجلب الماء على سيارته لمن حوله بما فيهم القريني ويقضي حوائجهم ويبيع منتوج حلالهم بالمدن، وعندما انتهى الربيع كل رجع إلى جماعته. وقال سالم القريني أبياتاً توضح صحة القصة، يقول فيها:ـ

فطايري ترزم على قرب فهاد	هيف السمين وشوق موضي الجبيني
تشرب بخشم اللي الى جن وُرّاد	كنّا على شط البحر نازليني
فهاد بن فرّاج الى قيل فهاد	من لابةٍ يروون حد السنيني
رَبْعٍ لهم بالطيب مركز وميعاد	ورثٌ لتاليهم من الأوليني

قصيرهم يدْعَى على غالي الزاد يـاخذ اسنين وجيههم مـا تشـيني
سهلين صعبينٍ على نَطْح الاضداد كم قالـةٍ عَيّوا بهـا عامدينـي
رَبْعٍ هـم في لحقـة الابل ميـراد فكاكـةٍ لـمهجرعات الحنيـني
أمدح معطّرة النمش نسل الأجواد عـز القصير امدلهيـن الحزيـنيْ
اذكـر فعـايلهم ولا نيـب نشـّاد في مـدحهم بالحيـل متقصّريـن

****

٢٩١ـ من وفاء الاخوان لبعضهم

وهذه قصة قديمة وهي من قصص قبيلة قحطان، وصلتني من الأخ حمد بن سعد سعمان من قبيلة قحطان. المذكور يقول إنه في سنة من السنين كان يسكن في جهة (الحوية) بضواحي (الطائف) وأخوه عبدا لله ساكن في (المزاحمية) ولا كان الوضع مثل الآن و لله الحمد حيث توفر المواصلات والتلفونات. كان إذا كتب كتاب أخذ شهرين ما وصل وبعض المرات يتقطع بجيب صاحبه ما وجد من يقرأه عليه، أما اليوم والحمد لله فقد توفرت وسائل المواصلات واستنارت قلوب الناس بالمعرفة والعِلْم .. وكان كل واحد منهم اشتاق إلى أخبار الثاني فقال أخوهم الثالث أنا سوف أذهب إلى أخي حمد وأسلم عليه واطمئن على صحته. قال أخوه عبدا لله: أنا سوف أحمّلك سلامي عليه وأريدك أن تبلّغه بيتين من الشعر قلتها وأحب أن تعطيها إياه. فوافق علي وسافر، ولما نزل على أخيه حمد وسلم عليه وأبلغه سلام أخيه كما أنشده الأبيات وإذا هو يذكر فيها أن ذلوله ماتت ويطلب العوض من أخيه حمد، فرد عليه وبين له استعداده بجميع ما يلزم. يقول عبدا لله:ـ

يا علي لا جيت سَكّان الحويّة	صلب ابوي اللي كما طير الهدادي
جعل ربي ما يعوقه عن نويّه	ناشيٍ بالمرجلة والوجه بادي
مدْ له خطّي وعلّم بالقضية	قل له إني ساكنٍ وسط البلادي
فاطري ماتت ولا عندي مطية	واتمنى حرةٍ تنقل اشدادي

يوم سمعها حمد قال أنا مستعد لجميع ما يطلب، ورد عليه بأبيات مماثلة، قال:ـ

مرحباً في مرحبا والف تحيه بالمثايل والمكاتيب الجدادي
قال من هو بادي تالي عشية في طويل من طويلات المبادي
دمع عيني مثل همّال الرفية من حقوق ماه سَيّل كل وادي
مرحباً يا ابو سعد حَقٍ عليّه نارنا لما اشتعل قدح الزنادي
انت ذخري عضدي اليمنى القوية ترتكي لي في ملاقات العوادي
مسندي بالضيق لا ضاقت عليه محزمي لا شافت العين الوكادي
جعلني ما اجي معاهيدك خليّة دمت حي ما فقدنا كل غادي
تذكر اللي فات وابشر بالعطية جعل مالٍ عنك يقصر للنفادي
واعرف ان العبد رزقه من وليّه والعطا والجود من رب العبادي
لا بدا لك لازمٍ فاقبل عليه ما طلبتوا ما نحسُب له اعدادي

وهذا دليل الوفاء وتعاطف الأخوة فيما بينهم، ورحم ا لله الجميع.

****

٢٩٢ـ السفر ليلاً والسفر نهاراً

هذه قصة قديمة جرت من حوالي خمسين سنة رواها لي شخص لا يحب ذكر اسمه فله جزيل الشكر على تعاونه واهتمامه بالادب الشعبي. هذه القصة يذكر أنها جرت على مجموعة من الدواسر كانوا متجهين من الكتيبة أو من أحد البلاد يريدون أهلهم جهة الوديان وكان من ضمنهم شخص كبير وطاعن بالسن، وعندما قرب غياب الشمس قالوا نريد نعشّي بهذا وندع ركائبنا ترتاح وترعى من العشب ونبيت هنا وإذا أصبحنا وشربنا القهوة نواصل مسيرنا. لكن رفيقهم الطاعن بالسن لم يوافق على هذا الرأي وصار كثير الحركة والتململ، لأنه لا يود مخالفة أصحابه ولا يود المبيت في هذا المكان. فصار يلمح لهم ويشير عليهم بمواصلة المسير. وأرادوا اقناعه برأيهم وأخبروه أن ركائبهم تحتاج إلى الراحة والمرعى، ولكن الرجل أصر على رأيه، فواصلوا سيرهم ليلهم وكل واحد منهم متغطي في عباءته وهي على شِدَاد راحلته، وساروا بدون كلام بسبب عدم رضاهم عن رأي صاحبهم، وبعد ما ساروا قليلاً أراد الرجل أن يقطع هذا الصمت وأن يشيع بينهم نوعاً من المرح فأنشد بيتين من الشعر حول الترغيب في المسير ليلاً وهي للشاعر مرضي بن مهيزع:ـ

النجم قام يتغطرس واظلم الليل

ولا يبوج الغَدَاري كود حايف

يا زين مَسْراً على الحِيْل المراميل

عَيْرات الانضا يبوجن التنايف

فصاروا يهيجنون على الجيش قال واحد منهم مناقضاً له ومؤيـداً المسـير في الصباح:ـ

تـرى ركــوب الفطــاير ينفــد الـحيـــل

يا زين مشــي الضحى فـوق العسـايف

لا طـالت اضروسـها واستشـهب الذيـل

معــاد لــه كــود مفتـــوق الرهـــايف

يــا الله يــــا عـــلاّم مــــا قيــــل

تعيننـــا يـــوم يَنْسَـــات الـشـفـايـــف

****

٢٩٣- الشجاعة لا تنتهي بالمشيب

هذه قصة قديمة وصلتني من الأخ ناصر بن محمد العجواني من قبيلة سبيع والذي يذكر أنها جرت في وقت حكم الامام عبدا لله الفيصل (١٢٨٢هـ - ١٣٠٧هـ) ومن ضمن رجاله الفارس ثنيان بن هديهد من بني عامر من سبيع رحمة ا لله على الجميع. المذكور كان من الفرسان المشهورين عند الامام عبدا لله الفيصل حتى إنه طعن بالسن. وفي يوم من الأيام أمر الامام على رجاله أن يستعدوا للمغزا وقام وكيل الامام بتوزيع ملابس وجُوَخ - جمع جوخة ـ من نوع لبسهم ذاك الوقت على عدد رجال الغزو، لكن الوكيل ما أعطى ثنيان شيئاً لأنه غائب تلك الساعة ولأنه كبير سن وأراد اعفائه من القتال خوفاً عليه حيث إن صحته لا تساعده. لكنهم أعطوا ولده هديهد من ضمن الغزو. وعندما حضر ثنيان جاء إلى رجال الامام وقال بلهجته العامية: أنا وش قصرني عن جماعتي؟ قالوا: أنت كبير سن ومضى من أفعالك ما يطيِّب فالك. قال: لا أنا مع جماعتي على الخير والشر ولا أنا قاعد عنهم. فأمر له الامام بجوخة وكسوة وأعطوه فرساً وغزا معهم وصمد أمام الأعداء وفعل فعلاً طيباً وهذا من أفعال من فيه شجاعة ومن فيه غيرة لوطنه وقومه. بهذه المناسبة قال ثنيان أبياتاً منها:ـ

عـز ا لله انـي وافي مـع صحيـبي   قد لي زمـانين وانـا منه مرتـاب
يا شيخ شيبي من مصالا الحريبي   مَرٍّ مَـعَ ربعي ومَرٍّ مع أجنـاب
ما نيب دلبـاجٍ كبير العصيبي   اللي يخلّي المرجلة عقب ما شاب
شوف الـجَهَام وملافحات السبيبي   هذاك عندي من توافيق الأسباب
ولا شد جيبي فوق جال القليبي   ولا نيب حَبَّاب لهدَّات الأصحاب

****

٢٩٤ـ من قصص حسن الجوار

هذه القصة أيضا رواها لي الأخ فايز الحربي حيث يقول: تعود هـذه القصـة إلى ما قبل سنة ١٣٢٠هـ تقريباً وذلك أن رجلاً من قبيلة عتيبة نزح عن جماعتِـه بسبب دم ونزل مع بني عمرو من حرب وبالذات مع عـوّاد بـن فَـلاّح الذويـبي وهو من أعيان أسرة الذوبة.

وكان العرب في السابق يعتنون بالجار والضيف عناية كبيرة ويحرصون على راحته وتسليته حتى لا يحسَّ عندهم بالغربـة ولا يشـعر بـالملل. فكـان مـن عـادة عـواد الذويـبي أن يجهـز القهـوة بعنايـة ثـم ينـادي علـى جـاره فيشـربانها معـاً ويتسامران ويتبادلان الحديث والأشعار.

وفي أحد المرات نادى عواد جاره للقهوة ولما جـاء العتيـبي وإذا القهـوة قـد أعدّت كالعادة على أحسن ما يرام، فشرب منها ما طاب له وذهب عنه التعب، وقال في ذلك قصيدة منها:

القـلـب رَيَّـعْ عِقْـب فـنـجـال عَـوَّاد
وُهُـوَهْ مـن اوّل مِـمْـرِحٍ والـضَّـرَم فيـه[1]
صَـوَّتْ عَـلَـيَّ وتـالـي الـصـوت يـزداد
ومـن حـيـن جـيـت وُهُـو على الـنـار جـاذيـه
وُيـا الله لا تـقـطَـع مـذاخـيـر الاجـواد
يـا الله يـا جـعْـل الـقـصـا مـا يـلاويـه[2]

---

(١) ريَّع: أي ارتد إليه نفَسُه وارتاح. الضرم: هو الرغبة في شرب القهوة بعد التعب وخاصة لمن تعوّد عليها.

(٢) القصا: الفقر وقلة ذات اليد.

باكـر لْيـَا مـن الظّعَـن عنهـم انقـاد

ذكـرت مـا في وُتَذكّـرت مـا فيـه

وبعد ما سمعوا البيت الأخير عرفوا أنه قد اشتاق إلى أهله، فركب جماعة من الذوبة مع عواد وسعوا في إصلاح ذات البين بين العتيبي وغريمه وساقوا الدّية لصاحب الدم فعاد العتيبي إلى قومه، وبعد فترة تذكر جيرانه من الذوبة، فقال قصيدة منها:

عِلْمي بجيراني على صرمة العود

تَنَحَرُّوا وادي الرَّمَة حادرينِ[1]

يا راكبْ اللي فوقها النّيْ مرجود

تبني كما حضرٍ بَنَوا جذر طينِ[2]

سَلّمْ على فاجر وضيف الله العَوْد

وُذوي فَلاَح مُدَلّهين الحزين

وُخص النواصر خَصّةٍ كلها زَوْد

وايضا لابن يوسف من الطيبينِ[3]

....الخ[4].

****

(١) صرَمَة العَوْد: المراد بعد انتهاء فصل الربيع ودخول الصيف.

(٢) النّي: أي الشحم.

(٣) النواصر من الذوبة، وابن يوسف هو فهد بن يوسف الذويبي كما يقول الراوي.

(٤) رواية الأخ ذعار بن شجاع بن عواد الذويبي.

٢٩٥ـ من قصص مطوّع نِفِي أيضا

هذه قصة من قصص المطوَّع سعد بن ناصر بن سعيدان مطوَّع نِفِي رحمه الله. كما أننا سبق أن أوردنا قصته مع أبياته بالنجر والقصة هذه جرت على المطوَّع عندما قامت زوجته بزيارة أهلها في منطقة (السر) فطَوَّلَت عندهم والمطوَّع اشتاق وحَنَّ قلبه إلى زوجته وأولاده، وكان عنده قريب له ولزوجته وأرسله ليأتي بها ومعه رفيق من عتيبة أعطاه المطوع ريالين وكان الأثنان شرمان أي أن فيهم تشوّه بالشفة العليا، وأعطاهم مهلة يومين وعندما تمت المهلة وطال انتظار المطوَّع وصار يُشْرِف على الحزوم يتطلع لهم لعلهم يأتون بزوجته وأولاده، لكنهم تأخروا، وقال بهذه المناسبة أبياتاً يحرِّض عليهم قوماً من مطير نازلين حوالي أهل زوجته يريدهم أن يستعجلوا برجوعهم، يقول:ـ

مع السلامة يا اهل الزمْل الاثنين　　لعلكم واجمالكم سالميني
باكر وعقبه طلعة الشمس مِلْفِين　　يا شرْيَم قل لِشرْيَم عقبه يجيني
وَيْش الرّفَق له يوم اسوق الريالين　　يا مطير يالشجعان يالاسفليني
تقفّوا الشرمان وام الوراعِين　　تقفوا الشرمان يا الغانميني

والمطوع له مداعبات وقصائد فكاهية مع أصدقائه من الشعراء منهم حجرف البواردي عندما سمع أبيات المطوع التي يقول فيها:ـ

لا وا لله الاّ شدو البدو عجلين　　طاريهم المسناد يم الدفينة
صارت مشاحيهم من العِرْق ويِمين　　ما حدَّر الطائف لجو المدينة
قالوا لنا العانة بعضهم مطوِّين　　ولا قاله الاّ واحدٍ خاصرينه
الشيخ رايه ما ظهر للوراعين　　والى بغا له راي شاور خدينه

يا اهل الجمال العفر والمرْبَع الزين شـديدكم بـا لله مـن هـو بدينـه
قـالت حـلاَل القـوم شـفنا الربـاعين شـدَّوا وراي اشـيوخنا عامدينـه
قـال الحـلال القـوم كـانك توَحَّـين غـرو على يمنـاك مـا تبخصينـه
قـالت مـن الجذعـان والا الدماسـين والا اجنـبي توّهُـم كادشـينه

وعندما سمعه حجرف البواردي قال يجاوبه:ـ

مطوَّع نفي وافق مطوع هَلَ العَيـْن والكـل منهـم ربـّه اعلـم بدينـه
يـا لله يـا خـالف صـلاة المصلّيـن وراء مطوّعهـم وهـم خابرينـه

فأجابه المطوع بقوله:ـ

اللـي يسبـُّون الأئمـة شـياطين مـن التسـعة اللـي خرَّبـوا بالمدينـة
نعمِ بهـم وان كـان مـا سَدْ نعمـين ما يطرحـون الا الـمهـاة السـمينة

****

٢٩٦ـ طلق زوجته بسبب الشعر

هذه قصة قديمة من قصص النساء وهذا شي معروف أن النساء شقائق الرجال وفيهن مثل ما بالرجال من مكارم الأخلاق ومن ذكاء ومن وصل للرحم ومن العفة وغظ النظر عن جميع المحرمات.

القصة هذي جرت على الشاعرة هداية العطاويه التي كان لها زوج وأصابه مرض الجدري ومرض الجدري من الأمراض المعدية وأشد ما يخافون منه البادية هذا المرض وهذا قبل لا تتوفر وسائل العلاج. وكان بعضاً من الباديه إذا أصيب أحد منهم في مرض الجدري بنوا له بيت صغير بما يسمونه خدر ويبعدونه عن منزلهم بمسافة بعد النظر ويراقبونه عن السباع والهوام ويحضرون له الاكل والشرب في أواني خاصة لا يستعملها غيره وإذا ارتحلوا أركبوه على جمل ويجعلونه يسير على مسافة بعد النظر عنهم ويمشي مع اثرهم مثل ما صار لزوج هداية عندما شدوا وصار يمشي في ساقتهم وكل ما قرب منهم أسرعوا عنه. زوجته تذكرت شجاعته على الخيل ومكارم أخلاقه وقالت أبيات منها:ـ

يا لله عسى ما تكره النفس خيره ... يا قايد حبل الرجا لين ينقاد
ياللي على الساقة ايْدَرِّج بعيره ... فالى قرَب منا نحيناه بابعاد
إبكيه ياالصفرا الصهاة الظهيره ... إلى اقتعوا بغث المعاصير الاذواد

كذلك كان لها بنت عليها جمال ومتزوجة على (وريس) من الشيابين من عتيبة كان صاحب غنم وفيه شهامة وشجاعة وفي يوم من الأيام كانت هداية تعمل رأس ابنتها وتكدها بالأطياب والدهون وتنظم شعرها وأعجبت في جمال بنتها وجمال شعرها فقالت أبياتاً تلوم فيها على والدها الذي تأخر في تزويجها،

كما عَدَّت أسماء الأشخاص الذين تقول إنهم كفواً لها. لكن زوجها الشيباني فيه عفة وشهامة، وحين سمع أبياتها وهو يشعل ناره وهذا معروف عندهم حيث أن اشعال النار يعني وجود أمر هام يجتمعون عليه. ولما اجتمعوا عنده جماعته قال: اسألوا فلانة عن أبيات أمها. وعندما سمعوها قال: أشهدكم إنها طالق مني والحمد لله إنها ما لقت ما تعيّرني به إلا برعي الغنم التي رعاها صفوة الخلق قبلنا. أما الأبيات التي قالتها فهي:ـ

وَرَى قليل الفَيْد ما انفقك ابن زيد	هو من مجاوزها وهي تستوي له
والاّ على صايل زبون الاصايل	اللي لاهل عوص النجايب دليله
والاّ على فارع طويل المدارع	اللي مضارب حربته بالجميلة
يا جزة الشاوي عليّه بلاوي	اللي الى قام التفت في شليله
انشت من غرب نسف لك مضرب	تتليه قطعان البداة المحيلة

****

٢٩٧- أبيات في القهوة

هذه قصة من القصص القديمة حول تذكر الماضي، رواها لي الشاعر راشد بن كليب الذي يذكر أنها جَرَت على الشاعر مبارك أبو وحيمد من أهالي (الحريق) .. المذكور صاحب نخل وعنده مجموعة من الابل إذا جاء وقت القيض ينزل في نخله هو وأقاربه وأصدقاؤه، وفي وقت الربيع يظهرون للبر بحلالهم، ويجتمعون بالمجالس على القهوة والسوالف ويتبادلون الأشعار والقصص ويتدارسونها بينهم فما كان محموداً تمسكوا به وما كان مذموماً تركوه. وفي ليلة من الليالي شَبَّ ناره ابو وحيمد على العادة، يوم جهزت قهوته انتظر يأتيه أحد يشربها معه ويشاركه السوالف ولكن لم يأتِ إليه أحد والناس ذاك اليوم كل مشغول في تصليح حلاله. وتأخر اجتماعهم عن العادة. فقال مبارك أبو وحيمد أبياتاً من الشعر يشير أن ميزة القهوة اجتماع الرجال عليها لكي يقص كل منهم أخبار يومه على الحضور.

كما ذكر بالأبيات أنه كان يتمنّى أن يشاركه أحد شرب قهوته ويتمنّى الماضي حيث يقول:ـ

يا دَلّتي ياللي من البن والهَيْل ... دايم على جمره صبورٍ لضيَّة

وافرح إلى جوني فحول الرجاجيل ... والدَّلّة الصفرا قبلها مليَّة

والزعفران اخضاب هَيْل بلا كَيْل ... لا جيت أبَهِّر ما بنفسي رديَّة

يا دَلّتي وَيْن الرُّجَال الحلاحيل ... اللي سوالفهم قبلها عذيَّة

ياما جلسنا بين حمر الغراميل ... وقت الربيع اللي فياضه رويَّة

احمس وادق النجر بالصبح والليل ... مَعَ النشاما والسوالف طريَّة

في الــبر والا بــين غــرس مظــاليل ... مـا فيــه غــير ارباعــةٍ صيرميــّة
والمسح ترعى العشب في حاير الســيل ... نشرب لبنها كل صبــح وغشيــّة
واليوم افكّــر وَيــْن ربــعِ مشــاكيل ... تفرقـوا كــل ضــرب لــه انحيــه
ربــع علـى درب المراجــل دواليـــل ... والكـل منهـم مـا يبُــور بخويــّة
ابكي علـى ربعي ولا في يـدي حَيــل ... من بعدهم صارت عيونـي شقيــه
مـن لامــني جعلــه يشــوف الغرابيــل ... حتّاه مـا يــزرى وينقــد عليــّه
يــا دلــتي عســى الليــال المقــابيل ... نعيــد ماضينــا ليــالِ شليـــه
وصــلاة ربــي عــد وبــل الهمــاليل ... على النبي رسـول رب البريــّة

****

٢٩٨- من نصائح الآباء

هذه قصة وصلتني من الأخ ناصر بن محمد العجواني السبيعي وهي تدور حول توجيه الوالد لولده وحثه على مكارم الاخلاق والصفات الحميده. وإذا تتبعنا التاريخ وجدنا انه قديماً وحديثاً والوالد أهم ما عليه توجيه ابنه وحثه على التمسك بما يلقي عليه من ارشادات ووصايا، منهم على سبيل المثال بركات الشريف الذي قال قصيدة طويله ينصح ابنه مالك بقوله:ـ

يا مالك اسمع جابتي يوم أوصّيك   واعرف ترى يا بوك بامرك وانهاك

ومنهم ناصر بن عبدا لله بن فايز فهو أيضاً قال قصيدة طويلة ينصح فيها ابنه علي بقوله:ـ

يا علي ما هَدّيْتك الاّ وانا ارجيك   ومْقَدِّم رَجْوَى الولي قبل رَجْواك

والحديث عن هذا الموضوع طويل، فنرجع إلى سعد بن ناصر صاحب القصة الذي يعرف عنه الشجاعة والكرم اضافة الى ما يتمتع به من مكارم الأخلاق. كان له ولد وأحب أنه ينصحه ويوجهه ويحثه على عز النفس والتمسك بالأخلاق الفاضلة وعدم الخضوع للخصم، وابنه يلقب كميهان فوجه إليه أبياتاً منها يقول:ـ

يا ناصرٍ قد لي سنين وانا ارجيك   رَجْوَى زراريع المحل في الرجوعي
افهم جوابي كل ما جيت أوَصّيك   صافَ النشاما حطّهم لك اربوعي
واحذر عروسك بالمراجل تماليك   ولا تمالي كل عفنٍ كبوعي
وان حَسْ بالك واحد ما يداريك   عليك باللي يَنْتِرِن الضلوعي
حتى ايجنّب دربه اللي يواليك   ويقصر مسيره عقب ما هو جزوعي

****

٢٩٩ـ من قصص العناية بالخوي

هذه القصة رواها لي الأخ فايز الحربي وهي جرت على والـده حيث يقول: حدثت هذه القصة في حدود سنة ١٣٥٦هـ وذلك أن قوماً من البدارين من حرب حَدَروا من (نجد) يريدون الاكتيال من (الأحساء) و(القطيف) وكان من أعيانهم الشيخ جروان بن نبا البدراني المتوفى سنة ١٣٩١هـ ومعهم سمير بن طفيح وعلي بن حصَيِّن ومناحي بن سرور وعوّاض بن سرور وكلهم من البدارين من بني عمرو من حرب رحمهم الله كما كان معهم موسى بن فايز ــ أمدّ الله في عمره ــ وهو والد الراوي.

ولـمّا وصلوا (الأحساء) لم يجدوا كيلا فقصدوا القطيف وكان موبوءاً في تلك السنة، فأصيبوا بالوباء ومات ثلاثة منهم وهم علي بن حصَيِّن ومناحي وعواض هلكوا واحداً بعد الآخر، ولم يدّخر رفاقهم وُسْعاً بالعناية بهم إلى أن حانت أقدارهم ودفنوهم رغم أنّ حمى القطيف لم تستثن أحداً منهم.

ولـمّا منّ الله بالشفاء على الباقين وعادوا إلى أهلهم لم يسلموا من لوم بعض ذوي المتوفين مع أنهم لم يقصروا في خدمة رفاقهم، لكن البعض تعجل في اللوم قبل أن يعرف حقيقة الأمر. فقال موسى بن فايز الأبيات التالية مدافعاً عن رفاقه وخاصّة الشيخ جروان لأنه كبيرهم، وموضحاً حقيقة ما حدث، والأبيات أطول من هذا ولكن منها:

جروان هـو راعـي المعـروف ... وُهَـرَج القفـا لا تقولونـه
خَويِّنا مـا شـكى الماحـوف ... والكـل منـّا ثَنَـى دونـه
مـن مات صلوا عليه صفـوف ... مـا ينّقـل لـو يشيلونـه
عليـه صم الحصا مرصـوف ... حقـه مـن الخـام يكسونـه

****

٣٠٠ـ الزواج بين الشباب والشيوخ

هذه قصة قديمة من قصص قبيلة بلي رواها لي الأخ عبيدالله بن دخيل الله بن صويلح البلوي الذي يذكر أنها جرت على رجل اسمه صويلح بن عتيق البلوي وهو رجل موّفق لفعل الخير ويعرف عنه الكرم ومتوفرة فيه الخصال الطيبة .. المذكور تقدم إلى خطبة فتاة من جماعته فقال أبوها: زوجتك إياها على ريال وشيمة رجال. قال: وأنا قبلت وكثر الله خيرك وهذا أملنا فيك. وكانت البنت وأمها يسمعن الحديث وعندما دارت القهوة وإذا أصوات النساء ترتفع داخل البيت فقام الأب يستطلع الأمر فقابلته زوجته وبناتها بالرفض بحجة أن الزوج كبير السن. وسمع الخاطب الحديث الذي دار بين الرجل والنساء فقرر التخلي عن الفتاة لأنها لا ترغبه. ولما عاد الرجل إلى المجلس وشربوا قهوتهم قال له الخاطب صويلح بن عتيق: يا أبو فلان أنت ما قصرت وجمالتك وصلت، لكن أنا متنازل عن الخطبة ولا يمكن تجبر نفس على شخص ما تريده ولو أنك أخذت رأيها قبل لكان أحسن، وهذا موضوع صعب ومشكلة كبيرة والبنت التي لا تريدني أنا لا أريدها، فرجع الخطيب إلى عربه ولما وصل تذكر الموقف الذي حصل له، وقال بعض الأبيات التي يوضح فيها مزايا كبار السن وأنهم ربما يكونون أفضل من بعض الشباب، ووصلت القصيدة إلى أهل الفتاة ولما سمعتها طلبت والدها وأخبرته بأن الزواج قسمه ونصيب من الله وأنها قررت الموافقة، وكانت فتاة عاقلة تقدّر الرجال، وتم زواجها وعاشت حياة سعيدة مع زوجها.

أما الأبيات التي قالها فهي:ـ

يا الله يا مطماع في بادي للفاهمات اللي يعرفنه

مثل السهل والعشب بالوادي وانتن على الراضات ترعنه
اما الولد يا ظبي الأسعادي يسقيك مر ويسعطك منه
يدعيك ما تمشي على القادي طول الليالي موجمه منه
الشيب ما هو عيب منقادي شيب الشرف حالي على فنه
كم واحدٍ له يوم ميعادي والسن الأول يقلعه سنه
كثير من يقصر عن المادي بالطيبة ما سولفوا عنه

****

٣٠١ـ حسن الاستقبال

هذه القصة من قصص قبيلة العجمان سمعتها من الأخ فهد بن فردوس الذي يذكر أنه في سنة من السنين كان فيه ركب من قبيلة زعب مرتحلين وفي أثناء مسيرهم نفد عنهم الطعام والماء وحزموا بطونهم من الجوع ومشوا حتى قيل إنهم كاد أن يدركهم الهلاك إلا أن الله سبحانه أنقذهم وكتب لهم حياة، وأول ما ظهر أمامهم بيت رجل من العجمان يقال له امقيت بن صليفيح من العجمان. فحثوا ركائبهم حتى أناخوا عند بيته وإذا ركائبهم تتساقط على الأرض من الحفا والجوع والعطش وهم كذلك تساقطوا ما بين جوع وظماء، ولما رأى صاحب البيت حالتهم ظهر من بيته واستقبلهم بالترحيب ثم أشعل النار وعمل لهم القهوة وقدم لهم صحناً مملوءاً بالتمر وإناء آخر مملوء بالسمن، فصاروا يدهنون شفاههم وأفواههم ويأكلون من التمر والسمن ولما جهزت القهوة وتقهوا وارتاحوا بدأ العرق يتصبب من جلودهم بعد التعب والجوع وإذا عشاءهم جاهز فقدم لهم العشاء وإذا هو نصف ذبيحة ودعى جاره ليأكل معهم ويتبادل معهم الحديث، فتعشوا جميعاً وفي اليوم التالي قدم لهم طعام الغداء وإذا هو نصف ذبيحة أيضا، ثم استأذنوا وتوادعوا بعد أن أكرمهم غاية الاكرام كما زودهم بالزاد والماء. وكان معهم رجل اسمه دواس بن رمضان من زعب قال أبياتاً من الشعر يثني على كرم هذا العجمي وبشاشته فيهم وحسن استقباله، قال:ـ

يا ركب ياللي من ديار الخطر هَيْت

شيلوا على وَنْياَتكم والفَلاَحي

ما ظنـتي تلقـون مثــل ظيفــة امقيــت

لـو كـان تـاتون العـرب مـن جنـاحي

ســليماني فجــالهن غـــرة البيـــت

أيضــا وطبقهـــا كثـــير الصمـــاحي

ربعــه الى جــات البـرايــز عنـــاتيت

والى زبنهــــم مجـــرم واستـــــراحي

الكـــل منهـــم بالوفـــا شـــايع الصيـــت

كرمـــان فرســـانٍ نهـــار الصيـــاحي

عجمـان يامــا طوعـوا كـل عفريـت

وعدوهـم مـن همهـم مـا استـــراحي

****

٣٠٢ـ من قصص الأصدقاء

هذه قصة تدور حول تعاطف ووفاء الأصدقاء فيما بينهم وما يكنه الصديق لصديقه من المحبة والتقدير. القصة هذه وصلتني من (الطائف) من الأخ حمد بن سعد سعمان من آل سعد من قبيلة قحطان والذي يذكر أنه في سنة من السنين سافر صديقه بداح بن مسفر القحطاني للبحث عن لقمة العيش فتوظف في قرية من ضواحي (المنطقة الشرقية) وكان حمد وبداح بينهم صداقة قوية وتبادل للجميل ووفاء كل مع صديقه، فتجدهم يتساعدون على الرأي وعلى البيع والشراء، كما ذكر شاعر عنيزة الكبير محمد العبدا لله القاضي من قصيدة له طويلة منها:ـ

تخيَّر من اجناسك صديق تودّه ... وثيقٍ غميق يفهم العِلْم عَرَّافي
يتحمل لزلاتك ويبصرك ما خفا ... والقلب دربيل للأبعاد كشافي

أو كما قال سويلم العلي السهلي من قصيدة طويلة:ـ

صديق صادقه وامش بلزومه ... وصديق جنُّبه لو كان غالي
ولو هو ولْد اخوك أو ولْد عمك ... او ابنك أو من الصهر الموالي
إلى بان الجفا منه وتبين ... بين له جفاك ولا تبالي

نرجع إلى صديقه بداح فهو في عام ١٣٧٢ نزح عن صديقه حمد وتوظف ونزل بقرية واشتاق بعضهم لبعض كل واحد يترقب اخبار الثاني من الطراقي والمسافرين. المهم أنها انقطعت الاتصالات وانقطعت أخبار بعضهم عن بعض. فقال حمد أبياتاً من الشعر ذكر فيها أنه نيابة عن أصدقائه سوف يقوم بابلاغ

بداح بالأبيات يوضح له أخبارهم وما استجد بعد سفره ويطلب منه أن يسرع برد الكتاب، يقول حمد:ـ

سلام ا لله عليكم يا بداح وعجّل المكتوب
نبي تعريف خطك لين ندري ويش مضمونه
حفظك ا لله علينا اللي حفظ يوسف على يعقوب
بعد حزنه وضيقاته وضره شافت عيونه
أنا بكتب سلامي لك وعن كل اصدقاك أنوب
سلامٍ لك وللي حاضرينه يوم يقرونه
كتبنا لك سلام سالم الغيبات والمقلوب
عدد وبل غزيرٍ من سحاب هلّت امزونه
ألذ من العسل وأحلا حليب غاية المشروب
شراريبه جميع الزاد غيره ما يريدونه
ترى لطف الحشاء عقبك تكدر خاطر المذهوب
ولام الجيم من حزنه عليكم كاسرٍ نونه
فلا ترخص بنفسك وانت شخصك عندنا مرغوب
ونفسك لا تكايدها ترى الارزاق مضمونه
وانا سَيَّرت للحاير وحَصَّلت العدس مجلوب
وحلو الدر ما يكفخ ولا ينصد من لونه

.....الخ.

****

٣٠٣ـ السرعة هلاك الأبرياء

هذه قصة من القصص الهادفة وهي تدور حول السرعة والتهور بالقيادة وعدم التقيد بالأنظمة. ذكر لي الأخ الشاعر عبدا لله بن محمد الثميري إنه في يوم من الأيام قبل أربعين سنة كان يسير بسيارته من عمله متجهاً إلى منزله وإذا هو يرى بعينه حادث شنيع حيث أن سيارة مسرعة صدمت رجلاً كان يحمل مقاضي خارج من البقالة يريد منزله، ولما ضربته السيارة وإذا هو متقطع ومقاضيه متبعثرة بالشارع. ولا شك أن هذا السائق ارتكب خطأ كبيراً أولاً على نفسه ثانياً على الآخرين. حيث أن التهور بالقيادة وتعدي الأنظمة من الأشياء المذمومة. فالثميري عندما شاهد هذا المنظر وقف وسأل عن هذا الشخص وقال الحاضرون إنه رجل عنده ما لا يقل عن عشرة أطفال يكد عليهم. فهاضت قريحته بأبيات من الشعر يتصور في باله كيف حالة أولاده الذين ينتظرون دخوله عليهم بالمقاضي. يقول عبدا لله الثميري:ـ

تهيض ضميري والهواجيس معتلّة
مصيبٍ فوادي يا هل المعرفة خِلّة
انا شفت لي شوفة عسى ما ترَوُّعكم
كسيرٍ بنقّاله والاسعاف مشتلّه
تسيح الدما من جسمه الطاهر البري
وكبده تقطّع كنها حشل من ذلة
وعينه على خده كما ذايب الشحم
تدَلاً وكل اذنيه بالحيل مختلة

عجـــزت اتصــــوَّر منظـــره واتدبـــره
فهـو قطعـةٍ مـن لحـم مفرومـةٍ كلـه
ولا أدري ولكـن الخطر حـاف بالجسـم
وعسى الروح لا زالت ولا هيب منسلـه
تحريت من هو؟ ويش هو؟ وش مصيبته؟
وقالوا لي ابـو بـزران والعلـة العلـة
عيالـه صغـار وامهـم في فراشهـا
مريضة ولا احد حولها كـود يفطـن لـه
مواقف تخلّي صاحب العقل يرتعد
ويصخف له اللي قلبه اقسى من السلة
تصور بـزورة كيفهـم عقـب عزهـم
وهاك الحنان اللي يـوزع على حلـه
اذا هـج ابوهـم بابهـم زاد سعدهـم
فهـذا يغنّـي لـه وهـذاك يرطـن لـه
كما افراخ طير يوم جا الطير بالعشا
وابوهـم يجيهـم بالمقاضي وبالفَلّـة
ولكـن جنـاح الطيـر كسّـر وسبّقـه
تشنّت وعشـه فـارغ كيـف ياصلـه
وابوهـم غـدا في ظنتـي مثـل مـن غـدا
واذا عـاش مـا ظنـي تفيـده حيـاةٍ لـه
سبـب ذاك راعـي موتـر زاد سرعتـه
يـا ليتـه توقّـع كان مـا أظـن يحصل لـه

أوصّي سواويق المواتر لعلهم

يحطون كل البال والبال نعماً له

واذا جيت مستشفى واذا جيت مدرسة

ترفق وخلك صاحي الفكر واعٍ له

فهذي مكانات التجمع فخلّها

على البال وارفق لا تقع موقع الزلة

ولا طاير الا موقّع ولو بدا

بكبد السماء ماله عن الارض عشٍ له

فلا تيتم أحد وانت تقدر تدفعه

فخلّك من السرعة ولازمك قاضٍ له

****

٣٠٤ـ من قصص الشجاعة

هذه القصة رواها لي فايز الحربي وهي جَرَتْ على دخَيْن بن رويشد من السّهَيّات من الفردة من حرب وذلك أنه في احدى السنوات التي سبقت توحيد هذه البلاد غزا الشيخ ابن حَمَّاد شيخ الفرَدة وأراد دخين بن رويشد أن يشترك في هذه الغزية وحيث أنه لا يوجد عنده مَطِيَّة تصلح للغزو فقد استعار من صهره عبدا لله بن خليف بن نومان جَمَلاً حراً، والجمل الحر هو الأصيل الثمين.

وسار الغزو ولـمّا وصلوا إلى موضع يقال له (حسو علياء) في غرب (نجد) أصيب جمل دخين في احدى قوائمه وهذا المرض يسمى عند البادية: المنسرقة، يسبب ضَلَعاً شديداً للدابة ويعيقها عن المشي.

وهنا اضطر دخين إلى التخلف عن القوم والعودة إلى أهله، فرجع يُدَرِّج جمله تدريجاً، حتى وصل إلى مورد ماء يقال له (جبَيرة) يقع جنوب (طَمِيَّة) المشهورة وإذا بعدد من الفرسان المعادين يغيرون عليه طمعاً في جمله وبندقيته قبل كل شيء ثم أخْذ أخباره بعد ذلك معتقدين أنهم وجدوا كسباً سهلاً ولقمة سائغة. لكنّ دخين اختطف بندقية من ظهر الجمل وجهزها بسرعة البرق واستقبلهم بالرصاص فأصاب ثلاثاً من خيلهم وأصاب أحدهم إصابة غير قاتلة فانحرف بقية الفرسان وابتعدوا عنه وتركوه خوفاً على ما بقي من خيلهم. أما هو فواصل مسيره إلى أهله إلى أن وصل سالماً بفضل ا لله ثم بفضل شجاعته ورباطة جأشه. وفي ذلك نظم الأبيات التالية يوضح ما جرى له وأنه استبسل دون بندقية وجمل نسيبه حتى لا يلام على عدم المحافظة على العارية، وكأنه يقول لو كان الجمل لي لهان الأمر. يقول دخين بن رويشد:

يـوم جَـرَى لـي في جنـوب الـمذاريـــب
خَلّى العـوارض واسْـوَد الـراس شَيْـبِ
شـرق مـن الـشـمـطـا عـن الـعـد تـغـريـب
غربـي جْبَيْـــرَة في مـحـــل الـجـذيـــبِ
اعـتـب الـضـالـــع عـلى الرجـل تعتيـب
وُعَلَيْ من حامـي الـسـمـايـم الْـهيــبِ
خَـلاً قـطـوعـي لا مـنــادي وَلاَ مْجيـــب
في سهلـةٍ والشـوف مِغْهـا عجيـــبِ
اوحيــت جِـسٍ غيَّـب العقــل تغييـب
واريــت مـع مــا اوحيــت شَـيٍّ مْرِيــبِ
لـحقـوا عـــلى قـــبٍّ جِيـَـاد جناديـــب
وُلا مــن طـمـاعــة، بـنـدقـي والـهَلِيـــبِ
وُلَدَّيــت لَـلّي قــد مـضــى لـه تجاريـــب
دون الـقـعـــود وُعـــن مَلاَمـــة نـسـيـبــي
وثـــارت ثـــلاثٍ واذْحَجَـــن الاصاويـــب
وُمِنهَـا جديد العمـر يحضـر عطيـبِ
وُتَقَلَّبـــن مـثـل الـوحـــوش الـمـراعـيـــب
يَنْـرَى لهـن دَمْ وُ عَلَيْهِـــن صـويـبـــي
وُطاح العَشَـا للـمـرقـبات الـمحـاديـب
والـذيـب في صـوتـه قَـنَـبْ لـه لْـذِيـــبِ

****

٣٠٥- الحزن على الزوجة

هذه قصة من القصص القديمة رواها لي الأخ مثقال بن محسن من الخرصة من قبيلة شمر وهي جرت على الشاعر المرحوم عيادة بن منيس الخريصني الشمري. المذكور كان يعيش مع زوجته وأولاده مع العلم إن زوجته قد وهبها الله من الجمال والأخلاق الفاضلة وموفقها الله بحسن المنطق وخدمة زوجها... في سنة من السنين طلبت من زوجها عيادة إنه يسمح لها لاداء فريضة الحج مع والدها قال زوجها توكلّي على الله. عندما حجوا وانتهى حجهم وأنكَفوا إلى أهلهم وهم في أثناء الطريق أصابها مرض وأصاب بعضاً من أصحابهم وأراد الله وتوفت قبل أن تصل زوجها بحائل. وعندما وصل الحجاج إلى أهلهم ذهب زوجها يريد أن يسلّم عليهم ويهنيهم بسلامة الوصول ويحضر زوجته لكنه لـمّا جاءهم وسلم قال: أين فلانة؟ يقصد زوجته، قال والدها: تطلبك الـحِل. أي أنها قد توفت، فانزعج عيادة وتكدر خاطره، وصار يكثر الخروج والتجوال هائماً في الصحراء من الحزن عليها. وجاءه صديق له اسمه فريج الفريسي من الفرايسة قال: ياعيادة لماذا تحزن كل هذا الحزن والمثل يقول: من ماتت زوجته جدَّد فراشه، ومن مات أبوه ملك أمره، ومن مات أخوه انقصم ظهره! قال عيادة: يا فريج اتركني اليوم وتعال غداً وأخبرك. وعندما جاء من الغد فريج قال له عيادة أريد أسمعك بيتين قال: وما هي؟ قال عيادة:ـ

أمس الضحى نطّيت راس الجبالي ... ودَلّيت اجيب ابيوتنا من مغنـّه
وزعجت انا صوت الضحى من هبالي ... بصوت طويل وترفعه راس قنـة
يا فريج انا ادري ينقدون الرجالي ... يا فريج ما يقدَر ضميري يكنـه

يـا لايمـي بموادعــة كــل غالــي   عساك ما تلقي على بـاب جنـة
يـا لايمي مـالـت عليـك الليالـي   تـاخذ عجـوز راقـط مستجنـه
يــا تـل قلبي مـن معـاليق حالـي   بـخدامةٍ يوم ادرجت بالـمسنـه
الصاحب اللي مثـل وصـف الغـزالي   لـه بـي ولا لـه بالعشاشيق لـثـه
زيـــنٍ بليـــنٍ والبـــلا بالذبـــالي   شـفـايفـه ذوب الـعسل يجمعنـه
حطـوا عليهـا مـن لبيـد الرمـــالي   نـهـجـن به العيرات ولا أحضرنه
وديـــةٍ[1] مـــن ريهـجـــان ازلالي   نبتت وعيـدان الثمـر شـابطنـه

أما قصته مع زوجته الثانية التي قامت في علاجه عندما ثار فيه ملح البـارود ولدغتها الأفعى وماتت فسوف نوردها لكم بمشيئة ا لله فيما بعد.

****

(١) ودية: أي النخلة.

٣٠٦ـ من شعر مويضي البرازية

هذه قصة قديمة سمعتها من الأخوين الصديقين منديل الفهيد ودبيس بن علوي الشمري وهي من قصص النساء. قيل إن الشاعرة مويضي البرازية تعتبر من الشاعرات الشهيرات التي تميزت بقوة الشعر وسرعة البديهة وتمجيدها لكل من تتوفر فيه الخصال الحميدة مثل الكرم والشجاعة والمغامرة بالمعارك .. كان يسكن بجوار أهلها رجل يدعى علي بن رمان ويعرف عنه شجاعة فائقة وكان عليه رأس أي ظفائر مجدولة فوق أكتوفه وعلى صدره كغيره من أبناء البادية ذاك الوقت حيث كانوا يفتخرون فيها وقت المعارك. وعندما قاموا الاخوان جزاهم الله خيراً بالدين ذاك الوقت قاموا يرشدون الناس إلى الطريق المستقيم والذي ثوبه طويل يأمرونه بقصره ولا شك أنهم مجتهدون رحمة الله عليهم لكن الناس ذاك الوقت كان فيهم بعض الجهل قبل أن يدخل الحق إلى قلوبهم بالعلم والمعرفة. فكان يحدث منهم كلام خاطيء أحياناً مثل ما حدث لرجل من شمر كان عليه شَنَب طويل وأجبروه الاخوان أن يقصه إلا أنه شرد عنهم، وقال:ـ

حلفت يا شاربي ما تِنـّاش   لو هو على الشرع يشكيني
ما احسن دقني واروح بلاش   ما ينفعن قول يا خيني

لأن الاخوان يخاطبونهم بقولة يا أخي ... وعندما قام الشيخ الشويعر وصالح بن علي بحائل ذاك الوقت يعلمونهم الدين قال واحد من شمر:ـ

يا مغير هيـّا لا تطيع المشيرين   انحش عن الحضران لا جا بشيره
من فوق حمرا تبعدك عن هل الدين   واندوِّر الاطماع في كل ديره

قال الثاني:

انا براسي هَوْمة ما ادري وينْ يم الصفاة أو مادري للجزيرة
وانا الى شفت الشويعر يراعين لو هو بخير قلت مالي بخيره

ولا شك أنهم اليوم لله الحمد تراجعوا إلى الحق وأنورت قلوبهم بمعرفة الدين لكن هذا ناخذ منه عبرة .. نرجع إلى علي بن رمان ومويضي فهو عندما هرب خوفاً من قص رأسه صادف بطريقه قطعة أباعر لشخص يقال له عرنان من قبيلة الشاعرة مويضي وهو يستولي عليها ويسوقها أمامه ويهرب بها فالشاعرة مويضي أعجبت بتصرف هذا الشخص ولو كان على خطأ وقالت أبياتاً تمدحه منها:

يا ونتي ونَّة مفاريد عرنان تاه المدوّر والموارد عَدَنَّه
غدا به الشغموم علي بن رمَّان اللي على الصبيان يا طول فنه
اختار جال ا لله على جال الاخوان والرزق في يد واحد ما يمنه
حر شهر من دار غبن وحقران وبعض النفوس الضيم ما يقبلنه
ا لله يعدِّيه ازرها عالي الشان وعسى عجوزٍ جابته بالف جنّة
اخذت اباعر طيب الذكر عرنان وباتن حريمه زادهن ما كلنه

****

٣٠٧ـ التوجد على الأهل والجيران

هذه قصة قديمة سمعتها من الشيخ فهيد بن وليد بـن شَوْيَـة والـذي يذكـر أنها جرت في سنة من السنين عندما ظهر الشيخ وليد بن شـويه وجماعتـه ونزلـوا في محل يقال له (البحيص) في (جنيح) بنواحي (الصمّان) مخضرين بأدباشهم وقت الربيع وكان معهم عيـد بـن سعران مـن سبيع وعندمـا انتهـى الخضـار صـاروا يبحثون عن المراتع الخصبة وأما عيد بن سعران فإنه سـافر لقضـاء بعـض لوازمـه وآل شَوْيَـة جاءهم خبر ربيع عنهم شمال ونزحوا بأدباشهم ونزلوا فيه. ورجع إلى جماعته من السفر ولما وصل وإذا هم راحلين وما وجد غير محلهم ومواقد نيرانهم فصار يتجول في منازلهم السابقة ومرحهم وتذكرهم وتذكر مجالسهم واجتماعهم وهو يرقاء على راس قارةٍ مرتفعـة يتطلـع شمـالاً وجنوبـاً لعلـه يـرى منهـم أحـداً ويشاهد شيئاً من أدباشهم ولكنه لم يجد شيئاً. وهو محتار في أمـره مـا يـدري أين اتجاههم. فعزم أن ينام وإذا أصبح يتبع أثـر مواشـيهم حتـى يجدهـم أو يجـد أحـد يسأله عنهم. وقال بهذه المناسبة أبياتاً من الشعر وهو في رأس مكان مرتفع قرب منازلهم، ذكر فيها شجاعتهم وخصالهم الحميدة. يقول عيد بن سعران:ــ

نطّيـت في راس الطويلـة وُ وَنّيـــت ... واشـوف لي خــد تقطّــع سَرَابــه

يا راكب اللي رَبَّعَت بالحجر هَيْـت ... تَشْدَى فريـدٍ شـاف زولٍ عـدا بـه

ملفاك من هو بالقسـا يـرَفع البيـت ... كم بيت مغلـولٍ خلافـه لـجـا بـه

لا من ركب حمراً أصيل علـى بيـت ... يرعون بـه الخضران يـم الـحرابـه

مدحت ابو نـايف ولانـي تـدَرَّيـت ... لا من عشا بالخيل تشـكي صـوابـه

****

٣٠٨- الهجيني رفيق المسافر

هذه قصة جرت على محمد الطنباوي والذي خدم وطنه ومليكه باخلاص وتفاني سنوات طويلة. المذكور كان خوي مع جلالة الملك فيصل رحمه الله وهو في مدينة (الطائف) عندما كان أميراً على (الحجاز). وفي يوم من الأيام جاءه كتاب من أهله بالعارض ذكروا فيه أنهم بخير ولا ناقص عليهم سوى مشاهدته فحَنّ قلبه واشتاق إلى رؤيتهم والاطمئنان عليهم فطلب من معزُبه أن يأذن له بزيارة أهله وأقاربه فأمر وكيله أن يشتري له ذلولاً من أطيب الجيش. فأخذها وشدها وحَمَل قربته وزهابه وركب بِكُورها وسار متجهاً إلى أهله. وفي الطريق كان يغني بنوع الهجيني، حيث كان ذلك شائعاً في ذلك الوقت لأن السفر كان طويل ولا يوجد معه شيئاً يسليه مثل الراديو أو المسجل أو نحوه في عصرنا الحاضر. ولأن الحداء والغنا ممّا تطرب له الابل ويثير فيها الحماس ويساعدها على قطع الطريق. وهذا يذكرنا بقصة ناصر بن محمد الخليف من أهالي (الأسياح) كان خوي من الخويا المخلصين عند أمير (بريدة) ذاك الوقت عبدا لله بن جلوي رحمة الله على الجميع، وأرسله في مكاتيب إلى جلالة الملك عبدالعزيز في (الحجاز) وعندما سلم المكاتيب وأخذ ردَّها ركب ذلوله واتجه إلى (بريدة) وصار كذلك يهيجن بينه وبين نفسه بقوله:ـ

يا ذلولي مع رفاق الحَزْم شِلّي ... واسهجي مَرّان واقبا والدفينة

كان والي الأمر باكر مرخصٍ لي ... انقضى اللازم وخطّي كاتبينه

فوقها قَرْمٍ الى تاهو يدِلّي ... العقَال امْنكّسِه من فوق عينه

انحري بي دار من هرجه يسَلّي ... عقب حال البعد من بيني وبينه

ذاكر عقب التغرب صاحبٍ لي   العشر والخمس هي عدة اسنينه

اما محمد الطنباوي فهو يهيجن وعندما جاء وأقبل على (الحِسِي) ديرة فدغوش بن شَوْيَة قام يهيجن بقوله:ـ

يا فاطري زينة الفديد   خوذي مع الحزم لك دَوْيَة
عقب الخلا والمعاش بعيد   مرِّي على قصر ابن شَوْيَة
مرّي على حامي البليد   يوم ان الارقاب ملتوية

****

٣٠٩ـ من قصص محمد أبونيَّان

هذه القصة رواها لي الأخ فايز الحربي حيث يذكر أنه في أحد المرات أجدبت مرابع أسرة الشاعر محمد آل ونيان من بني علي من حرب فرحل قومه يطلبون المراعي الصالحة لمواشيهم وحلالهم لكن الشاعر اضطر للبقاء في البلدة ليعتني بنخله وزرعه وعندما جلس في احدى الليالي على قهوته أحسّ بالوحدة وتذكر جماعته فقال الأبيات التالية، وقد تكون أطول من ذلك:

كلٍ نَجَع يَمْ الحَيا يا ابْن عَبَّاد
يبي يدوِّر صالحٍ في حلاله
والاّ انت لو كل نجَع فانت قعَّاد
ما تنجِره لو كل حي عَنَا له
يا الله طلبتك رايحٍ يوم ينقاد
يريف بالمِسْنِي تزَبَّر خيَاله
امطر وهَلْ وسَيَّل الحَزْم والواد
مَلاَ الدحَال ورَوْبة الخد شاله
تِخْلِف ظنون اللي نووا كسرة الزاد
غِبْر الوجيه اللي خذوها حياله
لا شاف غَيْمٍ طقه جنون واجلاد
ومع الصحو يذلّه وينساح باله

ومعنى البيتين الأخرين أن بعض التجار الذين همهم احتكار الزاد يتكدرون من رؤية السحاب الممطر لأن المطر يؤدي إلى زيادة الخير والرخاء بإذن الله.

****

٣١٠ـ من قصص عيادة بن منيس

هذه قصة من القصص القديمة وهي من قصص عيادة بن منيس من الخرصة من شمر وقد سبق أننا أوردنا قصة وفاة زوجته الأولى ووعدنا بتقديم قصته مع زوجته التي لدغتها الحية، وهي وصلتني مناولة الشيخ مطلق بن عبيكة بصوت محشم الجهيلي والذي يذكر أنه في سنة من السنين صار الربيع في ضواحي (لينة). وعيادة وجماعته كانوا نازلين حول (جفيف) وذكر لهم الربيع واستعدوا للنزوح إليه فقام عيادة يدق الملح ملح البارود والملح له مواضع يؤخذ منها يسمونها مقاطع ويعرفونها. وعندما بدأ يدق الملح يريد اعداده لهم وأراد الله وقدح الملح وانفجر بين يديه انفجاراً قوياً رماه من مكانه فأثر في جلده وجسمه. واجتمعوا العرب عنده وإذا كل جلده قد أحرقته النار لكن الذي يريد الله له سلامه يَسْلَم. وأصيب اصابة بالغة بحيث لم يبق إلا نفسه يتردى أما جسمه فقد تأثر واحتاروا جماعته لأنه لم يكن هناك مستشفيات أو أطباء يعالجونه كما هو الحال في عصرنا الحاضر. وكانت حالتهم محرجة فهم إن جلسوا عنده هلك حلالهم ولا يمكن نقله على تلك الحالة. وإن تركوه فإن ذلك غير لائق خاصة وأنه شاعر سليط لسان ربما يقول فيهم قصيدة تبقى مدى الدهر. وكان حديث الزواج من زوجته الأخيرة. فأشارت عليهم زوجته الجديدة بأن تجلس هي عنده وتعالجه، وقالت: خذوا حلالنا معكم حتى لا يموت الحلال، وإذا كتب الله له عافية نلحق بكم. فتشاوروا فيما بينهم وقالوا: لا بد من أخذ رأيه. فأخبروه بما قالت زوجته. فقال عيادة هي صادقة روحوا بحلالكم وحلالنا معكم وانا وكلوا بي الله . فرحلوا من عنده وتركوه مع زوجته على تلك الحالة بقرب احدى القرى. وقد

قال بهذه المناسبة أبياتاً يشتكي حالته وألم الحريق وخاصة بعينه، وللأسف فلم يحفظ الرواة من قصيدته إلا الأبيات التالية:ـ

نطيت رجم لا سقا راسه الحيا
سريع من روس العوالي طبوبها
من يوم ثار الملح قدام ناظري
مثل المقمَّع يوم يقدح شبوبها
أخسي يا عيني كل ما أقول خندرت
يا مير تشدى شنةٍ من غروبها

ومع أن الشاعر يذكر أنه طلع على الرجم وهو مكان مرتفع فإن ذلك من تصوير الشعراء وإلاّ فإنه مصاب لا يستطيع رقي الرجوم والجبال.

****

٣١١- الحزن على زوجة مخلصة

أيضاً من قصص عيادة بن منيس وهي تكملة لقصته السابقة يوم ثار به ملح البارود وذلك أنه عندما سمح لهم بالنزوح والرحيل بأدباشهم للربيع طلب منهم أن ينزلوه قرب مورد ماء عند سوهج بن حركان من العمود، وقيل انه أخذ تسعين ليلة منها شهرين يقول إن زوجته كانت تنحني عليه برأسها ويتمسك بشعرها إذا أراد الجلوس، فبدت تحسن صحته إلى أن عافاه الله، ومن ضيقة الصدر والمرض قام يتجول بالبر ويصيد حاجتهم من الأرانب والصيد لأنه متوفر ذاك الوقت، وفي ليلةٍ من الليالي كان جالساً على معاميله يعمل القهوة له وزوجته تعد طعام العشاء ولا شعر الاّ وهي تناديه فقالت له: أشعل النار وتعال عندي. ولما جاء إليها وإذا هي ممسكة بحية سوداء قد لدغتها مع الورك. فأهوى على الحية وقتلها. وفي اليوم الثاني توفيت زوجته، وكان قد رأى بالمنام أنه سوف يجري عليها شيء غير سار لكنه لا يدري ما هو ولا متى سيحدث. ولما توفيت غسّلوها ودفنوها بالخضر في ديرة ابن حركان. وقال أبياتاً يوصي ابن حركان على قبرها أن لا تحفره السباع. يقول:ـ

يا مزنةٍ غرًّا نشّت ما أظنه ... على الخَضَر وِذيار غمقين الاطعان

تاقف على الرتقة تقل يوم سنّة ... من زود سيله يغرق الانس والجان

ولا هيب عن وديانكم مستكنّة ... حلو عليكم طامي العشب لا بان

يا ونتي تاتي ثمانين ونّة ... ما اقواك يا زوري على ثقل ما جان

ونين راعي سابقٍ غرقنه ... شهب النواصي مرخيات بالارسان

تقنطرت بوجيههن ما اودعنّه ... بنات يا راع السبايا كحيلان

برماح من فوق البريم اضربنه   فوق البريم وحدر لَمّات الامتان

عليك ياللي ما لهدتن بونه   يا بو ثمان كنهن حب رمان

يا ما ايديي كلهن لَمَّسَنّه   وبالسهر يا ما دافي البطن حاضان

غدت علي مثل القطاة المكنة   يا ما بريت او والي الاقدار عافان

عرفت يوم عظامها مع مدنه   هوزت عديم هازبه واطلق الزان

عزي لعيني تقل ناضوح شنّة   من البير يجذبها مراجيع عثمان

بخلافهن رقط المحاحيل غنّة   زمّار دولة عسكر تقل ديان

غب السواقي والشلاث اطلعنه   بغروب يودعن أشهب الماي شلان

وداعتك سحم الضرا لا يجنه   وداعتك قصيرتك يا ابن حركان

والقصة لها بقية وهي وصاته لابن حركان يوم يقول:

وداعتك سحم الضرا لا يجنه   وداعتك قصيرتك يا ابن حركان

****

٣١٢ـ وفاء ابن حركان

أيضاً من قصص عيادة بن منيس وهي بقية قصته السابقة عندما توفيت زوجته وأوصى على قبرها صاحبه ابن حركان ليحفظه عن السباع، يوم يقول:

وداعتك سحم الضّرا لا يجنّه   وداعتك قصيرتك يا ابن حركان

يقول الراوي إن سَبعاً حاول نبش قبرها لما دفنت جنازتها، فجاءوه وطردوه، ويقول أن ابن حركان أخذ ستين ليلة وهو كل يوم إذا تعشى راح بالليل لينام حول قبرها يرصده عن السباع. فأخبروا عيادة بن منيس وقالوا له لماذا أشقيت صاحبك العمودي وشقيت عليه بحراسة هذا القبر البالي؟ فلم يصدق عيادة أن يصل اهتمام صاحبه بوصيته إلى هذا الحد، فركب إلى مكان قبرها ليتأكد من ذلك. فلما وصل إلى القبر وقت صلاة الفجر وجد ابن حركان يصلي عند طرف المقبرة، فسلم عليه وتعانق الاثنان بحرارة حتى بكى كل واحد منهما. فقال عيادة لماذا عملت هذا العمل؟ فقال ابن حركان: أنت الذي طلبت مني ذلك، مع أني ما فعلت مع والدي ووالدتي. فأنت لم تختر من شمر إلا أنا لحراسة قبر زوجتك. فقال عيادة: أنا ذكرت اسمك في القصيدة لأنها توفيت بالقرب منكم، ولم يكن قصدي أن تعمل كل هذا العمل. فقال ابن حركان: أنا نفذت وصيتك التي اعتبرها أمانة في ذمتي والآن إن كنت ترى أني قد أديت الامانة فأرجوا أن تسمح لي وتعفيني منها. فقال: أنت مسامح وبَيّض الله وجهك. وختاماً فإننا لا نورد مثل هذه القصة تأييداً لها وإنما نوردها لما فيها من الوفاء والمحافظة على حفظ الامانة وأن الشعر له عندهم قيمة كبيرة ويحافظون

على مايرد فيه. وقد قال عيادة أبيات أخرى في وفاة زوجته كما يذكر فيها شجاعة قومه عندما أغار عليهم بعض الأعداء منها:ـ

صفراً من الغيبات جتني ولا أثور	وقامت تحوم براسي المستديرة
ثري ابن آدم يالاجاويد مامور	مَرٌ على شَرِ ومرٌ بخيْره
وجتنا جموع تحتدي شقّة النور	مثل العساكر يوم تتلي وزيره
ربعٍ مناخاهم تقل لجلجة غور	كبيرة الهقوة بعيدين ديرة
مشوا علينا عقب ما داسو الشور	يبوننا كون الفجاة البهيرة
مشوا علينا وانتخا كل منعور	يبون حلة كل بنتٍ ستيرة
قدّامكم ياتي ثلاثين مسطور	عيال السيافا مسندين المغيرة
صب الحمر مع كل سندا وحادور	قبايلِ كب الحمر مع مريره
ماجور يا من هو الى ون ماجور	بين القرايب واحتمات القصيرة
والعمر ما يَسْوَى هاك اليوم زنبور	وعسى عمارِ طايلات قصيرة

وقصائد عيادة بن منيس لها بقية وان شاء ا لله يأتي معنا بعض منها.

****

٣١٣ـ من أشعار عيادة بن منيس أيضا

أيضاً من القصص القديمة وهي من قصص عيادة بن منيس لاننا سبق أوردنا بعضاً من قصصه ووعدنا بإيراد المزيد من أشعاره لأنه رحمة الله عليه وأموات المسلمين مَرَّ عليه نكبات من الزمان وتوفي له زوجتان ثم ولده الذي سقط بالبئر يوم يقول فيه:ـ

أمشي وعلمني صغير وانا اقيف او وقفت تقل موسر لي بقده

وهو أيضاً صاحب ألغاز ويستعمل الرمز بأشعاره مثل قوله:ـ

أنشدك با الله يالعقيمي عن أنثى حيثك بالايام الماضيات صدوق
شربه قرَاح ولا تاكل الا اللحم وهي دايم قدّام الراكضات سبوق

وهو الذي يقول:ـ

أنشدك يا مسندي عن لون شايب شايب يا مسندي عَيّا يشيب
شايبٍ مصلوخ من فوق الركايب دايمٍ من فوقهن مثل الرقيب
لا طلع له عبدةٍ ما له ذوايب تقتلب حِرّة لا يا شبيب

وهو الذي يقول عندما جاء مجلساً وجلس عندهم وانتظر أن يسأله أحد عن أخباره وأشعاره فما سأله أحد، فقال:ـ

يا من ينَشّدْني عن القيل يا رْجَال يا ما معي يا رْجَال من مستوي بيت
غرزتهن غرزن وحفنٍ ومكتال ومنهن تعلمت السباحة ورراويت
يا مل قلب به تقل لج محّال لا قيل للسّاني طرف زرعكم مَيت

وقد قمت في أثناء جولاتي لبعض مناطق (حائل) بتسجيل مجموعة كبيرة من قصص وأشعار هذا الشاعر قدمت الكثير منها عبر برنامج قصة وأبيات وها نحن نستعرض بعضها في هذا الكتاب والبقية تأتي إن شاء الله.

أما ملح البارود الذي قدح وثار فيه فهذا دليل على أن أهالي هذه الجزيرة كانوا يصنعون الملح ويصفّونه بأيديهم، والملح له مناجم أو مقاطع معروفة يستخرجونه منها بحيث أنه كان لديهم اكتفاء ذاتي بمنتوج بلدهم من مادة ملح البارود المستخدم في السلاح والدروج وهي الذخيرة من الرصاص هم الذين يَصُبُّونها ودليل على ذلك قول الكثير من الشعراء منهم علي الخيّاط الذي يقول من قصيدة طويلة:ـ

لي بندق ترم اللحم لو هو بعيد

ما وقّفت بالسوق مع دَلاّلها

خمس ورصاصة ستة اشبار تزيد

ملح الجرَنف محيَّلٍ يُغبَى لها

ومنهم خضير الصعيليك وبعض الرواة ينسبونها لسرور الاطرش الذي يقول:ـ

لابتي مزن غشا المرقاب نَوّه

قام برقه يشتعل مع كل جالي

وها نحن نوردها ولا يهمنا قائلها أكثر مما يهمنا استشهاده بانتاج ملح البارود بأنفسهم ومن بيئتهم لأنه يوصي الموّاش والموّاش رجل من أهل بريدة يصفّي الملح ويدقه ومشهور بمهارته في ذلك ومن كان عنده معرفة في بقيتها أو

قائلها أن يكتب لنا مشكوراً بما لديه. وأنـا كما ذكرت سمعتها من عـدة رواة بعضهم ينسبها لخضير الصعيليك وبعضهم ينسبها لسرور الأطرش، ومنها:ـ

لابـتي مـزن غشـا المرقـاب نـوُه
قام برقـه يشـتعل مـع كـل جـالي

أشـهب البـارود يـالموّاش سَـوُه
واسحقـه نبيـه لبطـون الغـوالي

كم صبي عـن طريقـه عِيـق نـوّه
بالمعاره يوم يُرْمَى مـا يشـالي

****

٣١٤- من شعر الرثاء

هذه القصة رواها لي الأخ فايز الحربي يقول: كان رجلا من البدارين من بني عمرو من حرب واسمه عليّان البركي يعيش سعيداً بحماية ابنيه ورعايتهما، لكن الدهر لا يؤمن جانبه، ففي أحد الأيام أغار قوم على إبله وهَبَّ إبناه لحمايتها إلاّ أن المنية كانت لهما بالمرصاد فقتلا دفعة واحدة. وانزعج الأب لهذا الحدث لكنه سلّم بقضاء الله وقدره وبَثَّ حزنه إلى خالقه مدركاً أن الموت نهاية كل حي وأنه قد أخذ قبلهم رجالاً أعظم منهم، وَصَوَّر هذه المعاني بأبيات رثائية معبرة يقول منها:

وَاطَـيْ قلبي يا مَلاَ طَيْ قرطاس
وِالاّ صِمِيل ما هَوَتْه البَلايل
يا عين لا تبكين للهَم والياس
اللّي جَرَى لك جاري للحَمَايل
الموت ما خَلّى جَزَا دايخ الراس
ولْد الشطير اللي يضْد الدبايل
مع مَسْعَدٍ يَوْم انْ الارياق يبسّاس
يِفْتَك ذود مْنَسّعَات الجَدَايل
دِليلةٍ للجيش قطّاع الارماس
دليلةٍ ما كِنْ غيره دلايل
له مْرتع ما بين الابْرق والاطعاس
يا ما حَمَاها من جموعْ وُقبايل

.....الخ.

ودايخ الراس هو الشيخ جزا بن سعد الشطير من أشهر شيوخ الشعب من بني عمرو، أما مسعد فهو الشيخ مسعد بن راجح شيخ البدارين من بني عمرو أيضا.

****

٣١٥- الغربة وقلة الأصدقاء

هذه قصة قديمة جرت من حوالي أربعين سنة وهي وصلتني رفق رسالة من الأخ حمد بن سعد بن سعمان من قبيلة قحطان والذي يذكر أنه كان يشتغل في منطقة (الظهران) كغيره حيث كانوا ذاك الوقت يتغربون عن أهلهم وأولادهم للبحث عن الرزق وإذا قارنا بين ذاك الوقت وبين وقتنا الحالي نجد الفرق شاسعاً حيث توفرت في عصرنا الحالي الأرزاق وساد الأمن وكثرت فرص العمل. وبعد ما كان أهل هذه البلاد يتغربون عن أوطانهم نراهم اليوم يستقدمون العمّال من البلدان الأخرى وهكذا الدنيا ودورات الزمان. لكن الواجب علينا الشكر لله سبحانه على ما نحن فيه من أمن ورغد عيش والمحافظة على الدين لأنه هو عصمة أمرنا.. يقول حمد إنه ما كان عنده أحد يعرفه يتبادل معه الحديث والسوالف وبهذا البلد لا عارف ولا معروف إلا فقط اثنين واحد يقال له عبدا لله بن رفيدة والثاني يقال له ابن نافل. وقال حمد بهذه المناسبه أبياتاً منها:ـ

يا لله يالمطلوب يا سامع الدعا ... يا قابل الدعوات يا مستجيبها
يا عالم البيّن ويا عالم الخفا ... يا خالق الذرة وتعلم دبيبها
في ليل غدراً خندريس سوادها ... قرار شوف العين ما يقتدي بها
افرج لمن هو كن في الصدر عبرة ... وسط الحشا يشتب صالي لهيبها
والقلب منها مهجرات اغصونه ... كما سرحةٍ تهجر ليا اخضر شعيبها
عبرات صدري بين الاضلاع تختلف ... واكنها في خاطري ما دري بها
بَيَّنت معناها على كل عارف ... يدري بمعناها ويفهم مصيبها
قلته وانا في دار من لا يفز بي ... في دار من لا تلتفت في غريبها

الا اثنين بَيَّض ا لله وجيههم   بيضا على العربان يمشي نديبها
من باب نجران الى مصر طولها   ومن مظهر البيضا الى اقصا مغيبها
عبدا لله الممدوح هو وابن نافل   متنفلين بالمراجل وطيبها
كستهم البيضا ويستاهلونها   يستاهل الطولات من يحتضي بها
عبدا لله الى من بار من هو يعرفنا   رَحّب بنا ترحيبةٍ ينجزي بها

****

٣١٦- من قصص حسن الجوار

هذه قصة قديمة رواها لي الأخ الفديع بن سلطان بن هدلان وهي جرت على عبيد بن محمد القاماني من قبيلة الدواسر. المذكور كان نازلاً في حلاله على ماء يسمى (لجع) وهو من موارد قبيلة قحطان جنوب (الرَّيْن) والمورد هذا فيه أبيار كثيرة فنزل سلطان بن هدلان على هذا المورد، وكل عارف ما يخصه من هذه الموارد. وعندما علم عبيد أن الرجل الذي نزل هذا أنه ابن هدلان ذهب إليه يريد أن يسلم عليه ويستأذن منه لسقيا حلاله وأيضاً يسمحون له بالمرعى فقال له سلطان: أنت الآن ضيف عندنا ودربك دربنا ونحن وإياك بالموارد والمراعي سواء، إلى أن يفرّج الله لنا ولك. وبالفعل فقد أمضى فترة وهو عندهم عزيز ومكرم وعندما جاءه خبر أن ديارهم رَبَّعَت وهطلت عليها أمطار غزيرة اشتاق إلى جماعته الدواسر وطلب من جاره ابن هدلان أن يسمح له بالرجوع إلى ديار جماعته فارتحل عائداً إلى قومه. وتذكر جيرانه آل هدلان وتقديرهم له وقال أبياتاً من الشعر عَدَّد فيها شجاعتهم وما شاهده منهم من الحفاوة والتقدير. وهذا من سلوم العرب وخصالهم الحميدة. أما الأبيات التي قالها فمنها:-

يا لله عسى لَجْعٍ حقوق الرفايا ... يسيل جره لين يسقي ابن هدلان
يسقي مناويشه تماد الرعايا ... من قبلةٍ ويقول ذا سيّل إقران
يا هل الركاب اللي باهلها حفايا ... إلى لفيتوا فانحروا بيت سلطان
عيد الركاب ان شحشحن القرايا ... بصحون بر فوقها أذناب خرفان
راعي دلال ابكل كيف ملايا ... البن هو والهيل بدلال رسلان
يوم الجهل يرْدُون حوض المنايا ... وهل فرسةٍ من عاد عصر ابن بدران
يا جعل يفدونه اقلال العنايا ... اللي على جيرانهم شينهم بان

****

٣١٧- بين الشاعرين جارالله بن مصيول وسعد الضحيك

هذه قصة سمعتها من مزيد السريحي وهي جرت علـى الشـاعرين الشـهيرين جـارا لله بـن مصيـول وسـعد الضحيـك الجميـع مـن قبيلـة مطـير بينهـم صداقـة ومداعبات بالشعر. وفي سنة من السنين جاءهم دهـر بـالأراضي الـتي يسـكنونها وذهبوا إلى جماعتهم لكي ياخذوا منهم منايح كما هي العادة عند العرب التعاون فيما بينهم ومساعدة بعضهم بعضاً فالشخص الذي عنده منايح يعطـي الـذي مـا عنده شيء. كذلك الفلاّح يعطي الذي ما عنده زراعة مـن عيـش وتمـر مثـل مـا يعطي البدوي من منتوج إبله أو غنمه فهو يعطي الشخص الذي ما عنـده منـايح سمن ولبن وغنم وتجد العرب متعاونين ومتكاتفين ومن صار عليه حاجه ساعدوه. المذكورين تعبوا من المشي يوم نزلـوا في ذاك الـوادي قـالوا نريـد أن نرتـاح فيـه وكل واحد يحط ظهره في ظهر الثاني ويرقدون وبدأ الضحيـك يسـولف ولـمَّـا انتهت سالفته قال ابن مصيول: وش انت تقول يا ابو غانم. قال: عجيب الآن لي ساعة أسولف عليكم وعندما قضت السالفة تقول وش تقـول! قـال: أنـا سـارح قلبي بالهواجيس. قال: وشو فيه. قال: بالجماعة ومجالسهم وش يبون يقولـون إذا جئت انا وإياك ما أحضرنا منايح. قـال الضحيـك تسـمع مـني يـا جـارا لله! قـال تفضل، قال:ـ

ان كان بك هاجوس فيه هواجيـس ... لا شـك اكنـه مـا تبيـّن لغـيري
وان كان تطري كاسـبين النواميـس ... يـاعَنْك مـا سـووا بنـا نـو خـيري
وش انت خـابر يـوم جينـا مفـاليس ... كـل كبـا وا لله عليهـم مخـيري

شفي مع اللي يعدون المراميس | اللي على بوش المعادي تغيري
من فوق حيل يفصمن المضاريس | حيل محاصرها درازن حريري
ما قط ركبوا بالشواعي حماميس | ارزاقهم من كل فج تسيري
محلا تخاطبهم حلول الغطاليس | ترعى ضعاينهم وطرح النشيري
يا زين تصويخ العشار معابيس | لاسلهمن لعياهن بالدريري
باطرافها سرد السبايا مقاويس | غادي لها باطراف نشره نشيري
وان صاح صياح بروس الطعاميس | ثم ضفة الجدعا وركب الاميري
وتعلمطوا قب سواة القرانيس | وردوا الدنات القنا والشطيري
سلاح ربعي مبهمات النواديس | كشف ينومسهم الى جا نذيري
كم وادي ناسوه من قبل مانيس | قدّامهم فرق الحباري تطيري
ربعٍ تغاروا بالظفر والنواميس | يرْدُون حوض الموت وِرْد الغديري
لو هي تجيهم قوم ناس بلا قيسِ | تنكس براي ا لله وشيخة كسيري

قال جارا لله: هل انتهيت؟ قال: نعم. قال: أجل أسمع مني. قال: تفضل. قال:ـ

لو كنت فقريٍ براسك نعاطيس | اركب على اللي بالبحر يستديري
بوم تومي به هبوب النسانيس | والى انحرف غادي لصدره عريري
سمح اجداي ونكس الحبل تنكيس | غيصك وجلبني على كل هيري
اغديك تلقى مثل دانة طليميس | لا شافها راع الحصابي يحيري
تمرس قليب اللي يعاديك تمريس | وانا الى شفتك تجدد ضميري
والى لفينا من سفرنا ملابيس | نلفي لابن دبلان ريف القصيري
نجيب له صوغات من شغل باريس | حيث ان قلبه يفتهم له شطيري
والى مليت الخرج نيرات بالكيس | تصير في وسط الجماعه كبيري

ثــم شــيد الربعــة ودن المحـــاميس　　　وصفـرن تقلطهـن لحـامي السـعيري

ونجرن يجاوب بالعوى كــل مـاديس　　　صــردان بـردان وشـــرِ شــريري

امـا الفـدا كبـش عصوبـه مفــانيس　　　واما فكوك الريـق زبـد ومضــيري

واما العشى نـادوا لنـا قالـة الفيـس　　　رد الخـروف وهـات بنـت البعـيري

****

٣١٨ـ الوفاء من أجل الشعر

هذه القصة رواها لي الأخ فايز بن موسى الحربي يقول: إن القصة رواها ثروي الظفيري وهو راوية كبير السن وهو مقيم في نواحي (الحفر) وأولاده موجودون في دولة (الكويت) وذلك سنة ١٤٠٢هـ وهي تدل على احترام العرب ووفائهم لبعضهم وعدم نسيانهم للجميل. ومفاد القصة أن رجلاً من الدغيّم من الكلخة من بني علي من حرب اسمه محمد كان نازحاً عن جماعته ومجاوراً مع عرب الشيخ حمود بن صويط شيخ الظفير الذي كانت شيخته في زمن سعود بن عبدالعزيز بن رشيد، أي أن القصة جرت سنة ١٣٣٠هـ تقريباً.

وفي أحد الأيام أغار قوم على ابل الظفير فأخذوها، فلحق فرسان قبيلة الظفير ومن ضمنهم محمد العلوي الذي كان له دور بارز في استرداد الابل والاستيلاء على عدد من فرسان القوم المهاجمين عن طريق المنع وهي التسليم على ضمان سلامة الرقبة فقط أما الذي مع الممنوع من السلاح والرُكاب فيكون للمانع حرية التصرف به.

فعاد المنعاء ومعهم ١٩ من الهجن و٦ من الخيل والسابعة أصابها اصابة قاتلة، ولما اجتمع رجال الظفير في مجلس ابن صويط وأخبروه بما جرى وما فعله جارهم الغريب محمد العلوي، قال: إن الأجنبي الطيّب إذا فزع نفعك وإذا كرم أشبعك وإذا مات ما أوجعك!

ووصلت هذه الكلمة التي لم يحسب لها الشيخ حساباً إلى محمد العلوي فحزّت في نفسه وعزم على الرحيل والعودة إلى ديار جماعته وعشيرته. وفي الصباح التالي جاء إلى الشيخ ابن صويط وسلم عليه واستأذن منه للرحيل. وحاول الشيخ منعه لكنه أخبر الشيخ بأنه عازم على الرحيل.

ولما رأى الشيخ اصراره عرف بحنكته وفطانتـه أن تلـك الكلمـة الـتي قالها بالأمس قد وصلت إلى مسامع جاره عن طريق الوشاة، وأحس بالندم على ذلـك ولكن قد فات الندم.

فطلب منه الشيخ ابن صويط أن يتريث قليـلاً ليشـربا القهـوة معـاً قبـل أنْ يرحل. وأثناء ذلك ساد الصمت وكأن الشيخ ابن صويط الطاعن في السن يفكر في أمر هام، لكنه كان يفكر في هذا الموقف وكيف يصلح غلطته على جاره.

ثم بعد ذلك التفت على جاره العلوي وقال اسمع يا محمد:

شدَّيـت يـا مـحـمـد و حِنـًّا مقيـميـن
وحَكْي الخطا يَرْجَع على من حكَى به
حكيٍ بليل وقيـل مـن غيـر تثميـن
والليـل يخفـي مـن مشـاه وسـرَى بـه
وحيـاةِ مـن لـه يسجـدون المصليـن
مـا انسـاك في ليـن الدهـر واكترابـه
وان جـارت الأيـام لـك عندنـا دَيـْن
يا اللي لربعـك مـا تحـوش الجنابـه
يا اللي برمحك جبت قـومٍ امطيعيـن
في ساعـة مـا ينلقـي مـن غـدا بـه
منعت ست امهار والهجـن عشريـن
وغلاقهـن راحـت عشـي للذيابـة
وربعك حمول الخيل ما هـم رِدِيـِّيـن
رَجـَّالهـم مـع قـو باسـه صَلاَبـة

ولما رحل العلوي من عند ابن صويط أرسل له الأبيات التالية:

يـا شيـخ مَضّينـا بقربـك زمانيـن
علـى المعـزّة يـا قـوي المهابـة
نعـمٍ بكـم يـا اهـل الوفـا والقوانيـن
لكـن حربـي تذكّـر خرَابـة
مـن بعدهـم يا شيـخ مـا ترقـد العيـن
إي والـذي بالنـور نـزّل كتابـه
والأجنبـي ربعـه لباسـه عـن البَيْـن
لا حَن يـا ابن صويـط قـوس الربابـة
وربعي علـى اظهـور السبايا سلاطيـن
لا حـل باطـراف الجهامـة ضبابـة
وعنـدي لربعـي يـا الصويطـي براهيـن
وكـل لراسـه بالشدايـد عصابـه

يقول الراوي إن الأبيات أطول من ذلك ولكنه لا يحفظها كاملة. ويضيف الراوي أنه دار الزمان وتوفي الشيخ ابن صويط وحل ابنـه مكانـه وأغـار الظفير على إبل لحرب وأخذوها وهي ليست لمحمد العلوي لكن صاحبهـا استنجد بـه، فذهب إلى ابن صويط الابن وطلب منه أداء الإبل بسبب مـا بينهمـا مـن الجيرة بالسابق، لكن ابن صويط رفض. فقال له العلوي هل نسيت قول والدك:

إن جارت الايام لك عندنا دَيْن ....الخ البيت. فتغير وجه ابـن صويط وقال: بل أذكر لكن الشيطان وهوى النفس كاد أن ينسيني. وقال العلوي: إننـا نستطيع أخذها بالقوة لكني أردت أن أردهـا بحقي الـذي عندكـم قبـل أن ألجأ

للقوة. وقام معه وذهب إلى كبير العرب الذين أخذوا الإبل وطلب منه أداء الإبل، فرفضوا وقالوا هذه إبل أخذناها بالقوة ولا ترد إلاّ بالقوة.

فغضب ابن صويط من أولئك القوم من قبيلته وذهب من عندهم هو والعلوي عائدين إلى بيت ابن صويط.

لكن القوم تشاوروا بعدما ذهب ابن صويط من عندهم وعرفوا أنهم أغضبوه وأن هذا الأمر قد يؤدي إلى انشقاق صف القبيلة وربما يكون سبباً في ضعفها وفنائها. فندموا على ما بدر منهم واتفقوا على رد الابل بكاملها، وأرسلوا من يخبر ابن صويط بذلك ولم يكد يصل إلى بيته إلا ومندوبهم قد جاءه ليخبره بما حصل منهم. وأعيدت إبل العلوي بكاملها.

وهذا من وفاء العرب فما أجمل الوفاء بين أهل الوفاء فالأيام تمضي والأعمار تذهب والوفاء يبقى ذكره العطر تتناقله الأجيال. وقد صدق الشاعر العربي الذي يقول:

المــرء يَفنَــي عــاجلاً أم آجــلاً

مــا دام إلا الذكــر والأفعــال

****

٣١٩ـ قصة نويشي الحربي

نويشي بن ناشي من المشاعلة من بني عمرو من حرب .. أصبحت قصته في حماية الخوي أشهر قصة يتناقلها أعراب نجد في هذا الباب، ويضربون بها المثل في تعظيم حق الجار والخوي، والخوي هو الرجل الغريب الذي يكون في ذمة أحد رجال القبيلة.

يقول الأخ فايز الحربي الذي روى لي تفاصيل هذه القصة أن: نويشي كان يعيش في وادي الفرع الواقع في منطقة المدينة المنورة، ووادي الفرع تختص به قبيلة بني عمرو من حرب، وأعتقد أن نويشي قد عاش في القرن الثالث عشر الهجري ولا يزال أحفاده يعيشون في منطقة القصيم حيث استقروا بها بعد نزوح بني عمرو إلى نجد.

وخلاصة قصة نويشي أن رجلاً يقال له اليتَيِّم من ذوي بدير من مطير، كان قادماً إلى وادي الفرع، وكان في حماية نويشي وعمه، وفي أحد المرات ذهب المطيري في حاجة له، وفي الطريق تعرَّض له بعض أعدائه لسلب ما معه وعندما حاول مقاومتهم قتلوه ولم يصدقوا ادعاءه بأنه يتمتع بحماية نويشي أثناء وجوده في ديار بني عمرو.

ومن غريب الصدف أن الذين اعتدوا على المطيري كانوا من جماعة نويشي وكان معهم خال نويشي وابن عمه مباشرة واسمه مطلق.

وعندما علم نويشي بالخبر، تأثر كثيرا لكنه لم يتردد في أخذ الثأر والانتقام ممن اعتدوا على جاره. وقد فعل ما صمَّم عليه، حيث رصد للمعتدين وقتلهم واحداً واحداً، حتى قتل ستة وبتر يد السابع بما فيهم ابن عمه مطلق رغم أنه كان من أقرب القريبين إليه، وفي ذلك يقول نويشي من قصيدة طويلة يسندها

على زوجة البديري:

يــا راكــب اللــي شايبــاتٍ مقاريـــه
مثـل الظلِيْـم الـى ضـرب لـه قـرارا
يَـسْـرَح ومَـمْـسَـاه البـدَيْـري حراويـه
اللي نزل بَيْـن السَّهْـل و الوعـارا
خويِّـنـا يــا مِتْلِــف الــروح نغليــه
واللــي ورا الصبيــان دربــه عســارا
مطلق مطيحه بايمن السـوق شوفيـه
فوقــه رمــن اشنودهــن العــذارا
ارخصت عَـمِّي ما احسب القلب يصخيه
عنـد الخـوي كنـه حتيـن الجفـارا
اقفــى مــع الطــاروق دمّــه يباريــه
دمـه مـع الطـاروق يغشـى الجـدارا
احــد سمــع واحــد بالاعيــان راعيــه
البــدو والحضــران فوقــه صيــارا
ذا فعل وِلْــد القِبْـع مـن دون عانيـه
يسمـع بـه اللـي فـي بعيـد الديـارا

ومع ذلك فلم يكف عن خصومه إلا بعد أن توسط شيوخ القبيلة في الأمر وأعطوه عهدا بارضاء أسرة المطيري، وأن تتحمل القبيلة ديات القتلى(١).

---

(١) أورد هذه القصة بروايات مختلفة كل من: ابن بليهد في صحيح الأخبار ١٩٣/٥ و٢٤/٤ ـــ البلادي في نسب حرب ص٢٢٢ ـــ ابن عقيل الظاهري في نجد في عصور العامية ٥٤/٣.

وقد اشتهرت قصة نويشي بين القبائل في نجد والحجاز حتى أن رجلاً من مطير واسمه فلاح من الحرصان كان يعرف قصة نويشي، وحدث له قصة مشابهة، فقال:

لوا هَنـِي نويشي اللي قضَى الدَّيْن
وجهه كما القمْرا من أوّل شَهْرها
وانا ديوني مرمساتٍ زمانين
أمْشي وكِنّي دارعٍ في غدَرْها
أحْيَا اليتَيِّم واقعده بالنبا الزين
يستاهل البيضا بنْدَارِ حَضَرْها
عقب اربعة واثنين يَسْلَم من الشين
غير اليمين اللي نويشي بترها

ويقال إن ابن رشيد أيضاً قد استشهد بقصة نويشي عندما جاء إليه رجل من شمر يشتكي عليه من خفر ذمته والاعتداء على من هو في جواره، وسأله ماذا يفعل، فقال له ابن رشيد: اسأل نويشي الحربي .. ولما سأل الشمري عن قصة نويشي وأُخبر بها تمثل بقصيدة المطيري السابقة.

ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى أن هناك قصص مشابهة لقصة نويشي منها قصة دهش الدعجاني من عتيبة الذي قتل ابن عمه عندما اعتدى على مستجيره[1].

(١) شاعرات من البادية، ابن رداس، ج١، ص٣٢٩

وإنما أوردنا هذه الاشارة لكثرة الخلط بين هذه القصص بسبب عدم توثيق الرواة بالقصص المشابهة.

ويقول الأخ الراوي فايز الحربي: وللأسف الشديد فقد ظهرت في الأونة الأخيرة روايات مغلوطة كل منها يدّعي هذه القصة، إما بسبب تشابه اسم قبيلة المشاعلة مع قبائل أخرى، أو بسبب تشابه اسم نويشي، مع أن بعض الروايات غير صحيحة والدليل أنها لم تظهر إلاّ مؤخراً، بينما قصة نويشي مشهورة في نجد منذ القدم، حيث أوردها ابن بليهد في كتابه المؤلف قبل أربعين سنة، كما أن نويشي مثبت في الوثائق التاريخية، ومنها وثيقة مؤرخة في ١٣٠٦هـ، وأخرى سنة ١٣٠٧هـ، وأخرى سنة ١٣٠٩هـ، بينما أشك في أن يثبت أصحاب الروايات الأخرى بالوثائق شخصاً بهذا الاسم وفي نفس الفترة.

ومع أن كثيراً من المهتمين بالأدب الشعبي قد أوردوا قصة نويشي كما هو مبين في الهوامش التالية إلاّ أن أحداً لم يورد قصيدة نويشي بهذا القدر من التحقيق[1].

****

(١) انظر:

١) من آدابنا الشعبية، للفهيد، الطبعة الأولى، ج٤، ص٥٦

٢) صحيح الاخبار، ابن بليهد، ج٤، ص٢٤، وج٥، ص١٩٣، ط٣

٣) نسب حرب، البلادي، ص٢٢٢

٤) نجد في عصور العامية، ابن عقيل، ج٣، ص٥٤

٥) ورواها لي على نحو ما أوردته كل من: بجاد بن مقبل النويبي والعمدة حمد بن مطلق الحريـِّص المطيري عمدة البادية بعنيزة، وعبدالله بن مخيزيم الحنيني من سكان الدليمية، ويقول حدثني بها حفيد المطيري صاحب القصيدة سنة الكسوف، أي سنة ١٣٧١هـ.

فهارس الكتاب

١ـ فهرس الرواة

اسـم الـراوي ورقـم الصفحـة:

****

٢ـ فهرس الاشخاص

اسم الشخص ورقم الصفحة:

- س -

- غ -

- ف -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

* * * * * * * * * *

٣ـ فهرس الأسر والقبائل

اسم الاسرة أو القبيلة ورقم الصفحة:

- خ -

- د -

- ذ -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

* * * * * * * * * *

٤ـ فهرس المواضع

اسم الموضع ورقم الصفحة:

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- غ -

- ق -

- ك -

- ل -

* * * * * * * * * *

٦ـ فهرس لمطالع الأبيات

رقم الصفحة

مطلع الأبيات

٤٢ يا مل عين كن في حجرها شب — والجفن كنه يرتكز فيه عودي

٤٤ الى شفت جفوا من رفيقي لقيتني — صبور على فرقاه في كل الاحوالي

٤٤ الى جفاك الوطن لا تردم الساسي — خل الوطن للربوع اللي يرودونه

٤٧ النوم جاني وتكفى يالشويعير — صار يتخيل ويدبي في العظامي

٤٨ يا راكب حر ليال المخاضير — عامين ما يتبع فريق الشواوي

٤٩ ليت آل ذيبة ما دعوا عندنا ذيب — يوم قلبي سج منه بينساه

٥١ الله لا يسقي ظماكم معازيب — صبيكم لاجا المطر تطردونه

٥٣ يوم اسهجني نابيات النسانيس — الموت عندي والحياة امتساوي

٥٥ حر غذيته في ليال المعاسير — واليوم ما ادري وين دار عطاها

٥٦ يا من يعاوني على حب راع الطيب

احب الشلي لو كان والله ما يبغين

٥٧ يا بوي يا وجدي مع الصبح مطلاع

وجد الظما اللي على الما حيامي

٥٧ يا بنت حطي فوق شاهيك نعناع — وخلي البداوة والبلش والجهامي

٥٩ عسى الله يجيب السيل يلحق على الزراع

ما دام السواني طيبات بها شلة

٦١ هالعام أبا احج لمساعد — والعام الاخر لابن بادي

٦٣ يا مهبلك ياللي تبي دار وبدان — ذي ديرة من جا يبيها لطمناه

٦٥ يا دار شاكيني وانا مثل اشاكيك — والاّ اصبري قبلك شيوخ القبايل

٦٦ لحقوا هل الخيل مرخين الاعنه — يغون فك العشاير بالمحاضير

٦٧ لا والله الا صملوا يا عميرين — وشالوا على بيض الغوارب زهابه

٦٨ عدّيت بالمرقاب من ضيق جولي — وهيضة بالمرقاب مما جرا لي

٧٠ يقــول اللــي تهيــض في جوابــــه يغـــني في طويـــلات الرجـومـــــي

٧٢ اعوم بهــا بالليالـــي مثـل غيـــري مثل غيري ومثــل اللـي شــكا لــي

٧٣ يــا ربعنــا شيــّب ابــن كليـــب والشيـــــب بـــانت مقاديمـــــه

٧٤ يــا هــل الركــاب ان كـان معكـم دليـلـة

صـوب الخطامــة ماكــر الجــود والطيـــب

٧٥ ذي ديـرة يـا خــوي انـا جـزت منـهـا

اشــوف مــا قلبـــي لهلهـــا بميــــلاف

٧٦ يا لهيلم سلم لي على طير حـوران الخد عقبـه كـن مـا فوقـه أونـــاس

٧٨ لا وا لله اللـي توفـى نـاعم العـــود يا ليـت موتـه خـذا غـيره وخـلاه

٧٩ عـزي لمـن هـو حزيـن مثل مسـعود جيتـه مـن الحـزن يـاس شـفايـاه

٨٠ تنحـن يـمنى نـاصر مـن وشلهـــا يـا ليتهـا يمنـا الـردي القمـوحـــي

٨١ يا ذيب يـا اللي هيض القلب بعواه القـرم مـن ريحـه تجيـك الذعايـــر

٨٢ ليـلـة الجمعة ركبنـا علـى عوص البكـار

فــي ديــار مــا نعــرف المشايــل يمهـــا

٨٤ امسيــت قلبـــي داخـــل فيـــه سوهـــاج

سوهـــاج قـــوم يخلفـــون المكانـــي

٨٦ ابنصـحك يا جلهـم نصيحة بـدون خصام

وانـا لـك رفيـق ولـك بقلبـــي مَحَنّيّة

٨٨ يا راكـب اللـي كربـت بالحبـالي مـن سـاس جيـش هتيـم يمهـر جملهـا

٩٠ حلفـت لا اجزيـك يـــا عينـــي لا اجزيـــك لـــو النظـــر غـالـــي

٩٢ يا وجـودي على حـب ام غلماس يـا وجـودي علـى راع الغلاميـــس

٩٥ يا عد جاك مــن الهمـايل طاعـة مقياضنـا يـوم ان حنـا جميعـــي

٩٧ اللي بغا مني الطّلاّب مضّيته وحاجتك يا بدر عليّه اقضياها

٩٨ يا راكب نضو إلي ما تنحا خطر على الكور الموسر يروخي

١٠٠ قال ابن عقل وان بدا راس مرقاب

وان بان في راس الطويل المنيفي

١٠٣ جابتني النفس الخبيثة تقودني كما تقوّد بالخطام العسايف

١٠٥ كريم يا برق سرى له رفاريف قعدت أخيله والعرب هاجعيني

١٠٦ الحيا يسقيك يا دار الفهودي ديرةٍ من شرب ماها ما نساها

١٠٨ وجدي على شوفة فريح بن هملان

وجد العليل اللي هله ينعشونه

١١٠ غرنا على البل بالمفلا واخذناها بين الجنب والبيوت وجمع رجلية

١١١ يذكر لنا ولد الخطيب وخشيره أنه على شن ايقلط هجوره

١١٣ الله لا يسقيك رجم زمالي ساعة بديته رهش القلب ترهيش

١١٥ يا زيد بعض السلع ماهيب مرغوبه الصدق والنصح والاخلاص يا كافي

١١٧ امس الضحا نطيت انا راس ما طال

راس الطويل اللي شمام نبالي

١١٩ يا صبر عيني جل الله علية يا صبرها مما وزا في فوادي

١٢٠ الذيب والله يا هل الضان ذيبي والا فذا ذيب عدته الحوامي

١٢٢ يا مل قلب لاعه الهم لاعة كما يلوع العج عشب الصيوفي

١٢٣ يسقي الخطامه من حقوق المخاييل من مزنة غرّا غزير مطرها

١٢٤ قال الرعوجي مسلط وافي الاذكار عصر الخميس وحفرتي جددوها

١٢٥ يا راكب من فوق مثل السبرتات حمرا هميم من ابكار معفات

١٢٩ البارحة عيني حريب لها النوم تسوقها لوعات غبر الليالي

١٢٩ يقول ابن هدلان ولاني بواحد ياهي بروحه والزمان وطاه

١٣٠ دهلوس يا ابن عمير عيب علية الترك وديعي ما تجي له خبارا

١٣١ ا لله يقطعك ياكد على ماش لا جيت من البر أحوّل بالركيّة

١٣٢ يا انا فدا اللي عند قصره ما افتشل

ما اختل زنده للجموع الهايلة

١٣٥ يا ابن حمام مزعفرك ما نذوقه ولا اريد كيفك يا مروّي شبا الزان

١٣٦ هزاع شف جارك بنا صار بوار جيراننا كنهم علينا زراتي

١٣٨ خلوج تجذ القلب باتلا عوالها تكسر بعيرات تحطم اسلالها

١٣٩ كني خلوج يوم صفق الرعايا تحن بالفلا لما روّحني

١٣٩ خلوج تجاذب صوتها من نهارها تكسّر بصندوق الضماير اعبارها

١٣٩ الا واوجعي من بكرة هيضتني في ليلة الجمعة تزايد حنينها

١٣٩ باللـه اكفاية يا خلوجي لا تفطنين قلوب ناس مريحين

١٤٠ اليوم انا ضايع وماضي يدوجي يضرب بعداله بعرض اللوايح

١٤١ يا راكب من فوق حر يروجي سفايفه من قو عديه طفايح

١٤٢ يقول من هو معذبته مطاريشه يسعى ورى مرزقه في كل الاوطاني

١٤٣ النعم لمحمد راع الرباعية ملحق مخلا تقطّع عنه الامناعي

١٤٦ قال ابن مويجد والصلاة على النبي

لوعات بقعا كل حي يذوقه

١٤٧ يا اهل الركاب الى مشيتوا على خير

حثوا عليهن بين شلّة وزرفال

١٤٩ انا اقول من لا يتعب النفس ما يعتاش

ومن بان به خلّة مع الناس عزّا له

١٥١ كنيت ما بالقلب يا عناد وازريت يا عناد ودوا لي عشيري سلامي
١٥٣ ودك ان الرجّال كبده متينة يصبر ولو صلفوا عليه المعازيب
١٥٤ يا قلب ما دمت في حاجة معازيبك

اخدم خلاصك وما قالوه قل تمّا :

١٥٥ ألا يا الله يا مذري الهايب ناصر المغلوب

تعين اللي وقع في حفرة بالحيل مليانة

١٥٧ سلام يا دار بها التول مزبور يا دار نثار الشحم للخطاطير
١٥٩ انت نامي وانت الاقشر وانت شين النيه

خابرينك خابرينك ما انتب الهزاني

١٦٠ العلوم طوال واطول من جبل مشوية

حادرات وسانده تلعب بك الجيلاني

١٦١ ان غدا الدربيل ما هوب الفقيدة

الفقيدة قبل وقت الحج ماتي

١٦٢ يا طير ما عينت ربعي هل الكيف تقني لهم بالخمس كل البوادي
١٦٣ عديت في مبرية عصرية ودموع عيني غرقت هدبانها
١٦٥ قالوا علامك يوم تبكي على حرب

وهم لنا عدوان ما ينبكوني

١٦٧ البارحة بالقلب شيب وتشييب والقلب من طاري التفاريق شابي
١٦٩ يا الله يا اللي فوق خلقه رقيبي يا مدبر كل المقادير باسباب
١٧١ ما لي هوى لو قلط الزاد لية لو قادت الجازي عليّ بذراها
١٧٣ واهني من شافنا بارض اشبرية سالين كلنا والعشب زامي
١٧٣ الضحا عديت انا راس الجذيبة في طويل الصوت واجبت الحمامي

٢٧٥ يا من ينشـدني عن القيل يا رجال ... يا ما معي يا رجال من مستوي بيت

٢٧٦ لي بندق ترم اللحم لو هو بعيد ... ما وقفت بالسوق مع دلالها

٢٧٦ لابتي مزن غشا المرقاب نوه ... قام برقه يشتعل مع كل جالي

٢٧٨ واطي قلبي يا ملاطي قرطاس ... والا صميل ما هوته البلايل

٢٨٠ يا الله يا المطلوب يا سامع الدعا ... يا قابل الدعوات يا مستجيبها

٢٨٢ يا الله عسى لجع حقوق الرفايا ... يسيل جره لين يسقي ابن هدلان

٢٨٣ ان كان بك هاجوس فيه هواجيس ... لا شك أكنه ما تبيّن لغيري

٢٨٤ لو كنت فقري براسك نعاطيس ... اركب على اللي بالبحر يستديري

٢٨٧ شديت يا محمد وحنا مقيمين

وحكي الخطا يرجع على من حكى به

٢٨٨ يا شيخ مضّينا بقربك زمانين ... على المعزة يا قوي المهابة

٢٩١ يا راكب اللي شايباتٍ مقاريه ... مثل الظليْم الى ضرب له قرارا

٢٩٢ لوا هنّي نويشي اللي قضى الدَّيْن ... وجهه كما القمرا من أوّل شهْرها

* * * * * * * * * *

٥- فهرس القصص

رقم الصفحة	عنـــوان القصة

رقم الصفحة	عنـــوان القصة

رقم الصفحة	عنـوان القصة

رقم الصفحة	عنوان القصة

رقم الصفحة   عنـــوان القصة

رقم الصفحة	عنـــوان القصة

رقم الصفحة	عنـــوان القصة
٢٨٦	الوفاء من أجل الشعر
٢٩٠	قصة نويشي الحربي
٢٩٥	فهارس الكتاب
٢٩٧	فهرس الرواة
٣٠١	فهرس الأشخاص
٣١٣	فهرس الأسر والقبائل
٣١٩	فهرس المواضع
٣٢٥	فهرس مطلع الأبيات
٣٣٦	فهرس القصص

